

الأعمال الشعرية الكاملة

معين بسيسو



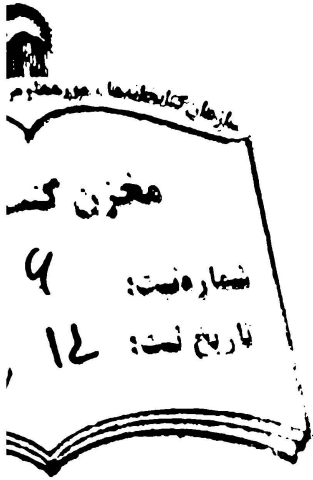
دار الفنون

الأعمال الشعرية الكاملة

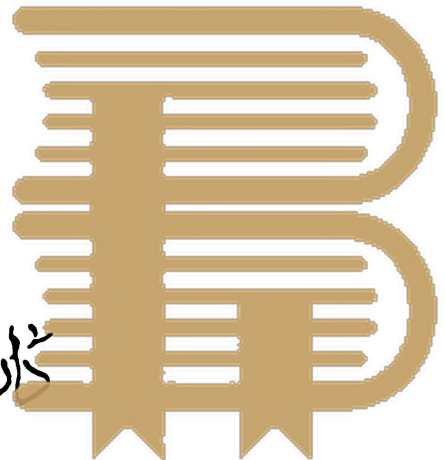
مُعَيَّنٌ بِسَيِّدٍ
الو

١٤٤٥ هـ

فهرست - ديبيتال



شبكة كتب الشيعة



دار الفؤاد بيروت

shiabooks.net

رابطه بديله < mktba.net

الأعمال الشعرية الكاملة
مُعَيَّنٌ بِسَنِيْنٍ

حقوق الطبع محفوظة
2008

يطلب من دار العودة / بيروت - لبنان

كورنيش المزرعة - بناية الريفييرا ستر

هاتف : 01 818405

فاكس : 01 818 406

Email : Daralawda@hotmail.com

ص.ب. 146284 : بيروت - لبنان

الإهداء

إلى صهبا

إلى والدة

إلى نوري

إلى مملكة

معين بعلب

بيروت ٧٩/٦/٩

هذه المجموعة الشعرية الكاملة...؟

لا فائدة الآن من الاحتجاج على أسنان الآلة الكاتبة أيها الحوت.
كل هذه النخلة من الماء المسنون - هذه القامة الطويلة من الشبابيك -
هذا القطار الذي كان يحمل جرائد الصباح وفنجان القهوة إلى السفن
- ها أنت الآن رسالة في زجاجة - ترفعها الصنارة من الماء إلى
أسنان المطبعة.

حقيبة مليئة بالثلج تنتظر دمك. تنتظر الحبر الآتي - ساعة حائط،
أو غزلاً أو كتاباً حينما يدقون المسمار الأول في القلب، وتنتظر الحبر
الذاهب - طائرة من الورق - متراساً - امرأة تمسح بورق الجريدة
زجاج النافذة - منشوراً سرياً للغزاة التي تعلم عند حافة البحيرة:
القراءة والكتابة للماء.

* * *

روفائيل البرتي، لماذا يأتي الآن...؟ هذا الطائر الأشيب الذي يمشي
كموجة، يفتح ذراعيه كشراعين، ويتقدم إلى الصف الأول - أنية
زهور.. مفتوح فيها كسفينة:
- كتاب الشعر الإسباني.

في كنيسة يوغسلافية قديمة، في جمهورية مقدونيا اليوغسلافية
رأيته - للمرة الأولى - وهو يتلقى إكليل الغار الذهبي. لم تكن

يوغسلافيا قريبة مني، مثلما كانت بين يدي - روفائيل ألبرتي - هذا
الذي قال لنا:

- الشعر هو الصداقة.

لم يجتمع ثلاثة من الشعراء العرب، إلا وكان الكبش المحشو
بالكستناء هو: شاعر رابع. لنتركهم حول مائدتهم المشؤومة، وليأت
الآن: روفائيل ألبرتي.

- فريدريكو غارسيا لوركا - شاعر من أجمل أطفال الكون، من
أجمل ما أنجبه البرق والنسيم - فريدريكو غارسيا لوركا، مشى إلى
الموت ومسدس وراء رأسه. هذا الشاعر الجميل الذي يأتي إليك مثل
هبة من النسيم، جاءت من كوكب بعيد، أراد دمه أن يقول: الدم، الذي
علم إسبانيا قراءة الشعر:

- كيف يكون الشاعر محايداً... حينما ينحاز الوطن..؟

* * *

مثل طائر أشيب، يرتدي موجة رمادية، أخيراً عاد إلى إسبانيا.
انتصرت حرب الشعراء.

اشتروا إسبانيا بالمسدسات، وحينما عرضوها لقاء قصيدة، كان
فرانكو يتمدد... تحت عشرين طناً من الإسمنت... بينما قمر لوركا، لا
يزال يطير فوق التراب. مركبة فضائية حملت روفائيل ألبرتي إلى
مدريد.

* * *

روفائيل ألبرتي، يرسم دائماً طائر حمام - ذكراً أو أنثى - كان
يقدم للصديق حمامة، وللمرأة الصديقة ذكراً من الحمام...؟

هذا هو سرّ روفائيل البرتي.

وها أنت الآن ثلاثون أو أربعون ملزمة من الورق. من سوف يغني

معك الآن...؟

هل هذا هو أنت..؟ وهل هذا هو هم أولئك الذين يكتبون...؟ ثلاثون أو عشرون عاماً من الكتابة والشطب، في تلك الزنزانة الجهنمية، حيث يتم السفر بالحقيبة التي ليس لها وجه، وفوق صهوة سمكة قرش.

ثلاثون أو أربعون ملزمة من الورق على امتداد عشرين أو ثلاثين عاماً، بين إلقاء القليل من القصائد في النافورة، كقطع النقود المعدنية التي تجلب السعد، وتحقق الأمنيات، وإلقاء الكثير من القصائد، كرسائل في زجاجات لن تصل أبداً.

ثلاثون أو أربعون ملزمة من الورق. على امتداد عشرين أو ثلاثين عاماً من الكتابة، هل هذا هو بطاقتك الشخصية، أم وثيقة اتهامك التي تعلقها كالأيقونة حول عنقك، مقصلة صغيرة تتدلى منها خواتم ومفاتيح لأصابع كثيرة ولنوافذ كثيرة أيضاً..؟

"الملائكة" الذين كتبوا قصيدة الكون في ستة أيام، واستراحوا بعد ذلك في اليوم السابع لم يقرأوا ولم يكتبوا، لن يغفروا لك أبداً، أنك واصلت الكتابة بعدهم... إلى عشرين أو ثلاثين عاماً. لا لكي تكتب قصيدة الكون... بل لكي تكتب وجودك في النافذة - في القصيدة - في الشارع الذي يسمح لك، أن تمشي فوق رصيفه.

الملائكة ضدك والشياطين أيضاً. فالملائكة الذين قالوا: نعم، ليسوا ضد الشياطين الذين يقولون: لا. "فلا" الشياطين الجدد هي "نعم"...

الملائكة القدامى... الذئاب الجديدة تقدم أوراق اعتمادها للذئاب القديمة. فذلك الشيطان الجميل الذي قال:

- لا للقصيصة الواحدة التي تكتب خلال ستة أيام، ويتم تتويجها ملكة، لا يزال في زنزانة الملائكة... ونحن الذين نكتب الشعر باسمه، لم نقدم له ولو حبة إسبرين، على امتداد سنوات الكتابة.

حينما يقولون لك: تعال بكل قصائدك إلينا، تعال بكل ما كتبت إلى المطبعة، فهم يقولون لك:

- لقد حان الوقت أيها القط البرّي، أيها الأرنب الذي يرفض القبعة، أيها الغزال الشارد الذي لم يحمل مظلة طول عمره. أيها النهر الذي يريد أن يمشي على الرصيف، أيها الحصان الذي لم يجر عربة طول حياته، ولم يضع على ظهره سرجاً، ولا في فمه حبلاً. تعال إلى الإسطبل، تعال إلى المطبعة.

وها أنت في المطبعة الآن...؟

مئات المرات، وعلى امتداد سقوط مئات الشهداء، كنت أمشي في جنازاتهم. إنني أعرف الطريق جيداً إلى مقبرة الشهداء. ذات مرة قال لي أحدهم:

- إن حارس مقبرة الشهداء، قام بتربية بعض الدجاج... في المقبرة... الدجاجات كانت تمشي بين القبور... وهذا لا يليق بقبور الشهداء.

لماذا يمنعون تلك الطيور الأليفة، من تأدية تحيتها للشهداء. هذه هي مأساتنا، حينما نقول:

- من مات مات...

ولكن الشهداء كالطيور لم تزل حواصلهم مليئة بالقمح أيها
الأصدقاء... لماذا لا نتركهم: لا يموتون...؟ لماذا لا نتركهم يعيشون
حتى في مناقير الطيور الصديقة..؟

* * *

ولكن هذا هو أنت، ثلاثون أو أربعون ملزمة من الورق. أعرف أنك
بكيت كما لم تبك في حياتك حينما قتلوا أرنستو تشي جيفارا، في
بوليفيا.

- منغيستو هيلامريام، هل تعرف لماذا أحبك أيها الصديق... لأن
جيفارا الأرجنتيني الكوبي الفلسطيني كسب حرب - الشعر - في
أديس أبابا - الأفريقية.

والذين تاجروا بالعاج، لن نسمح لهم بأن يتاجروا الآن: بلحم الفيلة.

* * *

في المهرجان الذي تقيمه جريدة "الأومانيته" الفرنسية كل عام، كان
هناك شعار يقول:

- الشعر فمه مليء بالمستقبل.

قبل ذلك كتب الشاعر الأميركي جريجوري كورسو:

- الشعراء جواسيس المستقبل...

والمستقبل بالنسبة للشاعر شيء من الشعر، شيء من الكهرباء ضد
الذين يهينون شرف التماسيح كلما دعت المناسبة إلى ذلك، ويحلمون
بمزيد من جلدها، وهو شيء آخر بالنسبة للذين يرون أن المستقبل
فمه مليء بأسمائهم، ومن أجل هذه الأسماء فهم يشتررون نطف
الشعراء. إنها نبيذهم المعتق.

الشاعر يبول فوق أرضهم - هذا هو كل مجدهم..؟

- المستقبل فمه مليء بالشعر.

- والمستقبل أيضاً فمه مليء بفلسطين.

والشاعر يمضي من حدّ السكّين إلى المستقبل.

* * *

أول طائر صغير اصطدته: اسمه "الكرّكز"، طائر في حجم يد طفل،

طائر أسود صغير مشرب بالبياض، حول عنقه طوق أبيض...

كنا نعدّ الفخّ له: نصف دائرة من السلك وبالذي يسمونه - الكرز

- الصنّارة بمعنى آخر، والتي توضع فيها دودة قصب البوص - كنا

نستدرج ذلك الطائر.

الفخّ كلّهُ مدفون تحت التراب، الدودة فقط هي التي تظهر... تتمدد

وتتقلّص... إنها كأس الطائر... وأنت الصياد على بعد أربعين أو

خمسین خطوة من الفخ... وطائر الكركز أمامك. أنا لا أزال أذكر تلك

الأغنية...

- أه يا الكركز...

إدحلّ واركز...

قدّامك.. دود...

لحم القاعود...

ويدرج الكركز... إلى الدودة... يدرج الشاعر إلى المقصلة...

لقد رأيتهُ أحد الأصدقاء الصغار، حينما أطبق فخّه على طائر

الكرّكز... عنق الطائر كان بين فكّي الفخّ... يبدو أنه مات... وحينما

عرف الصياد الصغير هذا الموت، قطع رقبتة بيده... وحينما سقط
الكرز على الأرض، كان يرتعش... إنه لم يمت بعد...
أه...

من يومها... كرهت تلك الكف من الحديد - تلك الكف التي
وظيفتها: اصطياد طائر صغير.

* * *

ويجيك صوت الشاعر يفتوشنكو:

- أه يا صديقي، هذه الزجاجاة الرديئة من النبيذ، كانت عنقوداً طيباً
ذات يوم... تعرّفت عليه في طشقند عام ١٩٦٨ - عاصمة جمهورية
أوزبكستان السوفييتية - وكان أول من قدمني إلى القارئ السوفييتي،
من خلال قصيدة - الطبل - التي ترجمها للروسية...

ترتعش وأنت أمام ثلاثة أو أربعة آلاف مستمع... لقد اعتدنا
مواجهة العشرات أو المئات...

- لا تخف. إنني ممثل كبير...

ولقد كان يفتوشنكو ممثلاً كبيراً، وصديقاً كبيراً أيضاً.

ممثل ليبيا في ذلك الوقت كان الملحق العسكري الليبي في أنقرة،
ماذا جاء يفعل في ندوة أدبية لكتاب آسيا وأفريقيا..؟

* * *

بعض الكتاب والشعراء العرب، الذين كانوا دائماً - عناقيد رديئة
- ذهبوا يصرخون:

- لماذا أنت وفتوشنكو...؟

كان قصيدة طويلة القامة... وكان يقول:

- الشعراء من قرية واحدة، وإن عاشوا في شوارع مختلفة...
يفتوشنكو... نافذة من الموسيقى ذات عينين زرقاوين... كتبت ذات
مرة له، ليكتب قصيدة عن دير ياسين، هو الذي كتب قصيدة "بابي
يار"...

وكانت فرصة كل قصير القامة في الشعر العربي، أولئك الذين
كرهوا يفتوشنكو، ذهبوا إليه لا لكي يحرّضوه على كتابة قصيدة
فلسطينية، ولكن ذهبوا إليه بالأحجار، ورجموا النافذة التي كنّا نقف
خلفها.

ولكن يفتوشنكو الذي أعطاني معطفه ذات يوم، أعطاني - جلده
السوفييتي - سأضع ذات يوم قريب يدي في يده:
- لنذهب يا يفتوشنكو، بعيداً في الشعر.

* * *

ها هي البروفة الأولى. وها أنت مطرّز بالأخطاء.
في "فولجا جراد"، رأيت الكاتب المسرحي: بيتر فايس. كان يمشي
كالنسمة المتلاثلة. إنهم لم يعرفوا بعد، تعبئة النسيم في زجاجات.
بيتر فايس عرفته حينما أعلنوا اسمه ومضى إلى الميكروفون.
- إذا كانت الكهرباء هي فاكهة بسطاء الناس، فالمسرح هو
خبزهم... وحينما لا يكون هنالك وطن، تكون هناك خشبة المسرح.
أرجو أن تتذكّر هدية بيتر فايس.
ومضى بيتر فايس ومضيت. كل واحد منا إلى منفاه، إلى وطنه
الآخر. إلى خشبة المسرح.

* * *

كانت الأيام الصعبة. والمجد الصعب للشعر... كان العطر المر، أيام
حصار "تل الزعتر"...

الشعراء - ساعات الحائط - الذين رقصوا رقصة الهولاهوب
طويلاً. بأطواق خيزران كل الجرائد والمجلات والأنظمة، هربوا.
لم أكن أعرف قبل حصار تل الزعتر، أن الشعر هو شيء عزيز جداً
ومقدس، جميل وشجاع يستحق أن تموت من أجله.

كان على الشعر أن يقول من هو، وحينما قال الشعر من هو، عرف
المقاتلون الفلسطينيون من هم... فكتبوا الشعر على حيطان
متاريسهم... فكان مجد الهواء المر للراديو:

- صوت فلسطين، صوت الثورة الفلسطينية... كل ما تحبه كان
يدافع عن التل، وكنت تصحو ولهب الشمعة لا يزال يومض في الشمع
الذي تجمد على يدك... ولكن القصيدة تذهب بعيداً في الهواء المر،
كانت النجدة التي تصل كل صباح ومساءً إلى المقاتلين المحاصرين في
التل...

يستطيع الشاعر أن يلقي بقفازه الآن، في وجه كل من يحاول توجيه
إهانة للشعر.

"محمد عبد الوهاب" أصبح يحمل رتبة لواء بقرار من أنور
السادات، حينما حوّل الخوذات الفولاذية للمقاتلين إلى طبول، وبنادقهم
إلى أبواق، وقاد تلك الأوركسترا الملعونة، التي عزفت النشيد الوطني
الإسرائيلي في مطار القاهرة.

في ذلك الوقت كان سيد درويش، يغني في الزنزانة.

* * *

ديوان الشعر الأول، كان اسمه المعركة، نشرته - دار الفكر الحديث
- في القاهرة، وكانت صوت الحركة الديمقراطية للتححرر الوطني...
ودفع العمال والفلاحون المصريون فاتورة المطبعة.

صدر ديوان - المعركة - في ٢٧ يناير ١٩٥٢، في اليوم الثاني
لحريق القاهرة، كان في مطبعة لا أزال أذكر اسمها - مطبعة أورفند -.
ولقد دافع العمال المصريون عن مطبعتهم... ولم يحترق ديوان
الشعر.

- يا مصر...

يا مصر...

يا مصر...

وتمّ تهريب ديوان المعركة، إلى مكتب شاعر مصري في جريدة
الأهرام اسمه: "كامل الشناوي"، وإلى بيت مصّور مصري اسمه:
"حسن التلمساني"، الذي قام برسم غلاف الديوان.

* * *

كانت هواية ومضت. كنت أحتفظ بمفتاح حجرة الفندق حينما
أسافر. وكنت أضع مفتاح حجرة الفندق دائماً على طاولة في مقهى
المطار الذي أمضي إليه... لعلّ شاعراً مسافراً لم يحجز له هذا النظام
أو ذاك حجرة في فندق، يلتقط المفتاح ويمضي به...
كانت هواية ومضت.

* * *

كمن يلقي بحصان في زنزانه، ألقى أحد الرفاق المصريين بقصائد
ديوان: "قصائد مصرية"...

لقد كتب الديوان في الزنازين المصرية، فخرج يحمل هذا العنوان.
في ذلك الوقت - كاتب من الصين - يبصق على وجه ناظم حكمت،
ويبقى وجه - ناظم حكمت - مرصعاً برذاذ النجمة الحمراء... أما
ذلك - الكاتب من الصين - الذي بصق، فقد قتله أحد أفراد حرس
الحدود الفيتناميين، وأنا أتخيله الآن، وهو يضغط على الزناد ويصرخ:
- عاش ناظم حكمت.

* * *

إنهم يصطادون الغزلان بعربات الجيب التي تركض خلف السرب.
البنزين في العربة، والدم في القلب وتستمر المطاردة.
يركض الغزال... يركض، ثم يسقط... ويذبحونه وهو يلهث...
واللهات يصعد كالبخار الأبيض النازف من القلب...
وهم يصطادون الشعراء أيضاً: بعربات الجيب، بالصنارة،
بالخطاف الحديدي أو الذهبي، وبالمسدس الكاتم للصوت أيضاً...
* * *

إلى دمشق جاء الشاعر السوفييتي: قيسين كوليف، زراعاه مثل
مجدافين، تطوقانك... وفمه يعدك بالبحر. جاء من جمهورية سوفييتية
صغيرة: جمهورية بلقاريا. ولكن قلبه كان يدق مع أبعد نجمة. كانت
قصيدة ذات يوم.

* * *

في موسكو... يطبعون صور الشعراء... وصور رواد الفضاء، وفي
بلادنا، تظهر صورة الشاعر - من خلال مؤامرة - حينما يغتالونه، أو
يوجهون له الإهانة.

* * *

هل لا بدّ من المضيّ في كتابة هذه المقدمة، لما تسمّى بالمجموعة الكاملة؟ كيف يمكن شاعراً أن يقول إنه قد اكتمل البدر المكتمل ليذهب إلى جهنّم... وهو والشعراء الذين قد اكتملوا...؟
لقد كان الشعر دائماً وسيبقى... ضدّ كلّ ما - اكتمل - في كل ثانية، تولد امرأة، لن تحبها...

* * *

أنا تولى سوفرونوف يقول:

- لقد ذهبت إلى مائة ألف بيت سوفيييتي... كيف قمت بكل هذه الزيارة لمائة ألف بيت، في خمسة أيام...؟
مائة ألف نسخة، تزور مائة ألف بيت... من خمسة آلاف نسخة، إلى مائة ألف نسخة، قام الشاعر السوفيييتي: أنا تولى سوفرونوف، بترجمة الشعر الفلسطيني، أهدى نافذة فلسطينية للبيت السوفيييتي... من يد الشاعر السوفيييتي الصديق: - ميخائيل كورغانسيف، ذهب صوتي إلى الاتحاد السوفيييتي.
هذا الشاعر الذي قلبه قصيدة... كان لي شرف تقديم درع الثورة الفلسطينية له. على خشبة مسرح في أديس أبابا...

* * *

البروفة الثانية... لقد تمّ تصحيح أخطاء كثيرة...
كيف ستظهر بلا أخطاء...؟ كيف سيقراؤنك مثلما يقرأون ساعة حائط...؟ أو نشرة الطقس...؟

* * *

هذه القصيدة ضد جاويش... وتلك القصيدة ضد ضابط... وضد جنرال تجيء قصيدة ثالثة... لماذا حينما يأتي ذكر جنرال، يأتي الشاعر الباكستاني: "فايز أحمد فايز" حاملاً صوته الذي عليك أن تسمعه، كأنك تتسلق جبلاً بكل الهبوط والصعود فيه.

- تصعد جبلاً بواسطة الحبال، من أجل أن تقف على غصن...

فايز أحمد فايز، يضحك مثل كأس، مثل قصيدة تنتظر في السرير... مثل أنا مارتينوفا، السوفييتية التي أهدتني بعض الحجارة الخضراء الداكنة، من براكين أديس أبابا...

لماذا تهدي امرأة سوفييتية... حجر بركان لشاعر فلسطيني..؟

* * *

ها أنت "مصحح تماماً"... بالفتحة والضمة وبالتسكين... بالفاصلة وبالنقطة. وها أنت تخرج الآن... كسمكة إلى الصحن... لقد تمّ تنظيفك من العشب والرمل... ومن رائحة البحر أيضاً...

* * *

لا أنا أحببت ألبرتو مورافيا، ولا هو أحبني، حتى الصور التي التقطناها معاً، كانت صوراً تخرج كالسمك الذي تجمد في الثلجة... كيف تضع صديقاً تحت الماء... لكي يذوب..؟ كان عليه أن يكتب الغلاف الأخير، لقصائدي الإيطالية... ولكنه أضاع الذي كتبه عني في مطار القاهرة... ذهب لأنور السادات.

حينما قابلته، كان لا يزال - في المنفضة - سجائر وطن عربي، دعاه لزيارته... ألبرتو مورافيا... والساقى في بار فندق ليوناردو دي فنشي في روما يقول:

- لماذا تأتي قصائدك إلينا من يده..؟

ولم أذهب من يده إلى روما... وخرجت قصائدي الفلسطينية
المترجمة للغة الإيطالية... من يد أخرى...

* * *

حينما طردوني من المدرسة... كمدرس، ثم كناظر، كان عليّ أن
أفعل شيئاً... هذه المدينة، التي احتفظت بالتاريخ، داخل قرص من
العسل، مغلف بالشمع... هي مدينتي...

أول منشور سرّي كتبته وطبعته ووزعته كان لها... وحينما كنت
لها... كانت لي...

وكان على المدينة التي احتفظت بالتاريخ، في قرص عسل مغلف
بالشمع، أن تحتفظ بالجغرافيا، داخل قرص من الدم...

التاريخ يتبع الجغرافيا... وحينما لا يكون هنالك بيت لك... كيف
يمكنك أن تشعل النار وتذكرّ خواتم المطر... في أصابع الشوارع...

* * *

لا فائدة من المطر الذي يسقط الآن... فوق زجاج النافذة... ليكتب
شيئاً ما، ولا جدوى من رفع ذنبك إلى أعلى أيها الحوت... لا جدوى
من الاحتجاج... على الصنارة... على الخطاف، على السكين...

* * *

لن نعبر الجسر معاً...

لن نكتب الشعر معاً...

لن نركب السفينة التي فردنا فوقها الأشرعه...

لن نغني معاً...

فأجمل القراصنه...

يموت في حقيبة من المياه الآسنه...

* * *

كعلبة من الورق مختومة وطازجة، توشك أن تخرج من المطبعة...

كل تلك البحار... والشواطئ... والموانئ... التي مررت بها... موجة

فوق صحن... تؤكل بالشوكة وبالسكين...

* * *

عاش محمد عبد الوهاب - زمن الخيانة - فأصبح لواء... ولو عاش

أحمد شوقي - أمير الشعراء - لأصبح فريقاً...

محمد عبد الوهاب... ضد سيد درويش... وأحمد شوقي ضد

المتنبي.

* * *

في هيكل قديم للعبادة... في ضواحي مانيلاً - عاصمة الفيلبين -

كانت ليلة للشعر. شعراء آسيا وأفريقيا، مشوا بين المشاعل... لكي

يلقوا بقصائدهم...

- يا ريتا بلتزار... أيتها الفيلبينية... التي تظهر لمرة واحدة فقط...

تحت جناح طائرة... تدور محركاتها... أو فوق سرير... يتأهب

للإقلاع...

ما هو رقم الحجر، في فندق القرية، في مانيلاً... حيث كان على

الجزيرة، أن تتحول إلى صدفة، ثم إلى زورق...؟

- اضرب الأرض... حتى يتفجر الماء...

يجيء صوت: ياسر عرفات...

وضربنا الأرض بأقدامنا العريانة، وتفجّر النفط... هنا وهناك...
- كل ما أملكه من هذا النفط الذي فجرته بقدمي... هو ثلاثمائة لترٍ
من البنزين... يذهب للسيارة التي تمشي بي... لكي أصل إلى وطني...
إلى حجرة مكثبي...

ولكن طائرة إسرائيلية واحدة... تقصف المخيم الفلسطيني، في
صور، أو صيدا، أو النبطية، تقصف وفمها مليء بالنفط العربي...
تعرف جيداً، أن أنور السادات لم يخن فجأة... على امتداد عامين،
وهو يقول لهم: إنه سوف يخون...

كانوا يعرفون أنه سيخون ولكنهم كانوا ينتظرون.
كانوا يريدون من يخون باسمهم، بالنيابة عنهم... كانوا يريدون
شخصاً ما ينكحهم من عيونهم... من آذانهم... كانوا يريدون من
يبصق في فمهم... من يبول في خوذتهم الفولاذية...
في الوقت الذي تكتب فيه القصائد المصرية في الزنازين... يتم في
استفتاء رسمي، طرد وجه مصر... من زجاج كل النوافذ... أبو الهول
الذي لم يتكلم طول عمره... لم يذهب إلى صندوق الانتخاب... ولكنني
أعرف أنه قال:

- لا...

إنهم يضربون التاريخ فوق أنفه، ولكنهم لن يستطيعوا أبداً، أن
يجرّوه من قدميه لصندوق الانتخاب .. حيث عليه أن يقول:
- نعم...

* * *

- لقد ذهبت في الشعر أكثر مما يجب... لا حجرة لك في فندق... ولا كرسي لك في طائرة... وعليك أن تمضي إلى المطبعة الآن... سمكة في أنية زهور... فنجان من القهوة لسفينة تغرق في الصباح... هذا الهواء المر... هذا العطر المر... هذه الكهرباء المرة، التي نشربها كل ليلة...

- لماذا رسول حمزاتوف يضع زجاجة من الكونياك الأرميني في قفل حجرتك..؟ ويدخل إليك. ويضع تحت وسادتك... زجاجة من الكهرباء المعتقة..؟

* * *

أمضيت سنة في عمان - في مدرسة المطران - كنت أقطع جبلين لأصل في الوقت المحدد. وتأخرت ذات صباح، الجبل يذهب بك بعيداً، إلى الدرجة التي تريد فيها أن تغطس فيه.

كان المدرس المناوب، في ساحة المدرسة، حينما نظر إلى ساعته وتطلع إليّ، ولم يتكلم... مضيت إلى ملعب كرة القدم، كان عقاب التلميذ الذي يتأخر، أن ينظف ساحة ملعب الكرة من الحصى والحجارة والشوك، وفي رياح الشتاء.

تمضي بكفين دامتتين مسلختين إلى حجرة الدراسة، وتحاول أن تمسك بالقلم. حاول أيها الصديق. الكراسية أصبحت مخضبة.

* * *

تكبر، تذهب بعيداً أكثر في الجبل، أو تذهب بعيداً أكثر في البحر، وتتأخر ويكبر العقاب.

والذين تكتب لهم، لا يعاقبونك بتنظيف ملعب لكرة القدم من الحصى
والحجارة والشوك، ولكن بتنظيف ملعب الوطن كله.

حذار أن تلعب بقلب الثورة، هذه المرأة العاشقة، التي كلما يطلقون
عليها الرصاص تحبل. وتلد دائماً حينما تموت. والتي حينما تلمسك
نارها يصبح فمك فراشة وفمها نجمة. وحينما تضع قطرة ماء وحبّة
رمل في سُرَّتِكَ، تصبح حصان الكون، الذي تتكسر على عنقه الطويل،
أمواج كل البحار.

* * *

ولقد عاقبوني...

عاقبوني وأنا تلميذ صغير، فجمعت الحصى والشوك والحجارة
من ملعب لكرة القدم، وعاقبوني منذ أن بدأت أكتب الشعر، فرحت
أنظف ملعب الوطن، من ألغام الكتابة الرديئة - من الشعراء الألغام -
الذين ينفجرون في وجهك، من بين أوراق كتاب، حينما لا يذهب
الشهيد إليهم بزهرة قبره، ويضعها على عتبة بيتهم، ثم يمضي عائداً
إلى قبره...

* * *

أه...

لم يكن تروتسكي يكره شيئاً اسمه: الشعر، كما كان يكره:
ماياكوفسكي. شاعر الثورة، كان يعرف من هو: خائن الثورة.
في كل ثورة كبيرة، هناك شاعر كبير. إنه قلبه يكون - تكون فيه -
وبعدها يكون - يكون فيها -.

وبين بطل الثورة، وبين شاعر الثورة، شجرة زيتون، تصعد أو تهبط
الدرج. الثورة لا تستخدم المصعد الكهربائي. والبطل هو الفتيلة في
القنديل، والشاعر هو الزيت.

عرفت جيداً من حاولوا استبدال الماء الرمادي بالزيت، وحين لم
يأتهم الضوء، فجّروا كل قناديل - أضواء النيون - انفجروا...
كالرماد الأبيض... انطفأوا...

* * *

لا جواز سفر يا ماياكوفسكي... ولا تأشيرة خروج...
مسدسك إلى جانبك وأنت تكتب...

قل لهم: إن الشعر هو رائد الفضاء الأول، ليس إلى كوكب قريب أو
بعيد، بل إلى ذلك الإنسان الذي أراد أن يكون صديقاً للشعر... فلم
يكن له غير صوت انفجار الرصاصة في رأسه.

* * *

الشعر والبنديقية. قبل نزول البنديقية الفلسطينية إلى البحر - سفينة
- تحمل فوق سطحها: مطبعة. كانوا يعتقلونك بمسدس، ويترجمونك
بكرباج، وكنت تذهب ودمك فوق وجهك إلى كل مكتبة دموية.
الآن فوق زجاج نافذة في بيت، هنا وهناك في أحد بيوت هذا العالم،
تترجمك بندقيتك. والبنديقية مثل المطبعة، ترتكب بعض الأخطاء،
ولكنها... تعرف كيف تطبع عشرات الشعراء على الورق... على
الزجاج، ولكنها تطبع شاعراً واحداً على كفها... وتمضي... به وبها...
تنظر في تلك الكف... وتحلم أن تكون نقطة أو فاصلة، أو قطرة من
الحبر، لو سقطت على كف الوطن، لتحولت إلى شامة...

وها هي ما يسمونها "بالمجموعة الشعرية الكاملة"... يسقط الدم
ويسمونه حبر الشعراء...

وعليك أن تحافظ على تلك المحبرة. فما أكثر الذين يريدون قلبك -
منفضة لسجائرهم - وأنت تريد أن تصرخ طول الوقت، وأنت ترى إلى
قصائدك تصرخ - مع البحار - في أعلى السارية:
- جزيرة جديدة في الأفق.
- قصيدة جديدة.

معين ببيمو

بيروت - مايو - أيار - ١٩٧٩

المُسَافِر

نافذة الكهف

في مكانٍ ينهارُ فيه الجناحُ
ويفوحُ النسيانُ ألهُثهُ الموتُ
ويخافُ السكونُ منه كطفلٍ
كوكبٌ ترصدُ النهايةَ عيناه
ليس فيه من الحياة سوى الليل
وصحارى من العواصفَ تلتفُ
وسماءٌ من الخرائبِ تجتاحُ
صورٌ من براعم الموت فاحتُ
ليس تدري أفاقها من شذاها
وهي ما أوردق الفراغُ لولاءُ

* * *

أنا في النهر صورةٌ كسرتها
فتماسكتُ عالقاً بظلالها
وتلفَّتُ والرجاءُ غرابٌ
والمصبُّ العملاقُ أعورٌ كالشمس
وحرام على المصبِّ ابتلاعي
فنيبتُ قوتِي ومات خريري
يدُ أعمى خياله لُمَاحُ
وهي تطفو كأنها ألواحُ
ضلٌّ، واليأسُ طائرٌ صدّاحُ
قد اجتاح رأسه مجتاحُ
وأنا منه جدولٌ فوَّاحُ
ودعاني هديره الصياحُ

فتلغثمت ثم ناديت لبيك
وإذا النهر والرياح دموع
نفضته أعماقه وتغشى
فجرى عاصفاً وحول مجراه
وجدفت والهوى فضاح
في مآقيه والخير نواح
ضيفته من الضباب وشاح
شبتاءً مزلزل وكفاح

لمحة

وهي تَذوي على رُكامِ دموعي
شبابي في عنفوان الربيع
الراشح ألقته ثورةُ الينبوعِ
من زهره الهزيلِ الصريعِ
وراء السحاب قبل الطلوعِ
يسقط من عقدِ عمري المقطوعِ
طئ أمي ومن غريب الزروعِ
دقاتِ قلبي المفجوعِ
فوق الغصونِ غيرِ رضيعِ
وتلقيه كومةً من نجيعِ
سأهراً أصطلي لهيبَ شموعي
يترامى على الفضاء المنيعِ
تضحى للزورقِ المصدوعِ
يتلو بصوته المسموعِ
ض برأسٍ مكللٍ مرفوعِ

أينَ عيناكِ تبصرانِ شموعي
أينَ عيناكِ تبصرانِ عصافيرَ
ظلماتٍ تُنقِرُ الحجرَ
جائعاتٍ تلوك ما قطعَ الزارعُ
لاهثاتٍ كأنها نفسُ النجمِ
أينَ كفاكِ تجمعانِ الذي
فهي قد جمعتُهُ من صدفِ الشا
أينَ عيناكِ أينَ قلبكِ يسترجعُ
وهو كالطائرِ الرضيعِ وقد أصبحِ
يبصرُ الريحَ وهي تعتصرُ النهرَ
غيرَ أني على الخرائبِ وحدي
أرقبُ النجمَ وهو نورٌ منيعُ
وأشمُ الأمواجَ وهي قرابينُ
وأحسُ الطوفانَ وهو على القمةِ
قصةُ اليأسِ وهو يمشي على الأر

الجبل الزاني

وهذا هو الرجاء ذو النفس الفاني
تُخبئها الظلماء عن نجمك الداني
فإن الضياء الحرّ خطوة إنسان
ولكنه ظلّ لصخرة سجان
من الجبل المرجوم أنجم غدران
تفوح به أو يسعد الطلل الباني
تعيش فكوني المصطفى الساهر الحاني
وإن زاد عنها الريح مُطْفئها الجاني
ونادي له القاصي ونادي له الداني
وداع لألوان لقاء لألوان
وتعلو من الأمواج صيحة طوفان
وإن سكبتها فيه قبلك عينان
ليحرق أحلام الحياة بأغصان
وترسم الواحاً بريشة ربان
سلام غريق لا يلوح بشطآن

عصا جرسى هذا هو الجبل الزاني
فلا تطرقي شباكّه فهو شمعة
ولكن أضيئي خطوة في طريقه
فهذا سياج لم يكن ظلّ طائر
هو القفر لا يسقي وكم في دلّائه
عصا جرسى قد تسعد الطين زهرة
وما النار إلا باصطلاء جذورها
وهذا تراب لم تزل فيه ناره
فلمّي من الأحطاب تمثال غابة
فقد كان ميناء الحياة رصيفها
وحين يضيء الليل كل نجومه
أريقي به النار التي لم تُرق به
ونادي له الطفل الذي لم يزل له
وقولي له والسحب تهوي بجمره
سلام مجير الطفل من ثدي أمّه

النمل

وأشربُ من نهر التراب وأستبقي
من الريح أعلوها بسنبلة العُمقِ
سحائبَ أنفاسي فيمطرُ بي خفقي
مُعشِشَةَ الأسوارِ في جبلِ الرقِ
إلى النملِ مطروفِ الحصادِ على الأفقِ
وكم نملة شجراً تصفر في عرقي
فتنعس والأصداء موغلة الطرقِ
به الليل أغفت كالحمامة في الطوقِ
حكاية مصباحي المسافر في الشرقِ
ضفائرها واللَّيل يبزغُ للنطقِ
غديرٌ وقيدٌ صام فيه عن الحرقِ
تقاذفها جَزُرُ الهديرِ إلى عُنقي
تُكحلُّ عيني بالزوابع والبرقِ
إليكِ وأغلالي تجاذبني عتقي
أناخُ جناحيه وأغمضُ في أفقي

أتظمُّ عينيكِ السماءُ وتستسقي
وتعلو أعشاشَ النجوم بنخلة
وتشمخُ في قشِّ الفراغِ منقراً
وأمخرُ راياتِ الرياحِ لخيمة
وأشرف من نجمِ السياجِ مُلوّحاً
فرطت بمحراثي غصوني لنملة
تسامر عينيها قيودٌ من الحصى
كجارية الأحلام في برعمِ خبا
حكايتهما والشَّمسُ خيطٌ غزلته
تعلقُ في ثوبي كمَ وعودٍ رأت
إلى غُدُرِ أمشي وطِيَّ عبا عتي
أريقُ له ناري على ساقِ شمعة
وأنت بمجدافِ السَّماءِ تزورني
وشمسك في ليلي فضاءً سلكته
ترابي في كَفِّي وريحي وطائرُ

هذه الريحُ وهذا الجبلُ
والجناحانِ وليلي قَفَصُ
أي أنغامي الذي يسمعي
والذي تبصرُ عيني غُصُنُ
هذه الريحُ وهذا الجبلُ
حطب يُبحر في النَّهر وفي
نسي الرفشُ عليه أثراً
فعلى أي ترابٍ تنحني
وعلى كلِّ ترابٍ صنمُ
هذه الريحُ وهذا الجبلُ
والطريقانِ وحبِّي أثرُ
والتي قد رحلت في أثري
أشموعي والدجى يذرفها
والندى الإنسان في سُئلةِ
هذه الريحُ وهذا الجبلُ
وظلالِي أدمعُ يسكُبها
يومَ ميلادي الذي قد نزلت

وأنا والمنتهى والأجلُ
والسياجُ الأبيضُ المكتحلُ
قِمَمٌ تعزفُ فيها السَّبُلُ
والذي يبصرُ عيني طللُ
وأنا والمنتهى والأجلُ
صدره النَّارُ التي تشتعلُ
ذَكَرَ الحطَّابُ فيه البَلَلُ
هذه الشمسُ التي تبتهلُ
وعلى كلِّ سماءٍ بطلُ
وأنا والمنتهى والأجلُ
أتخطَّاهُ وسَيرِي مَلَلُ
لم تعدْ منه وعادَ الأملُ
فصباحي أنجمٌ تنهملُ
حلمةُ في ساقها يُقتتلُ
وأنا والمنتهى والأجلُ
وقيودٌ قد رماها الجبلُ
فيه أيَّامي وأهلي نزلوا

نصَبُوا لِي شَمْعَةً تَحْرُسُنِي
فَإِذَا دَقَّ بِصَدْرِي نَفَسٌ
هَذِهِ الرِّيحُ وَهَذَا الجِبَلُ
هَا هِيَ النَّارُ مَشَتْ صَخْرَتُهَا
دَثْرِي جَرَحِي فَلَا تَطْفِؤُهُ
وَمَشُوا فِي ضَوئِهَا وَارْتَحَلُوا
قَرَعُوا أَجْرَاسَهُمْ وَاعْتَزَلُوا
وَأَنَا وَالْمُنْتَهَى وَالْأَجَلُ
فِي التَّمَاثِيلِ دَمًا يَشْتَعَلُ
كُلُّ رِيحٍ جَرَحُهَا مِنْ دَمَلُ

الديك

أناخ الغروبُ ظلالَ الرحيلِ
تُفتشُ عن جرةٍ في الرمالِ
وتسألُ ناطورةً في الرياحِ
عن الحاصدينَ وقد علقوا
وراحوا على النارِ يسترجعونَ
عن العاطلينَ عبيدِ الطريقِ
ينادونَ نوحَ الشراعِ الكبيرِ
عن الضاربينَ خيامَ الحياةِ
تُباغثهم ذكرياتُ الشروقِ
كانتهمو حارسٌ في الطلولِ
يُرممُ في صورِ الهالكينَ
فيذكر قافلةً في السّرابِ
وذيكاً عراه ذبولُ المشيبِ
لقد فاجأته طيورُ الصّباحِ
وعيني مسافرةً في الأثرِ
وتبحثُ عن جمرةٍ في الحجرِ
عن الزرعِ والزارعِ المُنتظرِ
مناجلهم في سقوفِ الشجرِ
عهدَ الحصادِ وعهدَ المطرِ
ومولاهمُ الفاتحِ المنتصرِ
وطوفائه نائمٌ في السُررِ
بكلّ كتيبٍ قصيرِ العُمُرِ
فَتَعَثُرُ في ظلماتِ الحفرِ...
يُنقِلُ سُلْمَهُ في الجُدُرِ
ويمسحُ عنها غبارَ السّفْرِ
وقافلةً في ظلالِ الغُدُرِ
وقد أمسكته سطوحُ الحجرِ
ينقُرُ في ريشِهِ المُنتثرِ

المسافر

لا أرى أثارَ طفلي في الرمال
من لظى عينيك تحميه الظلال
حين تشتدينَ تُوويه الجبال
واسمعي منه أغانيه الطوال
شمعة الأيام تخبو واللَّيال
صرخة الطائر تدميه الجبال
نسماتٌ من سرابٍ وخيال
قلبه البركان قد غنى ومال
قدم الكلب على عنق الغزال
حاضناً أغلاله السود الثقال
زادها الفجرُ اشتعالاً في اشتعال
ذلك الطفلُ السماويُّ الجمال
مثلَه غصنٌ على تلك التلال
بظلالِ الفجرِ القاهُ وقال
حَمَلَتْ عوداً من القشِّ النِّمال
تطمسي أثارهم فوق الرمال

فتحَ الإنسانُ عينيه وقال
أينَ ولَى أينَ يا شمسُ وهل
أينَ ولَى أينَ يا ريحُ وهل
أينَ ولَى أينَ يا سَحْبُ قفي
فهو صوتُ البحرِ سهرانَ على
وأنينُ الغصنِ سهرانَ على
وارتعاشُ القفرِ مَسَّتْ قلبه
واهتزازُ الجبلِ السكرانِ في
وانتفاضُ الكوكبِ النَّائيِ رأى
وصراخُ العبدِ في النارِ هوى
وغفا الإنسانُ إلا شمعةً
وعلى أضوائها الحمرِ مشى
حاملاً إكليلَ زهرٍ لم يلدُ
وإذا ما اشتبكتْ أظلاله
حملَ الناسُ الأمانِي مثلما
أمطري يا هذه السُّحْبُ فلنُ

المَعْرَكَة

المعركة

أنا إن سَقَطْتُ فخذْ مكاني يا رفيقي في الكفاح
واحملْ سلاحِي لا يُخفِكَ دَمِي يسيلُ من السلاحِ
وانظرْ إلى شفَتِي أُطبقتا على هُوجِ الرياحِ
وانظرْ إلى عَيني أُغمضتا على نُورِ الصَّبَاحِ
أنا لم أمتُ! أنا لم أزلْ أدعوكَ من خلفِ الجراحِ

فاحملْ سِلاحَكَ يا رفيقي واتجهْ نحو القنالِ
واقرعْ طبولَكَ يستجبُ لك كلُّ شَعْبِكَ للقتالِ
وارعدْ بصوتِكَ يا عبيدَ الأرضِ هُبُوا للنضالِ
يا أيها المَوتى أفيقوا: إنَّ عهدَ الموتِ زالَ
ولتحمِلُوا البُرْكانَ تقذفهُ لنا حُمُرُ الجبالِ

هذا هو اليومُ الذي قد حَدَثَهُ لنا الحياةُ
للثورةِ الكبرى على الغيلانِ أعداءِ الحياةِ
فإذا سَقَطْنَا يا رفيقي في جحيمِ المعركةِ
فانظرْ تجدْ علماً يرفرفُ فوقَ نارِ المعركةِ
ما زالَ يحملُهُ رفاقُكَ يا رفيقَ المعركةِ

المدينة المحاصرة

البحرُ يحكي للنجوم حكاية الوطنِ السجينِ
والليلُ كالشحاذِ يطرقُ بالدموعِ وبالأنينِ
أبوابَ غزّةَ وهي مغلقةٌ على الشعبِ الحزينِ
فيحركُ الأحياءَ ناموا فوقَ أنقاضِ السنينِ
وكأنّهم قبرٌ تدقُّ عليه أيدي النابشينِ

وتكادُ أنوارُ الصُّباحِ تُطلُّ من فرطِ العذابِ
وتطارِدُ الليلَ الذي ما زالَ موفورَ الشبابِ
لكنّه ما حانَ موعدها وما حانَ الذهابِ
المارِدُ الجبَّارُ غطّى رأسَهُ العاليِ الترابِ
كالبحرِ غطّاه الضبابُ وليسَ يقتله الضبابِ

ويخاطبُ الفجرُ المدينةَ وهي حيرى لا تجيبُ
قُدّامها البحرُ الأجاجُ وملؤها الرملُ الجديبُ
وعلى جوانبها تدبُّ حُطى العدوِّ المستريبِ
ماذا يقولُ الفجرُ هل فُتحتُ إلى الوطنِ الدروبُ
فنودّعُ الصحراءَ حينَ نسيرُ للوادي الخصيبِ؟

لسنابلِ القمحِ التي نَضِجَتْ وتنتظرُ الحصادَ
فإذا بها للنَّارِ والطيرِ المشرَّدِ والجرادِ...
ومشى إليها الليلُ يلبسُها السوادَ على السوادِ
والنَّهرُ وهو السائحُ العَدَّاءُ في جبلِ ووادِ
ألقى عصاهُ على الخرائبِ واستحالَ إلى رمانِ

هذي هي الحسناءُ غزاةٌ في مآتمها تدورُ
ما بينَ جوعى في الخيامِ وبينَ عطشى في القبورِ
ومُعذَّبِ يقتاتُ من دمه ويعتصرُ الجذورِ
صورٌ مِنَ الإذلالِ فاغضبُ أيها الشعبُ الأسيرِ
فسياطهمُ كتبتُ مصائرنا على تلكَ الظهورِ

أقراتِ أم ما زلتِ بكاءً على الوطنِ المضاعِ؟
الخوفُ كَبَلٌ ساعديكَ فرحتَ تجتنبُ الصِراعِ
وتقولُ إنِّي قد غرقتُ وشقتَ الريحُ الشراعِ
يا أيها المدحورُ في أرضٍ يضجُّ بها الشعاعُ
أنشدُ أناشيدَ الكفاحِ وسرُّ بقافلةِ الجياغِ

السيول

من ذلك الشعب أو من ذلك البلد
تلك الوحول بقاياهم من الولد
منفوخة لم تزل مجهولة العدر
هنا بقايا رغيـف عالق بيـد
هنا الشفاه التي تدعو لثأر غـد

ما بين باكٍ ومجنونٍ ومُرْتَعِدٍ
وتلك أمي وما في الخيش من أحدٍ
وقهقه السيل لم تحبل ولم تلد
صُفر الرمال لقد غاصت إلى الأبد
واسحبه خلفك بالأمراس والزرد
دماً توهج فوق الرمل والزبد
يا نارُ قد صحت الأموات فاتقدي

لم يترك السيل غير الحبل والوتر
وغير بعض العرايا الساحبين على
وغير ما شاهدت عينك من جثثٍ
هنا حطامٌ هنا موتٌ هنا غرقٌ
هنا العيون التي تصطك ميته

تلك البقية من شعبي ومن بلدي
تلك البقية من شعبي فذاك أبي
إن جئت تسأل عن أطفالها صرخت
يا مَنْ نصبت لهم سود الخيام على
ألسنت جلاذهم فاربط غريقهم
واترك لأطفاله آثار جثته
دم سترعش قلب الأرض صرخته

أنا لا أخافُ من السّلاسلِ فاربطوني بالسلاسلِ
من عاشَ في أرضِ الزلازلِ لا يخافُ من الزلازلِ
لمن المشانقُ تنصبونَ لمن تشدونَ المقاصلِ
لن تُطفئوا مهما نفختمُ في الدُّجى هذي المشاعلِ
الشعبُ أوقدها وسارَ بها قوافلُ في قوافلِ

أنا لا أخافُ من العواصفِ فاعصفي بي يا عواصفُ
أنا لي رفاقٌ في دمي تدوي رعودهمُ القواصفُ
وتضيءُ في عينيَّ خاطفةٌ بروقهمُ الخواطفُ
وتسيلُ من كَفِّي جارفةٌ سيولهمُ الجوارفُ
أنا لا أخافُ ومن أخافُ ولي رفاقٌ يا عواصفُ؟

قد أقسموا والشَّمسُ تُرخي فوقهمُ حُمَرَ الضفائرُ
أن يَطرِدوا من أرضِنا الخضراءِ تُجارَ المقابرُ
ويحرِّروا الإنسانَ من قيدِ المذابحِ والمجازيرُ
ويحرِّروا التاريخَ من قلمِ المغامرِ والمقامرُ
فنحقِّقَ الوطنَ الكبيرَ لنا ونزرعهُ منائرُ

ها هُمَ هناكَ أَخِي هناكَ هَوُوا صواعقَ في صواعقِ
فانظروا لمن زرعَ المشانقَ كيفَ تحصُدُهُ المشانقُ
وانظروا لمن حفرَ الخنادقَ كيفَ تدفنهُ الخنادقُ
هُمَ قادمونَ أَخِي لقد ركزوا على الفجرِ البيارقُ
وهوى وراءهُمُ الظلامُ الميتُ تآكلهُ الحرائقُ

دقت الساعة

ليس نبي إن كان للنور قبرُ في بلادي وللمكافح قبرُ
وتفشى الظلامُ كالداءِ لا يوقفُ طوفانهُ المدمرُ فجرُ
إنني أكتبُ الحقيقةَ لكنْ ثورة الحقِّ في بلادي كفرُ
قلمي في الحديدِ في ظلمةِ السجنِ طريحٌ مكبلٌ لا يصيرُ
نَفْسِي حائماً يفتشُ في الظلمةِ عن منفذٍ ولا يستقرُ
أبدأُ أرفعُ العيونَ إلى البابِ ولا حاملٌ شعاعاً يمرُ
وإذا ما سمعتُ دمدمةَ الريحِ تدوي قلتُ العواصفُ كثرُ
سوفَ تجتاحُ حائطَ السجنِ يوماً فوراءَ القضبانِ يلهثُ حرُ
غيرَ أنَ الأيامَ تمضي وتمضي وأنا شمعةٌ تذوبُ وفكرُ
وأمدُّ الأنفاسِ مَدَّ غريقٍ أينَ من موجهِ الشديدِ المفرُ
أينَ شعبي لقد تذكرتُ أنني لي دينٌ في عنقه لي عُمرُ
أينَ أنفاسُهُ تُحطِّمُ قيدي أينَ ثارتهُ أما لي ثارُ؟
إنَّ شعبي العملاقَ في القمقمِ مثلي وفوقهُ الليلُ بحرُ
ويعاني الذي أعاني وهل يفرحُ نسرٌ وفي السلاسلِ نسرُ!
وهو لا بدَّ حاطمٌ قيدهُ! أسودَ يوماً والنصرُ يتلوه نصرُ
فإذا الصرخةُ الكبيرةُ تدوي وإذا العالمُ المقيَّدُ حرُ

البساط الكبير يفرش للظافر قومي افرشيه فاليوم خمراً
 وغد نحن من صنعنا غد العالم عمدانه الأيادي الحمر
 للملايين يفرحون به العمر فما فيه ظلمة أو قفر
 قد جعلنا الإنسان أثنى ما فيه له الأرض والسما مقرر
 وجعلناه كالرياح طليقاً غده في يديه نور وزهر
 غدنا أيها القريب لقد أوشك يمشي على الطريق الفجر
 نحن لن نترك السلاح وفي الأرض أسارى وأسرون وأسرو
 ساومونا على الحياة كما شاؤوا وما للحياة سوق وسعر
 وإذا ما صلاهم قلم الحر شعاعاً يلقيه في الأرض فكر
 صرخوا صرخة الغراب على الجيفة واستنسروا وكروا وفرّوا
 ثم صاحوا بالشعب وهو موع عتقت في كفوسهم فهي خمراً
 إن تمثالك المقدس يا شعب حطام بكل أرض يجر
 قتلوه فخذ بثارك يا شعب فللميت المقدس ثار
 غير أن الذي ينادون سددت أذنه الريح والصباح الأغر
 وعلى ضوءه تراءى له الوحش وقدأمه الضحايا الكثر
 أيها الشعب أيها الميت الحي بأرض منها القبور تفر
 هكذا تصنع النعوش لكي ترقد فيها وأنت يا شعب زهر
 خالد العطر مثقل بندى الفجر ولكن لا يطرد الجوع عطر
 هكذا قدروك ميتاً على الأرض وأيامهم لشمسك قبر
 يمضغون السنين من عمرك النضير ويلقونها وما لك عمر

انظرِ الصينَ كيفَ ثارتَ على الموتِ وفي الصينِ للملايينِ نصرُ
كيفَ هدَّتْ جدرانَ معبرِها الرحبِ وفيه الأصنامُ بيضٌ وصفرُ
صرخاتُ العبيدِ في أنبيها جمعتُ فالعبيدُ بعثُ ونشرُ
ورياحُ تسوقُها مثلما ساقَ الدهورَ البطاءَ في الأرضِ دهرُ
ضربتُ موعداً له أممُ الأرضِ فطارتُ به الجيادُ الحمرُ
دقتِ السّاعةُ الرهيبةُ وانشقَّ عنِ الماردِ المخدّرِ سترُ
أسندتُهُ إلى الجدارِ الأعاصيرُ كسكرانِ نالَ منه السُّكرُ
وشظايا الكؤوسِ غائصةٌ فيه كما غاص في حشا الأرضِ جذرُ
نسماتُ الصباحِ يا حُلْمَ التائهِ يمشي والقفرُ شوكٌ وجمرُ
بللي وجهه وشُدّي خطاهُ فطريقُ الكفاحِ صعبٌ ووعرُ
ملأتهُ الأشواكُ والدمُ والدمعُ ولكنّه الممرُ الممرُ
أيها الشرقُ كانَ ظلكَ في الأرضِ سحاباً يمرُّ ما فيه قطرُ
تشربُ البومُ من جداولِكِ الخضرِ وتروى وليس ترويكَ بئرُ
أورثوكَ القيودَ عن صنمِ ماتَ فأشقاكَ في حياتكَ قبرُ
هُم لصوصُ التاريخِ كم سرقوا منه شعوباً مصّوا دماها وفرّوا
وهمُ المالتونَ أرضَ أمانيكَ ظلاماً يضلُّ فيه الفجرُ
غيرَ أنّ الحياةَ أقوى من الموتِ ولن يهزمَ الحياةَ القبرُ
هي كالبحرِ مدّها الأملُ الهادرُ طولَ السنينِ واليأسُ جزرُ
يكشفُ الصخرَ حينَ يرجعُ بالموجِ ولكن يُنجي الغريقَ الصخرُ

طليل الحبال

أخي مِنْ خلالِ حبالِ السِّياطِ ومن حلقاتِ القيودِ الثِّقالِ
تطلَّعْ إلى وطنِ الكادحينَ وقد شَنَقوهُ بسودِ الحبالِ
ولفَّوهُ بالخِرَقِ البالياتِ وألقوهُ في ظُلماتِ الحُفْرِ
وهالوا عليه الترابَ الكثيفَ كأنَّ لم يكنْ في ربيعِ العُمُرِ

أخي مِنْ خلالِ الجدارِ الكئيبِ ومن فجواتِ الدُّجى والحطامِ
تطلَّعْ إلى الأعينِ الغائراتِ وقد عَلَقَتْ بسقوفِ الخيامِ
هنا يمضغُ الجائعونَ الترابَ هنا يعصرُ الضامنونَ الحجرَ
هنا تكتسي بالظلامِ العراةُ أخي من هنا سوفَ يمشي الشررُ

أخي من هنا سوفَ تجري السيولُ
فتجرِفُ أغلالنا والوحولُ
ويثأرُ من قاتليه القتيلُ
فتقرعُ أجراسنا والطبولُ

ولنَ نَحْرُثَ الأرضَ للمُرتوِينِ
من الدَّمِ يجري على كلِّ طينِ
ولكنَ لأطفالنا الجائعينِ
وقدَ ملأوا بالترابِ البطونِ

ولن نستقي قطرات المطر
ولن نكتفي بجنود الشجر
ولكن بكل شهى الثمر
سقيناه حتى ارتوى وازدهر

المهاجرون

أخي في الكفاحِ أخي في العذابِ أتسمعُ مثلي عواءَ الذئابِ
تُفزعُ أطفالنا النائمينَ وتُنذرُ أحلامَهُمْ بالخرابِ
ويُفتَحُ أعينَهُمْ في الظلامِ دويُّ الرصاصِ ولمعُ الحرابِ
وتخُنقُ صرخَاتِهِمْ كالتَّجُومِ إذا خنقتَها حبالُ السحابِ
ولكنَّهُ سوفَ يأتي الصبّاحُ ويكسرُ أبوابَ هذا الضبابِ
يضِيءُ لنا أرضَ آبائنا وأرضَ طفولتينا والشبابِ
فتورقُ أمالنا كالغصونِ وكانت جذوراً ببطنِ الترابِ
فقمْ وادعُ مثلي ليومِ الخلاصِ وميلادِ تلكَ الأمانِ العذابِ
وان قِيدوكَ وإن عذِّبوكَ وإن هدِّدوكَ بشرِّ العقابِ
فلا تستكنْ يا ابنَ هذا الترابِ أمامَ وحوشِ الحياةِ الغضابِ
بل اغرسْ قيودَكَ في صدرِها كما غرسْتَ فيكَ ظفراً ونابِ
وإنَّ وراءَكَ شعباً يصيحُ وإنَّ أمامَكَ فجراً مُذابِ
أخي يا ابنَ هذا الترابِ الحزينِ أتسمعُ مثلي أنينَ الترابِ
وقد ملأتهُ جيوشُ العُراةِ أسارى الرغيفِ سكارى العذابِ
يشدُّهُمُ الغاصبُ المستبدُّ كما شدَّتِ العنكبوتُ الدُّبابِ
يخدِّرُهُمُ بفتاتِ الرغيفِ ويُسكرُهُمُ ببقايا الشرابِ
ويُسكِّنُهُمُ هاوياتِ الخيامِ ويلبسُهُمُ بالياتِ الثيابِ

طَرِيقَهُمْ مَلَأَتْهَا الْقُبُورُ وَرَتَّتْ بِهَا ضَحِكَاتُ الْغُرَابِ
وَلَكِنَّ خَلْفَ دُجَاهِهَا الْكَنْيَبُ تَطْلُ نَوَافِذُهُمْ وَالْقِيَابُ
وَهُمْ يَرْفَعُونَ إِلَيْهَا الْعَيُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ إِلَيْهَا الذُّهَابُ
وَهُمْ وَاللَّيَالِي تُنْسِي الْغَرِيبَ وَتَلْقِي عَلَى الذِّكْرِيَّاتِ الْحِجَابُ
مَضُوا يَحْفَرُونَ بِدَمْعِ الْعَيُونَِ وَدَمْعِ الْقُلُوبِ طَرِيقَ الْإِيَابِ

حطام القيود

وأترك السجنَ خلفي وهو يحترقُ
خيوطُهُ بدمائي وهي تَنْبَثِقُ
حُرِّيَّتِي فِي يَدَيْهِ وهي تَخْتَنِقُ...
أحسُّ أمواجها الحمراء تندفقُ
ولن يَخْدِرَنِي مِنْ وَرْوَرِهِ العَبَقُ

لكلِّ مَنْ سارَ بالأكفانِ يَسْتَبِقُ
ولا تحركُهُ أنفاسُ مَنْ غرقوا
أمواجهُ فهي للأحياءِ تصطفقُ
دماءُهُ وهي فِي أعراقِهِ مِرْقُ
جرداءٍ يرشَحُ منها الدمعُ والعرقُ

أغلالِي السوَدِ فُئساً لَيْسَ تَنْكسرُ
فِيهِ التَّوافِدُ لا شمسٌ ولا قمرُ
على النينِ بهذا الشعبِ قد كَفروا
تَكَادُ مِنْ هولِهَا الأمواتُ تَنْتَحِرُ
بِهِ عيونُكَ فِيهِ الظلُّ والثمرُ
وهم قوافِلُ بالظلماءِ تَسْتَبِرُ

أنا المقيّدُ لكنِّي سَأَنْطَلِقُ
وأخلعُ الكفنَ الدامي وقد رشحتُ
وأهدمُ الصنمَ المجنونَ صارخةً
هي الحياةُ تُناديني وملءُ دمي
ولن يَعيقَ خُطايَ الشوكُ مرتفعاً

هي الحياةُ ولا تُبقي على أثرٍ
كذلكَ البحرُ لا تَبقى بِهِ رَمَمٌ
الحيُّ حيٌّ بِهِ، والميتُ تقذِفُهُ
فانشِدْ نشيدَكَ للشعبِ الذي سرقوا
وخلّفوه وفأسُ العمرِ فِي يَدِهِ

أنا المقيّدُ لكنْ سوفَ أَنحتُ مِنْ
وأهدمُ الحائطَ العالِي الذي غُلقتُ
وأجمعُ الرِّيحَ فِي كَفِّي وَأُطْلِقُهَا
وجَمَعُوهُ على أبوابِ مقبرةٍ
وقيلَ هذا هوَ الروضُ الذي حَلمتُ
لكنَّهُ الفجرُ ذو الأنوارِ أدركهمُ

فأبصروا القبرَ والحفَّارَ متكىً
إرادةُ النورِ أن يذوي الظلامُ ولا
إرادةُ الفأسِ أن تهوي السجونُ ولا
فاشحذُ فؤوسك يا ابنَ الشعبِ مقتلعاً
وأنتَ لا بدَّ يا ابنَ النورِ تنتصرُ
عليه للميتِ الموعودِ ينتظرُ
يبقى على الأرضِ من آثارِهِ أثرُ
يبقى على الأرضِ من أحجارها حجرُ
هذي القبورَ التي للشعبِ قد حفروا
وأنتَ لا بدَّ يا ابنَ الشعبِ تنتصرُ

تاريخ

فَمُكَّ الْمُكَبَّلُ بِالْحَدِيدِ وَفَمِيَ الْمُكَبَّلُ بِالنَّشِيدِ
صَوْتَانِ لِلْحَرِيَّةِ الْحَمْرَاءِ فِي وَطْنِ الْعَبِيدِ
مُتَكَسِّرَانِ تَكْسُرَ الْأَمْوَاجِ فَوْقَ الزُّورِقِ
مُتَعَاظِمًا بِحَطَامِهِ وَكَأَنَّ لَهُ لَمْ يَغْرِقِ

قِيدَانِ فِي هَذَا الطَّرِيقِ يَتَطَلَعَانِ إِلَى الْحَرِيقِ
كَالشَّاطِئِ الرَّاسِي يَحَاوِلُ سَاحِبُهُ نَفْسُ الْغَرِيقِ
مُتَهَافَتَانِ تَهَافَتَ الظُّمَانِ فَوْقَ الْجَدُولِ
مُتَحَمِّسَانَا بِصُخُورِهِ حَصَنَ الظَّلَامِ بِمَشْعَلِ

عَيْنَانِ فِي سَجْنِ الْخَرِيفِ تَتَحَرَّقَانِ إِلَى الْحَفِيفِ
كَتَحْرِيقِ الْحَرِّ الْمَقْيَّدِ لِلنَّسِيمِ وَاللرَّصِيفِ
مِنْ ذَوْرَتَانِ إِلَى الرَّبِيعِ اسْتَيْقِظِي وَتَحَرَّرِي
يَا هَذِهِ الْأَزْهَارُ مِنْ غُصْنِ الدُّجَى الْمُتَحَجَّرِ

جُرْحَانٍ فِي خِرْقٍ وَطِينٍ لَا يَعْرِفَانِ مِنَ السَّنِينِ
غَيْرَ السَّيَاطِ الرَّاشِحَاتِ حَبَالَهَا بِدَمِ السَّجِينِ
كحَمَامَتَيْنِ طَرِيحَتَيْنِ عَلَى جِدَارِ مُظْلَمٍ
تَتَنَفَّسَانِ نَسَائِمَ الْقَفْصِ الْمَلْطُخِ بِالدَّمِ

شَعْبَانٍ فِي الْوَادِي الْخَصِيبِ تُشْنِقَا بِأَمْرَاسِ اللَّهَيْبِ
وَتَطْوُحَا كَتَطْوُحِ النَّسَمَاتِ فِي الْقَفْرِ الْجَدِيدِ
كشُعَاعَتَيْنِ رَضِيْعَتَيْنِ عَلَى ذِرَاعِي كوكِيبِ
نَزَلَ السَّحَابُ عَلَيْهِمَا بِالْخَنْجَرِ الْمُتَوَثِّبِ

جنازة الجلال

اغسلوه بما جرى من دمائه فترابُ العطاشِ أولى بمائه
وارجموا نعشه كما تُرجمُ البومةُ بالباقيات من أشلائه
وامنعوا الشَّمسَ أن تُضيءَ على الخائنِ حتى في مهرجانِ فنائه
وإذا سارتِ الجنازةُ والنَّجمُ مُشِيحٌ عن ربِّها بضياؤه
فاطردوا حافرَ القبورِ عن الأرضِ التي لَطَّختْ بوحلِ دمائه
واحرقوا الجيفةَ الخبيثةَ وامشوا وأطلَّوا بها على ابنائه
ولتكنْ كومةَ الرمادِ إلى الذئبِ فراشاً وللغرابِ التائه

أيها الهالكُ الممددُ في الكهفِ يلوكُ الطريحَ من أنفاسه
أنسيتَ الجلالَ لما تزلُّ ترعشُ عُنقُ المشنوقِ في أمراسه؟
أنسيتَ الجلالَ لما تزلُّ تسمعُ صوتَ الفناءِ من أجراسه؟
والوحوولِ التي شَرِبْتَ ألا تذكرُ يا مَنْ نقشتَ جدرانَ كاسه
انتَ مَيِّتٌ إن لم تثرْ ثورةَ الريحِ وتهوي بسقفه وأساسه
وتعيدَ المنهوبَ من هذه الأرضِ التي تستغيثُ من أغراسه
فتدبُّ الجياغُ تحرثُ بالكفِّ تراها المحرومَ من أعراسه

حِينَما تُمَطِّرُ الْأَحْجَارَ

ارفعوا الأيدي عن أرض القناة

يا سهيرُ
أنا في المنفى أغني للقطارِ
وأغني للمحطة
أي هزة
حينما تومضُ في عيني غزه
حينما تلمعُ أصواتُ الرفاقِ
حينما تنمو كغابة
من بروقِ ورياحِ
حينما يلمعُ برقُ الكلماتِ
كلماتٌ من حديدِ
تطرقُ البابَ الحديدِ
اطرقي يا قاهره
واطرقي يا غزتي
واطرقوا يا إخوتي
ولتضأ كلُّ شبابيكِ القطارِ
بعيونِ كالنجومِ
بعيونِ العائدينِ

لمتاريسِ الكفاحِ

في بلادي وبلادِ الآخرينِ
ولتكنُ كلُّ الأيادي عائله

* * *

أيّ أيامِ عذابِ

أن يكونَ الحُلمُ دوري في الكفاحِ

وأنا أكتبُ دوري في الكفاحِ

وأنا أخشى الإطالة

في الرسالة

وأنا أكتبُ من أجلِ القناه

وأنا أحذرُ من همسِ القلمِ

وخطى السجّانِ فوق الورقة

وبقلبِ القاهره

قصفُ رعدِ المطبعه

قصفُ رعدِ الكلمه

يا لمجدِ الكلمه

حينما تغدو عناقيدَ ضياءِ

في أيادي الشعراءِ

* * *

أيّ أيامِ عذابِ

وهنا ظلُّ سماءٍ من حديدِ

وظلامٌ في الظهيرة

وسماءُ القاهرة

السماءُ الظاهرة

بنجومِ الدَّمِ تزهو في النهارِ

نجمةٌ تومضُ من كلِّ رصاصه

أطلقَتْها من يدِ التلِّ الكبيرِ

يدُ فلاحٍ شهيدِ

لم تزل تنبضُ في التلِّ الكبيرِ

نجمةٌ من عرقِ الفلاحِ حفارِ القناة

دمه الأبيضُ والنازفُ من نبعِ الجبينِ

دمه الأبيضُ والنازفُ أمواهَ القناة

نجمةٌ من كلِّ فلاحٍ وعاملِ

في العراقِ

رغمَ "نوري" والوثاقِ

نجمةٌ من كلِّ تائرِ

في الجزائرِ

نجمةٌ من كلِّ أبناءِ السلامِ

فوقَ أسوارِ بكينِ

نجمةٌ من كلِّ شغِيلِ على أرضِ لينينِ

نجمةٌ من قلبِ عمالِ المحطاتِ البعيدة

فردوا الراياتِ مثلَ الأجنحةِ

لن تمرّ الأسلحة
نجمةً من قلب بكداش الصديق
نجمةً من قلب عمّان المجاهد
أبو خالد
نجمةً من كل جرح لم يضمّد
في بلادي لمشرّد
نجمةً من ثغرك الزاهي النضير
يا سهير
يا سهير
وخطى المستعمرين
تُفزعُ الأرض ضجيجاً وجنون
تتهدّد
تتوعدّ
بأساطيل ورق
عائمات
في وحول القرصنة
الأساطيل التي سارت بريح القنبلة
وبريح السلب والنهب وإعصار السّموم
وإلى السور العظيم
وبأفيون حشّته في القنابل
تفرض الوحل على الشعب العظيم

الأساطيلُ التي حطَّتْ على الهند الرحالُ
وكأعاصيرِ جرادُ
تنهشُ الأرضَ وتمتَّصُ الحياةُ
الأساطيلُ التي بيَّضتِ السهلَ الكبيرُ
بعظامِ الكادحينَ الأشقياءِ
الأساطيلُ التي جرَّتْ شعوباً في المياهِ
خلفها وهيَ تسيرُ
نحوَ أسواقِ الرقيقِ
وهُمُ أجدادُ "روبسون"
وهُمُ من يرعشونُ
مثلَ أغصانِ الشجرِ
وهُمُ من يبصرونُ
خلفَ صُلبانِ اللهبِ
نجمة سبارتاكوس المشتعلة
الأساطيلُ وما زالتْ شظايا القنبلةِ
بدماءِ الشهداءِ الأبرياءِ
وهجاً يلمعُ في موجِ ورمْلِ اسكندريةِ
وعلى أمواجِ بيروتِ الضحيةِ
وهجاً يصرخُ لن تُلقِيَ الأياديِ المحجبةِ
بمراسيها على أرضِ القناهِ
فارفعوا الأيديَ عن أرضِ القناهِ

فبحارُ العالمِ المصطخبيةِ
لم تعدْ أمواجُها للقرصنةِ
والأيادي العفنةِ
ليسَ هذا عصرُ توفيقِ الجبانِ
لا ولا عصرُ ديجولِ
مونتجومري والفلولِ
ليسَ هذا عصرُ نوري مندريسِ
عصرُ صيَّادي الرؤوسِ
عصرُ سفَّاحي الشعوبِ القتلةِ
عصرُ حُرَّاسِ كُنُوزِ القرصنةِ
ليسَ ذا عصرُ دالاسِ
الأبُّ الوارثُ من صدرِ الوحوشِ
ما تبقى من نفسِ
إنه عصرُ جديدِ
عصرُ إنسانِ جديدِ
ولדתه فوقِ أطلالِ "دين بين فو"
الخضابِ
ابتساماتُ جيابِ
عصرُ باندونجِ وأعراسِ الأملِ
عصرُ خبزِ وعسلِ
عصرُ أطفالِ الجزائرِ

عصرُ أطفالِ أمِّ صابرٍ
عصرُ راياتِ عرابي العائدهُ
فوقِ أكتافِ حمامةُ
عصرُ غاباتِ الملايو اللامعةُ
وبومضاتِ الرصاصِ
وبأنوارِ الخلاصِ

* * *

إنه عَصْرُكَ مفتوحُ الذراعينِ يسيرُ
وينادي يا سُهَيْرُ
أنتِ لَنْ تلعبِ أيامُك في ظلِّ المدافعِ
أنتِ لَنْ تطغى على شذوكِ رناتُ السلاسلِ
وانفجاراتُ القنابلِ
فستنمينَ تحبينَ وتغدينَ عروسُ
وستنمو زهرةُ الحبِّ وتكبرُ
عمرُها تسعةُ أشهرُ
وستهدينَ إلى العالمِ طفلةُ
أي طفلةُ
هي لَنْ تدرجَ في ظلمةِ خيمةِ
لا ولنَ يجرحها سيلُكُ معسكرُ
فستنمو وعلى دربِ ربيعِ ومسيرِ
وفلسطينِ ربيعِ ومصيرِ

رَسَمَتْهُ بِالْجَنَاحِينَ حَمَامَةً
حُلْمٌ تَحْرُسُهُ كُلَّ الْأَيْدِي عَائِلَةٌ
إِنَّهُ عَصْرُكَ مَفْتُوحُ الذَّرَاعِينَ يَسِيرُ
وَيُنَادِي يَا سَهِيرُ
إِنَّهُ عَصْرٌ يَسِيرُ
وَأَنَا أَيْضاً أَسِيرُ
وَمَعَ الْعَصْرِ الْكَبِيرِ
رَغَمَ عَجْزِي وَأَنَا أَبْنِي الْمَصِيرِ
وَأُنَادِي يَا سَهِيرُ
وَتَنَادِينَ أَخِي
وَبِصَوْتِ كَحْفِيفِ الْأَجْنَحَةِ
وَذَرَاعِي أَخِي مَفْتُوحَتَانِ
مَنْذُ عَامٍ وَشَهْوَرِ
وَهُمَا تَنْتَظِرَانِ
وَهُمَا تَشْتَعِلَانِ
كَلَّمَا صَفَرَ فِي اللَّيْلِ قِطَارُ
كَلَّمَا صَاحَ مُشَرَّدُ
وَهُوَ يَلْقِي وَعَلَى مَنْزِلِنَا الْمُطْفَأَ نَظْرَهُ
أَيَّ نَغْرَهُ
فِي مَتَارِسِ الْكِفَاحِ
وَكَفَى دَقًّا بِكَعْبِ الْبِنْدِيقِيَّةِ

لشبابيك بيوت الأصدقاء
وأنا مثلك أغلي كلما مرّ قطار
وأنا العنّ عجزى كلما طارَ خبر
عن أيارِ صادقاتٍ كالشراشير
لم تُصافحْ منذُ أيارِ الشراشير
طارَ دوها لتهاجر
ولكي تعرقَ في أرضٍ غريبة
ولها أرضٌ خصيبة
ورحيبة
وأنا العنّ عجزى
كلما طارَ خبر
عن يدٍ خلفَ الحدود
أثقلتُ صدرَ المدينة
بدخانِ المحرقة
عن يدٍ خلفَ الحدود
لم تزل تنهشُ في كنزِ عرق
لم تزل تنهشُ في كنزِ دماء
لرجالٍ ونساء
في معسكر
ضربتُ قبضةً أيارَ المعسكر
وأنا العنّ عجزى كلما هبّ ضياء

عن رجالٍ شُرُفَاءُ

وعلى أبوابِ غَزَّةَ

ويبرِ خلفَ الحدودِ

ورنينِ القيدِ في كلِّ رصاصه

أثقلتُ أصداؤه أرضَ العراقِ

وهيَ لنُ تثقلَ أمواهَ القناه

* * *

أهنا معركتي خلفَ اللّهبِ

أهنا أقتاتُ خُبزاً وغَضَبِ

ودروبُ المعركة

رحبةٌ تحضنُ كلَّ الخطواتِ

رحبةٌ ليستُ تَضيقُ

بصديقٍ أو رفيقِ

بأيادينا التي تبني الصداقه

وعلى أنقاضِ أسلاكِ غريبه

بينَ شعبينِ على أرضِ خضيبه

وعدوٍ يرتعشُ

وهوَ في رعشتهِ يُطلقُ أنفاساً أخيره

لرصاصاتِ أخيره

لم يَعدْ يملكُ زاداً أو ذخيره

لم يَعدْ يملكُ من أمرِ الحياه

غيرَ أشلاءِ مياهُ
وهوَ يرميها على أرضِ القناه
وعلى كلِّ مكانٍ
قدْ غدا أرضَ القناه
وبلادي قدْ غَدَتِ أرضَ القناه
أوتدريينَ عذابي يا سُهَيْرُ
وأنا أنهضُ في كلِّ صباحٍ
ويدي أيَّ يدٍ جرداءٍ من غيرِ سلاحٍ
وهي لَنْ تخضرَ إلا بالكفاحِ
وهي لَنْ تخضرَ إلا فوقَ أرضِ المعركه
حينما تضربُ جذراً مِنْ دماءٍ
في تُرابِ المعركه
أوتدريينَ عذابي يا سُهَيْرُ
وأنا أنهضُ في كلِّ صباحٍ
وبعينيَّ شذى حُلْمِ الكفاحِ
أنا أمشي في دروبِ القاهره
تحتَ أقواسِ ربيعِ الكبرياءِ
بينَ أغراسِ الدماءِ
أحضنُ الأيدي التي تحرسُ أمواهَ القناه
إنني أملاً عينيَّ بأمواهِ القناه
بالظلالِ الراعشاتِ الساطعاتِ

ولحفّاري القناه
وهُمُو يستقبلون
وهُمُو يحتضنون
كلّ بحارٍ على ظهرِ سفينه
لم يخنُ مجدَ العرقِ
وهو وضاءً على صدرِ القناه
صوته يلمعُ كالبرقِ بإصرارِ الحياه
ارفعوا الأيديَ عن أرضِ القناه

السجن الكبير

سيظلُّ يحرسهُ العراقُ
سيظلُّ يخفقُ في العراقِ
في ظلِّ أقواسِ المشانقِ والرصاصِ
قلبُ المقاومةِ العنيدةِ، والخلاصِ
جنباً إلى جنبٍ يدقُّ معَ القلوبِ
في جبهةِ السُّلمِ العريضةِ والشعوبِ
أتري إلى شَعبِ العراقِ
يَعدو بأشلاءِ الوثاقِ؟
وعلى جَوابِ من لَهَبِ
في أرضِ معركةِ الشعوبِ
أتري سَنابكهُ الخَضِيبةِ
بِدما مخالِبِكِ الرهيبةِ
هُوَ لَيْسَ حُلماً ما تَرى
أَمْ أَنْتَ أَعْمى لا تَرى
إلا كَرَاتِشِي أنقَرَهُ؟
إلا كَلابَ المقبرةِ
والأرجلِ المتكسِّرةِ

أتري إلى فهد الشهيد
قد عادَ يا نوري السعيد
قد عادَ يركبُ مشنقه
أولم يعدك بمشقة
من صنع أيدي الكادحين

وجميع صرعى حكمك الدّموي عادوا يركبون
ظهرَ المشانقِ والبنادقِ والسلاسلِ والسُّجونِ
احسبتهم قتلوا كما دبّرتَ ذلكَ في الخفاءِ؟
لكنّهم عادوا ودلّ عليهم زهرُ الدماءِ
يهدونهُ الشعبَ الذي وقفتَ قواه بلا ركوعِ

وبلا فرارٍ أو رجوعِ
في وجهِ ما أسميته حلف الدفاعِ
وهو الخيانةُ والضّياعُ
وهو المُرورُ بلا انقطاعِ
من تحتِ أقواسِ السجونِ

ولكي يظلّ النفطُ يدفقُ في فمِ المستعمرينِ
ولكي تظلّ وبالسياطِ تهزُّ للمستثمّرينِ
أثمارَ أيدي الكادحينِ وإنّ أيديهمُ غصونُ
أنا لا أقولُ بأنّ إمضاءَ الرصاصِ على الصدورِ
أنا لا أقولُ بأنّ إمضاءَ السياطِ على الظهرِ
هو ليسَ إمضاءَ الذينَ وراءَ ظهركَ يا أجيرُ

ولكي يمرّ الحلفُ مختالاً على ظهرِ القبورِ
لكنّه كَذِبٌ وتزويرٌ إذا قُلْتَ العراقُ
أو أنّ فلاحُي وعمّالَ العراقِ
أو أرضَهُمْ وسماهُمُ ذاتِ النجومِ منَ الدماءِ
قد طوّقوا أو طوّقتْ أوطانُهُم بالسلسِلهِ
وغدوا عبيدَ القُنبلِ

بل إنّ صدركَ وحدهُ هوَ موطنُ الحلفِ الطريدِ
وهو القواعدُ والخنادقُ والمعسكرُ للجنودِ
فيا عدوَّ المطبَعِ

وعدوَّ أشواقِ الورقِ

وإلى حروفِ المطبَعِ

إن كنتَ صادرتَ الورقِ

فلسوفَ نطبعُ بالعرقِ

فوقَ الأيادي والجباهِ

منشورَ حبِّ للحياهِ

فانشُرْ لُصوصِكَ في البلادِ

وهُمُ المخالبُ في البلادِ

ليصادروا

كلَّ الأيادي والجباهِ

لُنُصفِ يا نوري الحسابِ

أو قبلَ تصفيَةِ الحسابِ

فليسمع المتآمرونَ بلا التواءٍ
هذا الكلامَ من الدماءِ
لو يجرؤونَ ويدخلونَ
فسيركضُ الدمُ في الدروبِ
مُعلّقاً نيرانه
فليقرأوا نيرانه
فستستحيلُ إلى سيوفٍ، كلُّ أغصانِ السلامِ
ولطائراتٍ قاصفاتٍ كلُّ أسرابِ الحمامِ
وستقفزُ القضبانُ غضبي من زنارينِ السجونِ
ومن الجراحِ النابضاتِ الفاغرةِ
أفواهها لقواكم المتآمرةِ
سنقيمُ متراساً ونحفرُ خندقاً للمعركةِ
ونمدُّ أسلاكاً من الدمِ شاهقاتٍ شائكةِ
وفمُ الدمِ الغالي يسيلُ وقد تعانقتِ الخنادقُ
لن تحلبوا إلا أيادي من حديدٍ من حرائقِ
إنّي ألوحُ بالقيودِ إليك يا نوري السعيدِ
أنا في عذابٍ لن تمرَّ به فتدركَ ما أريدُ
أنا في عذابٍ واشتعالٍ في صعوبٍ في امتدادِ
هو ليسَ من تشريدِ عائلتي وفي شتّى البلادِ
هو ليسَ من شوقي وليسَ من الحنينِ إلى الرفاقِ
لكن لأنّي لستُ في أرضِ العراقِ مع العراقِ

أو في الشوارع أينما كان انفجاراً وانطلاقاً
أبدأت تعرف ما المصير وما الجريمة والعقاب؟
أبدأت تلمح ذلك الشرر المهدد في الضباب؟
وإلى ضحايا الحلفوسوط الإضطهاد والاعتصاب
تمتد أيديهم دماً ولظى ومن تحت التراب
أبدأت تُحصي إرث ما سَجَنْتُ وما اغتالت يداك؟
إرث المشانق والمذابح والمنافي والهلاك
ولكي يقسم بين أعداء الشعوب قذى وعار
أبدأت تحزم في الحقائق أين أزمعت الفرار
ويد الجماهير العريضة في الطريق وكالجدار
أين المفرُّ فلا طريق إلى القطار أو المطار

الصوت ما يزال

مدينتي، أقرأها الزنابقُ البيضاءً
وعقدُها حباتُ براعمُ الأنداءِ
يحبها علاءُ

أخي الذي يجوعُ والربيعُ في مدينتي ذراعُ
وبرتقاله على الشجرِ

أخي الذي يرشهُ الرصاصُ والمطرُ
إليك من دمانه الللاءُ السَّلامُ
ومن مدينتي السَّلامُ

مدينتي الشاهرةُ السلاحُ والجراحُ
متراسُها الأمواجُ والنيرانُ والرياحُ
وخلفه تلالُاتُ خوذتها الحمراءُ
سحابةُ حمراءُ

من اللهبِ والدماءِ
ومن قيودي التي تهزُّني إلى النضالِ
إلى الخنادقِ البعيدةِ المنالِ
إلى البنادقِ الرفرافةِ الظلالِ
وفوهاتها العيونُ لا تنامُ

سهرانةً على السلام
ومن يدي التي تحنُّ للزناد
وضغطةً على الزناد
وصرخة الرصاصية الثاقبة الهواء
هواؤك المقاتل الغزاه
الهابطين بالأكفان
من مقابر الفضاء
مُصلِّبين كالدمى على الهواء
وصرخة القنبلة الثاقبة الأمواج
فتنهضُ الأمواج
أعماقها المسنونة المياه
تحفرُ القبورَ في المياه
ووقفه في أرضك المنبته العناد
والحقدُ في النوافذ المكسورة الزجاج
قناعه اللهبُ والدخان
فوهةً لبندقية بلا إصبعٍ على الزناد
تُقاتلُ الغزاه
ويحرسُ الحياة
رصاصها المقاتلُ الغزاه
وتطلقُ المدافع الحارسةً الفضاء
حمامةً من اللهبِ والدخان

في الفضاء تحرسُ الفضاءُ
والصوتُ ما يزالُ
صوتُ المقاتلِ العنيدِ ما يزالُ
صوتُ المدينةِ العنيدةِ النضالُ
يرنُ في الأنقاضِ والدُّخانِ
يرنُ في جدارنا هنا فنلعنُ الجدارُ
هنا ترفرفُ الشجاعةُ المكسورةُ الجناحُ
هنا يدٌ بلا سلاحِ
هنا دمٌ بلا جراحِ
وبيئنا وبينَ نارِكِ الصديقةِ اللّهيبةِ
يا بور سعيد هذه الأسوارُ
لكنّها لم تثننا الأسوارُ
تطلّعي تري ظلالنا تهبُّ كالرياحِ
على خنادقِ الكفاحِ
تسلّقتُ ظلالنا القضبانَ والأسوارُ
ظلالنا الشاهرةُ السلاحِ
ظلالنا تقاتلُ الغزاهُ
وذكرياتنا تقاتلُ الغزاهُ
والصوتُ ما يزالُ
صوتُ المقاتلِ العنيدِ ما يزالُ
يهبُّ في المدينةِ العنيدةِ النضالُ

فتزهرُ الرجالُ في الأنتقاضِ والدروبُ
وتومضُ الأنفاسُ في الصدودِ
وينبضُ السّلاحُ من جديدِ
في يَدِ المقاتلِ الشّهيدِ
وتشهرُ النيرانُ في النوافذِ المكسورةِ الزجاجِ

قبضاتها لتلهبَ الغزاهُ
وتعصفُ الرياحُ كالمُدَى
تسمرُ الغزاهُ

على مسالكِ الدروبِ
وفي مدينتي التي تهزُّها
عواصفُ الكفاحِ
تهزُّها من الجذورِ
مدينتي التي نهارها رصاصُ
وليلها رصاصُ
وأرضها التي تعضُّ في خطى الغزاهُ
الصوتُ ما يزالُ

صوتُ المقاتلِ العنيدِ ما يزالُ
يرنُّ في المعسكراتِ والتلالِ
وفي خطى النساءِ والأطفالِ والرجالِ
إلى الأمامِ، والسلامُ يا ابتسامَةَ الكفاحِ
إلى الأمامِ، والسلامُ يا يداً بلا سلاحِ

إلى الأمام، والسَّلامُ يا رصاصَةً تُطيشُ
من رَعشَةَ الحَقْدِ على الوحوشِ
إلى الأمام، والسَّلامُ يا رصاصَةً تُصيبُ
سلامنا لخدقِ يشمخُ بالمتراسِ
سلامنا لخدقِ عارٍ بلا متراسِ
سلامنا إليك يا فراشةً،

قد رُفرتْ على غزالِ

ومَنْ حموا إشراقَةَ النضالِ

ومَنْ حموا جمالِ

وأقبلوا عليكِ بابتسامَةِ السَّلامِ والسَّلاحِ

وبابتسامَةِ الكفاحِ

مَارِدٌ مِّنَ السَّنَابِلِ

قد أقبلوا فلا مُساومة
المجدُ للمقاومة
لراية الإصرارِ شاهقة
للموجة الحمراء من صيحاتنا المعلقة
على الشوارع الممزقة
ولليد المكبلة
ولليد الطليقة المناضلة
المجدُ للجريح والثقوب قلبه وللمطارد
مدينتي! قد أقبلوا ليلاً من الأظفار والخناجر
وكنت نجمة تقاتل
أضواؤها العريانة السلاسل
وكانت الذئاب تفتفي خطى الجداول
وكنت مارداً من السنابل
يداه منجلان والجراد زاحف قوافل
يريد أن يجر للطاحون مارداً السنابل
* * *

مدينتي يا أدمع البركان قد جرت مشاعل

ويا ابتسامَةَ الزلازلِ
مطبوعةً سيفاً على جبينِ شعبيِ المكافحِ
مدينتي زنبقةٌ خضراءُ لم تنمَ على سريرِ فاتحِ
ولم تصبَّ الزيتَ في مصباحِ خائنِ
رموشهُ بساطُ كلِّ مقبلٍ ورائحِ
من صانعي المذابحِ
ولم تهبَّ ضفيرةُ أسلاكِ معتقلِ
ولم تُقبلَ سوطاً طاغيةً
كجاريةِ
مدينتي! رأيتُ كيفَ تنسجُ الأملِ
خُطى حبيبكِ البطلِ
وكيفَ قد نشرتِ من دمائكِ الشراعَ
يمخرُ الحرائقُ
النارُ لا تمسهُ ولا الصواعقُ
ولا الرصاصُ طائراً حصيً من البنادقِ
مدينتي! واحسرةُ القيثارةِ الخرساءِ
للغناءِ والبلابلِ
تشدُّو إلى الأبطالِ، واعذابَ شاعرِ
في السلاسلِ
وأنتِ في السلاسلِ

ولم تكن تناضل

غير الحروف من شريانه جرت قصائد

* * *

مدينتي! وأي رعدة تهزني وأي عاصف!!

من ذكرياتك العواصف

من ذكريات السجن والسجان والأبطال والمعارك!

وخائن تهالك

وفوق صرخة القتل

والمعدبين في انتظار

الموت سار،

وحشاً يشد للرحى السوداء،

كي تدور تطحن الدماء

يداه حبلا كل خانق،

عيناه شبكان للعدو منهما أطل بالبنادق

على الخيام والمنازل

يصيد إخوتي،

أبناء شعبي البواسل

* * *

الآن يرفع الستار يا مدينتي عن المجازر

عن وجه كل ثائر

عن الرياح كيف أصبحت تحارب

راية العدو في فضائنا مسنونة المخالب

وكيفَ قد هَوَتْ كحِيةً
تَعَضُّ في جراحِها السواكِبُ
عن اسمِكَ المهيبِ يا جمالُ،
كيفَ ينسجُ الغرائبُ
والمعجزاتِ والعجائبُ
وكيفَ كانَ شمسنا الخضراءَ في الدياجرِ
ووردةَ حمراءَ في ضفائرِ
أختي، وفي شباكها سرباً من البلايلِ
وكيفَ كانَ بور سعيدَ،
صخرةً من اللهبِ، غابةً من السواعدِ
يا فارسَ الفوارسِ
صغنا لكَ الجوادَ من صَباحنا
وشعبنا أهداكَ بريقَ البيارقِ
خُضنا به الرصاصَ
موجةً منَ الزنابقِ
والنارَ موجةً منَ النسائمِ
وكانت القيودُ في المعاصمِ
كعنكبوتِ في جُنونِ جوعها،
رمتْ خيوطها على العواصفِ
وفتَحَ الإصرارُ زهرةً،
صدّاحةً البراعمِ

وَعَضُّ فِي جِرَاحِهِ الْعَدُو، وَالْمِتْرَاسُ شَاهِقُ
وَبُورْسَعِيدُ بِنْدَقِيَّةِ الْبِنَادِقُ
وَوَخْدَقُ الْخِنَادِقُ
شَمْسٌ مِنَ الْجِرَاحِ قَدْ تَسَمَّرَتْ فِي اللَّيْلِ،
فَوْقَ جِبْهَةِ الْمُحَارِبِ
يَا بُورْسَعِيدُ... الْفَجْرُ طَالَعُ،
هَذَا صِيَاحُ الدِّيكِ يُوَقِّظُ الرِّصَاصَ فِي الْبِنَادِقِ
وَالرِّيَاحَ فِي الْحِرَائِقِ
وَأَوْشَكَ الصَّبَاحُ أَنْ يَمَسَّ رَايَةَ الْمُحَارِبِ
يَا بُورْسَعِيدُ لَيْسَ سَيْفُ رُوحِكَ الْوَهَاجِ،
وَحَدَّهُ يِقَاتِلُ
وَلَا مَدِينَتِي وَحِيدَةً تَقَاتِلُ
لَكَ الشُّعُوبُ رَفَرَفَتْ بِنَادِقِ
وَسَرَّجَتْ لَكَ الْبَحَارَ وَالسَّحَابِ
وَصَرَخَةَ الْأَنْصَارِ حَجَّرَتْ
رِصَاصَ ذَلِكَ الْمَغْتَالِ فِي الْبِنَادِقِ،
وَحَجَّرَتْ نِيرَانَهُ فَلَمْ تَعُدْ قَوَاطِعُ
أَنْيَابِهَا الْقَوَاطِعُ
وَفِي عِيُونِهِ تَسَمَّرَ الدِّخَانُ كَالْحَصَى،
كَالشُّوكِ كَالْأُظَافِرِ

* * *

مدينتي تطلعتُ إلى الجراد وهو راحلٌ
فرفرت بها الشوارعُ
مدينتي تحبُّ،
أو يا سليلَةَ الأصدافِ
يا زيتونَةَ الأمواجِ
يا حوريَّةَ الخنادقِ
يا وردةَ الوردِ في حديقةِ الحدائقِ
يا نجمةً مجنَّحةً
يا زهرةً مسلَّحةً
مَنْ قَالَ إِنَّ الفارسَ الحبيبَ ماتَ في الطريقِ
فجاءَ راكباً جوادهُ
ولابساً دروعهَ صديقِ
كي - يا حبيبي - ترمي بخاتم الحبيبِ
في خوزة الغريبِ
ولستِ يا مدينتي غمداً لكلِ سيفِ
كرمةً لكلِ قاطفِ
قيثارةً لكلِ عازفِ
فلنْ تكوني غيرَ شعبي قد توهجتِ
خطاهُ خلفَ قائدِ
مزغرد الجراحِ صامدِ
مدينتي! عروسُ شعبي التي تغارُ

من إكليها العرائسُ
قد أقبلوا فيالِقُ
الحيةُ الرقطاءُ والحمامةُ البيضاءُ
والغربانُ والعنادلُ...
وجاءَ أصدقاؤك الهنودُ بالمغازِلُ
ومن على أكتافهم ترفرفُ المطارقُ الحمراءُ والمناجلُ
وتضحكُ السنابلُ
من لم تبلَّ خُبزَهُم دماءً ثائراً.
وجاءك الذين حَبَّأوا القيودَ،
في الخوذاتِ والبيارقِ
وفي معاطفٍ من الزجاجِ،
طرَّرتُ بأعينِ الثعالبِ
الحالمينَ بالحراريقِ
بغابةٍ من المشانِقِ
الطامعينَ أن تكوني حانةً ومخدعاً وقنطرةً
وأن تكوني يا مدينتي مؤامرةً
وأن يكفَّ القلبُ عن خفوقه إلى جمالِ
وأن تموتَ في الوحولِ رايةً النضالِ
إليكِ عن أجفاننا الخضراءِ،
يا أحلامَ زارعي الجرائمِ

وناصبي الخيامَ للماتم.
وأقبلي وفي ظلام القحط
مشعلاً من السنابل،
ورفر في على رمالنا جداول
تقدّمي إلى الأمام بالغبارِ بالدماءِ
بالبيارقِ المغبرة
بالخوذةِ المعفرة
بالبندقيةِ المزمجرة
بأغنياتِ النصرِ كالبراعمِ المنورة...
تقدّمي بكلّ ما قد البستك أمك الحرية المظفرة
في بورسعيد في المدينة الملوحة
بزهرة انتصارنا على المدى مفتحة...
تقدّمي يا - مصرنا - المجنحة
حمامة مسلحة....
تقدّمي؛ ففي الطريقِ ماردٌ
قد أطلقته من أحشائها العواصفُ
ومن يُقلّ عثارَ ماردٍ
كبت به الجراحُ غيرُ ماردٍ...
فليحتشدُ فلاحنا الهامُ بالمحراثِ والشراشرِ
وليأت كلّ غائبٍ
ليأت عاملُ النسيجِ والمشرّدُ الطريدُ

والجائعُ المسافرُ الذي غدا خبزَ الطريقِ
ليأتَ صيادُوكِ يا أمواجنا المهجورةَ الهوادِزُ
ليقطفوا ثماركِ النواضرُ
الآنَ في سمائنا أسرابُ أنجمِ الشعوبِ
تزرعُ السلاحَ والسنايلَ
فلنرمِ إخوتي البواسلَ
شِبَاكَنَا على السلاسلِ

* * *

يا إخوتي وطائرُ الحصادِ
لا يبرحُ الأسلاكَ والحدودُ
رغمَ غزوةِ الجرادِ والرمادِ
وأنه من غير زادِ
ورغم ألفِ ليلةٍ وليلةٍ من السهادِ
في الصباحِ حينما جرتِ، جداولُ الصباحِ
أبصرتهُ موردَ الجناحِ
في عنفوانِ سكرةِ الأحلامِ
... إن مارداً من صلبِ بورسعيدِ
من صلبِ بندقيّةِ سوريةِ على الحدودِ
يحملهُ في هودجٍ من السنابلِ
وأن ألفَ ألفِ ماردي
يشيدونَ حوله وهم يُغريدونَ

قصرأ من السنابل
وأن منها مارداً قد طارَ ثم عادَ
من معسكرِ الجياغِ
من الخيامِ
الراعشاتِ في مشانقِ الظلامِ
قد طارَ ثم عادَ
على الجناحِ
هودجُ الفلاحِ
لعرشك المجيدِ يا أخي المجيدِ
يا سلطاناً...

ففي الركابِ ألفُ ألفِ شمعدانِ
وَألفُ ألفِ صولجانِ

* * *

هذا الذي رآه طائرُ الأملِ
أوحى له بأن يطيرَ في الصباحِ
لخيمةِ الفلاحِ
وأن يقولَ ما رأى...
يا إخوتي فلنفردِ الخطى
على الطريقِ أسرعه
ولنمخرِ الحدودَ
الدربُ لا تقلُ طويلُ

وزادنا قليلٌ
قنديلنا بلا فتيلٌ
فخبزنا من موسمِ السنابلِ الجديدِ
ومن بعيدِ
ترفرفُ الميناءُ
حمامةً بيضاءَ
في منقارها غصنٌ من الضياءِ

الأردن على الصليب

الأردن على الصليب

أنا مصلوبٌ أغرَدُ
ولعمانَ ونابلسَ وإربدُ
وإلى الليلِ الصديقُ
صارَ بيتاً للمطارِدُ
لم يُجبْ شَبَّاكُهُ طَرَقَةَ كعبِ البندقيَّةِ
وإلى شَبَّاكِ ثائرُ
في جحيمِ "الجفرِ" مفتوحِ على أقواسِ نصرِ
وعلى فردوسِ فجرِ
ليسَ ما تبصرُ عيناكِ سرابُ
يا أخي المثقلُ بالأثمارِ في ريحِ الخريفِ
يا أخي البازعُ في ليلِ العذابِ
فالسرابُ
حُلْمُ سَجَانِكَ أن يجني من الأغلالِ أقراصَ العسلِ
وبأن يجلدَ بالقشِّ أعاصيرَ الأملِ
وبأن يغرسَ حتى المقبضِ الخنجرَ في قبرِ رجاءِ
إن سَجَانِكَ ما كَفَّ العواءُ
طارقاً أبوابك الخضرَ الشهيدةَ

"افتحوا يا أصدقائي الطيبين!"
"واللصوصُ الأربعة"
في حصانٍ من ذهبٍ
في تماثيلٍ مآذنٍ
خائنٌ مرتعشٌ يزحفُ في أعقابِ خائنٍ
يلدونَ العارَ في ضوءِ النهارِ
ويقيمونَ الصليبَ
سمّروا الشارعَ ما ضمتُ ذراعاها ظلالَ اللقطاءِ
وبكفيه لَقَدْ دَقُوا السلاسلَ
غيرَ أنَّ الشارعَ المصلوبَ ما كَفَّ يقاتلُ
والمناشيرُ تُقاتلُ
ويدُّ من "نُقرةِ السلّمان" "للجَفْرِ" تُلَوِّحُ:
"سِيْفَتُح"
"برعمُ الزلزالِ لا بدُّ يَفْتُحُ".
إيه يا أيتامَ "لورنس" و"شاهاً" قَدْ ترعرعُ
تحتَ أقدامِ "أبي حنّيك" ترعرعُ
يا ثعابينُ من الخوذةِ تظهرُ
كُلّما الحاويِ في "واشنطن" الشوهاءَ صفرُ
يا خفافيشُ بلا أجنحةِ ترفعُ راياتِ الجريمةِ
امضغي جمرَ الهزيمةِ
فعلى أبوابِ عمّانِ أيادينا تُرفرفُ

بأكاليل الدماء
ويدي صوت يُرفرف
”يا أفاعي. يا أفاعي
”سنصبّ السمّ يغلي، وعلى جحر الأفاعي
”وسنمضي في الصراع
”كشراعٍ في رياح الدم نمضي كشراع
”وسأمضي شامخَ الصوت أغردُ
”والملايين تغرّدُ
”ولعمان ونابلس وإربدُ”

مكايبة لأطفال عمان

في الحكاية
ينسجُ الجاني من الدمعِ قناعُ
واليدُ السوداءُ خنجرُ
بدمِ العصفورِ يبكي
يا صغيري سوفَ أحكي
لكَ عن وحشٍ هو الآخرُ يبكي
لكَ عن ذنبٍ بشبابيةِ راعٍ
في الدروبِ الدموية
تحتَ شباككَ قد راحَ يُغني
أغنياتِ عرييةٍ
وجنودِ بصفائرُ
مثلَ أمراسِ المشانقِ
تتلوَّى كالأفاعي
تلدغُ الأطفالَ في ليلِ النهارِ
هكذا أبطالُ عمانِ الصغارُ
في اللياليِ يحلمونُ
بذئابٍ تتجولُ

في الدروبِ الديموية

وبشبابية راع

وأغانٍ عربية؟

* * *

افتحوا أطفالَ عمان العيونُ

تحتَ شُباككمو فجرٌ من الأرضِ ينورُ

وعلى البابِ "فؤاد"

صرعَ الذئبِ وعادُ

من دروبِ راسفاتٍ بظلالِ البندقية

يحملُ البشري هدية

يطرقُ البابَ بنجمة

ينثرُ الريشَ بيارقُ

وزنابقُ

للسلامُ

قد طوى ریحَ سهامُ

ورمارٍ وظلامُ

كانَ قضبانَ قفصُ

أغنية إلى جبل النار

جبلَ النارِ
يا خيمةَ دمٍ
في ريحِ الثورةِ منصوبةُ
ما زالَ وراءَ المتراسِِ الثائرِ
ومِنَ الوطنِ الهادرِ
وطنِ الزنبقِ
والأفقِ الأزرقِ
والأيديِ المسنونةِ كالصخرِ الأحمرِ
في ليلِ الخنجرِ
في الليلِ الأصفرِ
من كلِّ معسكرِ
يُهديكِ ضحايانا قمصانِ الدمِ
والفجرِ الأحمرِ أنشودةُ
جبلَ النارِ
والصيحةُ في القلبِ
يا شعلةَ وردِ
تتوهجُ في أشواقِ

ويضيءُ شذاها القلبُ
فتترفرفُ في عينيَّ الدربُ
وترففرفُ أصواتُ رفاقي
أسرابَ رعودُ
في آفاقي
جبلَ النارُ
يا صوتَ الزيتونِ الأخضرُ
يا صوتَ "زيادين" الهدارُ
يا ظلَّ السيفِ على عنقِ الخائنُ
لبيك أضأتُ لكَ البيرقُ
وأنا في الدربُ

البغاء والأفيون

البغاءُ

طليلةٌ بلا قفصٍ

تنقرُ في الأفيونِ

وتشهرُ الجناحَ

كالسلاحِ

لكي تحاربَ البلاشفةَ

والعاصفةَ!!

البغاءُ

في الليلِ والنهارِ

في غيبوبةِ اسطوانةٍ تدورُ

منقارها يُشيرُ

كما أراد أن يشيرُ

السيد الكبيرُ

لنجمةِ البلاشفةِ!

فوقَ جبينِ العاصفةِ!

البغاءُ في غيبوبةِ المصيرِ

في نزعها الأخيرِ

ترتجفُ
في مصفحة
البيغاء في الخريف
صوتها هَرَمٌ
وريشها استحال
إلى رَمَانٍ
والبيغاء حينما يذبلُ في منقارها الكلامُ
يا أيها الأقرامُ
يَنبُدُّها أسيادها الكبارُ في قفصِ
قضبانهُ خيوطُ عنكبوتِ
تنقرُ في الأفيونِ
حتى تموتُ

المخلص الكذاب

المستتر جون فوستر دلاس

على صليب
من ورق الزيتون
تمدد المخلص الكذاب
كالغراب
على بساط نور
"ابكين يا جوارى"
"بأدمع الحوارى"
يا كل فرسان الوحول
حوظوا عجل الذهب
من قبل في عشائه الأخير
قال لن يخونني منكم أحد
يا إخوتي لحمي لكم قرص عسل
خمر دمي لكم كفرحة الحياة
كذابتان
عيناه تغمضان
المخلص الكذاب قام

كسارقٍ بينَ النيامِ
بخنجرٍ من اللهبِ
قد راحَ يقطعُ المسعورُ
لحمَ إخوتي خبزَ بنادقِ
دماءَ إخوتي بها يسقي المشانقُ

في الأردن جلاءً يحلم

في الأردنِ جلاءً يحلمُ
بربيعِ الفجرِ وبالشعبِ الأخضرِ
غُصناً يُكسِرُ

في جبلِ المشنقةِ الأصفرِ
بالأردنِ يمسحُهُ ضفدعُ
في مستنقعِ

في الوحلِ الأبيضِ
والوحدِ الأزرقِ
مقصلتُك لن تصبحَ ذاكَ الزورقِ
فالأردنِ والشعبِ الأخضرِ

كفراشةٍ إعصارِ تبرقِ

* * *

في الأردنِ جلاءً يحلمُ
بالأردنِ يحلمُ في قُمُومِ
سجنِ أبديٍّ لا يُحطمُ
سجنِ كجهنمِ

لا النارُ تموتُ ولا تهرمُ

وأنا أحلّم
بالريشِ سينمو كالغابَةِ
بالماردِ طارُ
بالزنزانهُ
ويدُ السجانُ
تُدمي مفتاحَ الزنزانةِ
وفمُ السجانُ
من جوعٍ يمرضُ قضبانهُ
في الأردنِ جلاّدٌ يحلّمُ
ميتٌ يحلّمُ
ويجوعُ ويمرضُ أكفانهُ

لتفرع الأجراس لبلادي

تحجّري يا صيحةَ الخناجرِ العريانهُ
ورايةَ الخيانهُ
فلنْ تُجرَّ بالسلاسلِ الخيامُ والمعسكراتُ
لنْ تُجرَّ أمهاتُ
شعبي ومن شعورهنّ من عُروقهنّ
في يديك كالحبالِ
إلى مسيرةِ الفناءِ
مخالبُ البنادقِ التي أطلقتها كالوحوشِ
على ربيعنا الذي يعيشُ
في الصدورِ لؤلؤاً في الصدفِ
أتحلمين!
وأنتِ في إغماءِ المطافِ
أنْ تكسري الأصدافِ
وتقطفي من الصدورِ لؤلؤَ الربيعِ
لكي تُزيّني بهِ صقيعِ
نيرانِ شاهكِ القزمِ
أتحلمين!
أنْ تسحبي نابلسنا حديقةَ الثوارِ

وزهرها الذي يذودُ نحلَكَ المزيَّفَ المشؤومُ

في قلبه شذاهُ لا يفوحُ

أتعلمين؟

أن تسحبي نابلسنا حديقةَ الثوارِ

أن تسحبي سلفيتُ

بما غزلتِ من خيوطِ عنكبوتِ

أن تكنُسي الشررُ

تقدحهُ أقدامنا العريانةُ العطشى على الطريقِ

أن تُحرقِي أحلامَ إخوتي الذينَ يحلمونُ

في "الجفر" بالخيانةُ

راكعةً عُريانةُ

معصوبةُ العيونِ

وظهرُها إلى الجدارِ

وحولها دماؤها وحولِ

من قلبها تسيلُ

أخي وصيحةُ الخلاصِ

قد أوشكتُ تضيءُ والأغلالُ

على معاصمِ الثوارِ تحتضرُ

والرصاصُ،

في بنادقِ العصاةِ السوداءِ ينتحرُ

فلتُشرقِ الرياحُ

في أجراسِ شُعبنا، لشُعبنا فلتُقرعِ الأجراسُ

إلى عيني غزة في منتصف ليل الاحتلال الإسرائيلي

حينما أرسفُ بالأسوارِ في كلِّ مساءٍ
ولكم مرَّ مساءً ومساءً
ويحومُ الليلُ كالطائرِ في منقاره خيطُ ضياءٍ
لنجوم لا أراها في السماء
يفرد القلبُ جناحيه بعيداً ويطيرُ
لبساتينك يا غزّتي الخضراءِ في ليلِ الجحيمِ
ولجدرانك تغلي كالصدورِ
جرّحوها بالرصاصِ
والمناشيرُ عليها كالقناديلِ، تقولُ
يا جدار المستحيلِ
خافقاً في كلِّ صدرٍ ثقبوه
وهو شُبّاكي الذي قد فتّحوه
لأرى شعبي الذي لم يُخضعوه
خافقاً في شفّتي من عذبوه
أحرقوه ليّفوه
غيرَ أن القلبَ خفاقٌ ولكن لا يّفوه

خافقاً في ذلك الشامخ يا من طاردوه
وعلى درب كحدّ السيف قد راح يسير
كيف يكبو والجماهير أبوه
يَـدُها في يـده أنى يسير
ويهوذا ورنين الفضة الدّاجي الرهيب
قد مضت تنهشُ عيناهُ الدروب
واقفٌ يحلمُ فيها بمسيحٍ وصيلب

* * *

غزتي أنا لم يصدأ دمي في الظلمات
قدمي النيرانُ في قش الغزاه
وشرارات دمي في الريح طارت كلمات
كعصافيرك يا قوس قزح
أنت يا إكليل شعبي وهو يدمي في القيود
إننا سوف نعود

وعلى درب كألوانك يا قوس قزح
وستذرو الريح أشلاء الشبغ

شهيده من الأنصار

هو في الظلام جناح ریح
ودم يفوح
ويد من الكلمات في الصمت الرهيب
تنمو

فيا أجراس أزهار المصير
دقي إلى يده المطرزة الشرار
على الظلام، على الجدار
* * *

ودوى الرصاص
وهو يعانق أرضه الحبلى.
بطفل اسمه الغالي "خلاص"
وخطى مطاربه ثوارها الحدود
وسؤالك الدامي يعود.

فلسطين في القلب

يا أيادي

ارفعي عن أرضي الخضراء ظلَّ السلسلة

واحصدي من حقلِ شعبي سُنبله

فأنا لم أحضنِ الخبزَ ومن قمحِ بلادي

منذُ أن هبَّت رياحُ مثقلاتٍ بالجرارِ

نَهَشَتْ أرضَ بلادي

وجماهيرَ بلادي

منذُ أن شدّوا لي اللقمةَ في ساقِ غزالِ

وعدا ملءَ الرمالِ

وهُمّو قد غصبوا قوسي وسهمي ونصالي

وهُمّو قد قطفوا زهرَ دمائي

غيرَ أني في نماءٍ

فجذوري تتحدّى الفأسَ في أرضِ بلادي

وهي خضراءُ تُنادي:

يا أيادي

ارفعي عن أرضي الخضراءِ أغلالَ الجرارِ

وحصادي، لي حصادي

إله أورشليم

لتنسني يميني
لتنسني عيون
حبّيتي
لينسني أخي
لينسني صديقي الوحيد
لينسني الكرى
على سرير سهاد
مثلما السلاح
في عنقوانِ المعركة
ينسى يدَ المحارب
ومثلما الناطور
ينسى على كرومِ الثعالب
إذا نسيت
أنّ بينَ ثديي أرضنا بيت
إله أورشليم
وأنّ من قطوف
دمنا يعتصر

الشهدَ واللَّينُ
وخمرةَ السِّنِّينِ
لكي يعيشُ
ويُفرخَ الوحوشُ
وكي أشيدُ
من الدموعُ
جدارَ مَبكى وكي أُحيلُ
خيمتي مندِيلُ
للعويلِ
على الذهابِ
بلا إيابِ

* * *

لتنسني يميني
لتنسني عيونُ شعبي المغردة
إذا نسيتُ
أن أغرسَ الطريقُ
لصدر بيَّاراتنا وللكرومِ
سيفاً من الجَحيمِ
في عيني إلهِ أورشليمِ

شهرزاد وفارس الأمل جمال عبد الناصر

يا شهرزاد -

على جناح السيف كان "أبو الليالي" شهريار

يهوي إليك وفي الركاب

النَّطْعُ والسِّيَافُ -

يا أم الليالي والحكاية

غيرُ الحكاية والجراح

غير الجراح

فلقد مضى عصرُ القصائدِ بيغاوات تطيرُ

في روضةِ الملكِ السعيدِ

فالشرقُ في قممِ النهارِ

الشرقُ نجمٌ فوقَ جبهةِ مصرَ فارسنا جمالُ

وله غناءُ

أشواقُ أجنحةِ الدماءِ لكي تطيرُ

وكفى ترفرفُ خلفَ قضبانِ وسورِ

وغرامُ عينيَّ اللتين تغردانِ

للفجرِ أغنيةَ السماءِ بلا حديدِ

للدرب أغنية الخطى العطشى إلى نبع الدروب
وإلى الرفاق مع الشوارع في عناق
وبلا فراق
ولحلم فلاح بشمس من سنابل لا تغيب
للبلبل الصداح في شفتي حبيب
ومُغرداً بالقبلة الأولى التي تلدُ الحبيبة والحبيب
ولبحر غرّة والهدير
من قلب صيّاٍ هناك يهبُ كالريح الهدير
وحنيني الخفاق في شفتي حين ترفرفان
وتطرزان وبالقبل
الباب والشباك في بيتي الصغير
بيتي الذي ما كفّ ينبض في نوافذ الضياء
فمن يقول
في بيتنا الخالي، النوافذ مطفأة
وبصدر شعبي لؤلؤة
لن تستحيل إلى رمان
يا شهرزاد

الشرارة في المشيم

أَنْ أَطِيرُ
عَلَى جَوَادُ
مَجْتَحِ عُرِيَانُ
وَأَنْ تَكُونِي لِي وَأَنْ نَطِيرُ
مَعاً عَلَى أَمْوَاجِنَا الْبِيضَاءُ
وَوَخَلَفْنَا تَطِيرُ مَوْجَةً مَزْغَرْدَةً
وَتَقْدَحُ السَّنَابِكُ الْخَضِرَاءُ
شَرَارَةَ انْطِلَاقِنَا الْعَظِيمِ
فِي هَشِيمِ
مَنْ يُشْهَرُونَ
فِي فَجْرِنَا الصَّلِيبِ
كَالْخَنْجَرِ الْمَسْنُونِ
أَنْ نَطِيرُ
عَلَى جَوَادِنَا الْمَجْتَحِ الْعُرِيَانُ
يَا وَرَدْتِي الَّتِي تَفُوحُ فِي أَصْفَادِ
عَجْزِهَا الرَّهِيْبِ
حَلْمِي وَحَلْمِكِ الْجَرِيْحُ أَنْ يَذُوبَ
نَجْمَةٌ وَبَلْبَلًا فِي مَهْدِ حُبْنَا الصَّلِيبِ

بلا بل الدموع

الانتظارُ
بلا رسالةٍ ولا حبيبةٍ ولا قطارُ
والنهارُ
ممددٌ معي على الأسوارُ
وقلبي المغروسُ في السحابِ
بلا ثمارُ
كنحلةٍ في قفصِ الأشواكِ
تدمي إلى الفكاكِ
وحولها الظلالُ
في منديلها الزهورُ
على شقاهها المخضباتِ بالعبيرُ
براعمُ القبلِ
بلا بل الدموعِ يا بلا بل الدموعِ
عينا يَ أطلقَتاكِ في الإعصارِ
بلا رجاءُ
أن تُنفذي من قفصِ الإعصارِ
أن تُسمعي غناءُ
قلبي المكبَّلِ الجريحِ

فلينثر الإعصارُ يا بلابلَ الدموعُ
قلوبك الخضرَاءُ
نسِيمَ نوردُ
على خدودُ
أبطالنا الذينَ يحضنونُ
وهم ممرِّقونُ
فرحةَ الحياةِ صاعقه
وعلى أمواجُ
جراحِ شعبي الخضيبِ الهديرُ
وعلى زجاجُ
شباك بيتنا الوحيدُ
ينتظرُ الشريدُ
أنا هنا في العزلةِ الخرساءُ
أوقدُ الشموعَ للمأساةُ
وأرسمُ الحنينَ لأولؤةُ
على جبينِ الريحِ
متى من الصحراءِ
تطيرُ بي أجنحةُ الينبوعِ
يا شعبي الذي يطيرُ
على بساطِ الدموعِ
لخيمةِ الربيعِ

من مذكرة الليل

على جدارِ ليليّ الرهيبِ
رسمتُ صوتك الحبيبِ
واسمك الحبيبَ زنبقهُ
من شطّ بحرنا وموجةٍ مؤرّقه
على رمالِ سهدها الطويلِ تنتظرُ
من الغيومِ فارسَ القمرِ
رسمتُ صوتك الحبيبِ
واسمك الحبيبِ
برُعماً من النسيمِ
مُنوراً في جحيمِ
صحراءِ عزلتي وليليّ الرهيبِ

فلسطين في القلب

"وَضِعَ الشَّاعِرُ فِي الْجَنَّةِ
فَصَرَخَ قَائِلاً:
آه يَا وَطَنِي..."

"ناظم حكمت"

استمعوا لي

استمعوا لي،
اسمعني يا وطني،
فالآن خريفُ الأغلalِ يولي،
والآن سأحرقُ ظلي
كي لا أتمدّدَ في ظلي،
صمتاً، صمتاً، يا حملةَ أبواقِ
- الخفاش الخشبي -
يا أكلةَ قُربانٍ - العجلِ الذهبي -
صمتاً، ولترفعَ بَيرقَها
العاصفةُ السريّةُ، والبرقُ السُري،
ولتفردَ أجنحةَ صليبيك،
يا قلبي،
طرُبي، طرُبي،
فهناك نافذةٌ لم تُصنَعْ
بالبرقِ الأسودِ في وطني،
نافذةٌ تذكُرني،
داليةٌ تحلمُ بي

أن أقطفها،
أن تقطفني...
يا وطني، مَنْ لي،
مَنْ لي،
وبجرعة برقٍ من سُحُبِكَ،
وبكسرة رعدٍ؟
لو جَمَعُوا كُلَّ الأنهارِ بكأسي
لصرَختُ، وألقيتُ بنفسي
من عطشي لعيونك في الشمسِ

كأس الخل

واقترعوا يا شعبي

من يأخذ ثوبي

بعد الصليب...

* * *

كأس الخل بيمناي

وإكليل الشوك على رأسي،

باراباس ابن السكين طليق،

وابنك يا شعبي

ساقوه إلى الصليب وللرجم...

يا شعبي...

أن أصرخ لا تدخلني

في تجربة، لا يا شعبي،

أدخلني في تجربة الصليب،

وجرّعني كأس الصليب،

لن أهرب من دربي،

لن أهرب من كأس الخل

وإكليل الشوك،

وسأُنحِتُ من عَظْمِي...
مسمارَ صليبي وسأمضي
أزرع حَبَّاتِ دِمَائِي فِي الأَرْضِ،
إِن لَمْ أتمرَّقْ كَيْفَ ستولدُ من قَلْبِي
كَيْفَ سأولدُ من قَلْبِكَ،
يا شَعْبِي...

الخيَط الذي ينمو في الريح

كُلُّ الرّايَاتِ المنفيّةِ قد عادتُ،
يا وطني...
إلّا رايَتِكَ المنفيّةَ من أفقِ
ترتحلُ إلى أفقِ،
في سوقِ - لصوصِ الرّايَاتِ -،
تُبَاعُ بلا ثمنِ،
صاحَ - النخّاسُ - تقدّمُ، بالحنجرةِ الملعونةِ،
والمحشوّةِ بالخطبِ،
خُذها لا تخجلُ
خُذْ رايةَ وطني،
ما أرخصها بجناحِ من - ورقِ -،
أو سيفِ من خشبِ،
ضفّرُ منها إكليلاً من ريشِ
لتزيّنَ رأسَ - الديكِ الهرمِ -
الصائحِ في كلّ الأسطحِ
والرّاقِدِ في كلّ السُررِ
لكنّ من يتبعُ في وطني؟

خُطواتِ السيفِ الخشبي؟

مَنْ يُلقِي

سُنْبلةً واحدةً في طاحونٍ من ورقٍ؟

القوا بأكاليلِ الرِّيشِ،

والقوا بالسيفِ الخشبي،

ما زالَ من الرّايةِ خيطُ،

ينمو في ربحك... يا وطني

لصوص الصليبان

أحبابي،
ألواح صليبي ليست
أرجوحة جلادي
فلتقرع أجراس الأصفار
لسنا نخلاً من رملٍ تُحنِيهِ الرِيحُ
ليلثمَ ظلَّ السجّانِ
لسنا رباناً قد نحرَ الأشرعةَ
على الشيطانِ
قرباناً للقرصانِ
فلقد ولتُ كدخانِ
ملءَ مناقيرِ الغربانِ
أيامُ لصوصِ الصليبانِ...
* * *

كعِطاشِ كَنّا
نتعثرُ بخريرِ الأنهارِ،
كنا كنهارِ
يتعثرُ بالأنوارِ

سنبلةٌ لله وسنبلةٌ للقيصرِ
أما قبضُ الريحِ فللحصارِ
أحابي:

أن نحملَ هودجَ سلطانِ
أن نُصلبَ كي يتسلَّقَ
الواحَ الصليانِ
لصوصُ الصليانِ...
أن تُصبحَ إعلامي...
أقنعة نوافذِ سجّاني...

لا، أحابي،
قد كفَّ الجرحُ يغرِّدُ
لسياطِ الجلادِ...

أحابي:
إن ضلَّ الجدولُ عن مَنبَعِهِ
تمضُّغُهُ أشداقُ الكتبانِ،
فحذارِ، حذارِ
أن نخطفَ موجاً من بحرِ،
أن نزرعهُ في صحراءَ
أن نحلمَ أن يصبحَ
حقلَ بحارِ،
وحذارِ، حذارِ

من حَصَّارِ أَفَاقِ
من فرطِ الخوفِ الكَذَّابِ
من لصِّ الحَقْلِ
حمَاهُ، بسياحِ جِرادٍ...
أحبابي:
لا يبني الطائرُ عُشًّا
في جُحرِ الثَّعبانِ...
الطائرُ لا يدفأُ
تحتَ جناحِ الحدأةِ، أحبابي
فكفاكم، وكفاني
نَفْحاً في الأكفانِ،
ليسَ يُضَمِّدُ جُرحَ البركانِ
أكوامٌ من حطبٍ ودخانٍ.
لنضمِّدَ جُرحَ البركانِ
بنارِ البركانِ،
أحبابي:
والفأسُ المدفونةُ في الجدرانِ
تستيقظُ،
فليستيقظُ حُرَّاسُ الجدرانِ

قصيدة إلى الأسلاك الشائكة

لو قُدِّرَ الآ يلدغ
كلماتي ثعبانُ
لو قُدِّرَ الآ تتفجَّرُ
أوراقِي ينبوعَ رمادٍ،
لو قُدِّرَ أن تتسلَّقَ
كلماتي جبلَ الأصفادِ
لو قُدِّرَ أن ترسوُ
فوقَ ضفافِ
كفكٍ كالمجدافِ،
كاللؤلؤةِ الهاربةِ
تُطارِدُها الأصدافُ...
لو قُدِّرَ أن تنهارَ
كجدارِ أفاعٍ
وكأعمدةٍ من أظفارِ،
تلكَ الأسوارُ...
لو قُدِّرَ يا وطني
أن القاكُ

كالأرضِ البكرِ المولودةِ
من قُبلةِ زلزالٍ،
كشراعٍ قد تاهَ
وعادَ به الإعصارُ،
لسقطتُ على سيفك،
يتمزقُ قلبي
من قُبلةِ سيفك، وأراكُ

البَّحَّارُ العَائِدُ مِنَ الشَّطَّانِ المَحْتَلَّةِ

"..وَعَادَ مِنَ شَطَّانِهِ، وَقَدْ تَعَلَّقَتْ
مَوْجَةٌ عَلَى شِرَاعِهِ..."

لَوْ أَنَّ يَا حَبِيبَتِي أَشْعَارِي
تَعِيشُ كَالزَّيْتُونِ كَالْأَنْهَارِ...
لَوْ أَنَّ يَا حَبِيبَتِي الدَّوَالِي
فِي الْعَامِ مَرَّتَيْنِ تُثْمِرُ الدَّوَالِي
لَوْ أَنَّ يَا حَبِيبَتِي أَشْجَارِي
تَعِيشُ فِي بَسْتَانِ سَنْدَبَارِ
تُثْمِرُ الطُّيُورَ كَالْأَوْرَاقِ
وَتُثْمِرُ الْأَطْفَالَ كَالْأَثْمَارِ

* * *

لَوْ أَنَّ يَا حَبِيبَتِي مَلَّاحِي
يَعُودُ مِنْ جَزِيرَةِ الرِّيحِ
يَعُودُ يَرْتَمِي عَلَى الضَّفَافِ
بِالْجُرْحِ وَالشَّرَّاعِ وَالْمَجْذَافِ
فِي صَدْرِهِ عَجَائِبُ الْبَحَارِ
يَعُودُ فَوْقَ ظَهْرِهِ شِرَاعِي
وَسَلَّةُ الْهَدِيرِ وَالْأَثْمَارِ...

والعشيب والأسمالك والمحارِ
وحزمةٍ من السحابِ والرمالِ
من شَطْنَا المشرَّدِ الظلالِ...
يا عاصِرَ الشراعِ في أقداحي
موجةٌ قد أمسكتُ شِراعي
من بحرنا كقطرةِ الشَّعاعِ
لم تُرخِهٍ ومخلبُ الرياحِ
في قلبها، يا عاصِرَ الشراعِ
في قلبي العطشانِ في جِراحِي
لثَبِقِ قطرتينِ للمصباحِ

الأغنية المعصوبة العينين

أين القمرُ المعصوبُ العينينِ يساقُ...؟
وسنطُ السُّحبِ الفاغرةُ الأشداقُ،
أسوارٌ تفتحُ وظلالٌ عاريةٌ
تركضُ، أبوابُ
تُدبِحُ خلفَ الأبوابِ،
الصرخةُ علَمٌ خفاقُ
الصرخةُ... أوراقُ
تسقطُ من شجرِ اللحمِ،
غصونٌ... وثمارُ

* * *

يا وطني أين الأغنيةُ تساقُ؟
خيَطٌ من دمك الخفاقِ يراقُ
من أجلك شلالُ مرايا صفرِ،
يتكسرُ في وجهي،
شلالُ مرايا سوداءِ،
من أجلك أقحمُ أسواري...
من أجلك أرجمُ بالنارِ...

من أجلكَ أحملُ أغلالي
في مَنْفى الأرضِ كجوالِ
من أجلكَ خُبزي بدمائي...
مَعجونٌ، خُبزي بدمائي
والوجهُ المشحوذُ كَنابِ
في ظلي غُرُزَ وأشعاري...

الطابور

"إلى ص. ب"

عادَ الطابورُ...
صَحِّي أَجْرَاسَ مَدِينَتِنَا، عادَ الطابورُ،
لِيدِقْ بِكَفِّكَ مِفْتَاحَ مَدِينَتِنَا،
عادَ الطابورُ...
والكعبُ الحجريَّةُ عادَتُ،
والشارعُ كَشْرَاعِ إلهِ مَكْسورُ
صَحِّي إِسْمِي تَتَساقَطُ أَحْرَفُهُ،
أجْنَحَةُ نَسورُ،
درعاً لعيونك، لا تجرحها
أظفارُ عيونِ الطابورِ،
صَحِّي كُلِّ قَصِيدَةٍ حَبِّ فَوْقَ سَرِيرِكِ،
تَخْفِقُ كَالعَلَمِ المَنْشورِ
صَحِّي البرقِ النَّائمِ فَوْقَ ذراعِكِ كَالعَصْفورِ
فِي رِيحِ الصَّيَالِ يَطِيرُ
يَفْرطُ أَغْنِيَتِي عُنْقوداً مِنْ جَمْرٍ،
فِي شَفْتِي ناطورُ

مدينتنا المخمور...

* * *

أنا أسمع صيحة شباكك

تطعنه عين الطابور،

كغدير،

تطعنه عين الذئب العطشان المسعور

وكنار ألقمت معطفها فوق الشجر المقرور،

وكموج ألقى معطفه فوق غريق

أوشك أن يمسك بصخور،

قد ألقى الطابور

معطفه الحجري،

على عظم مدينتنا المكسور

من يجبر عظم مدينتنا المكسور؟

أين شراعك؟

في منقار الحدأة عصفور

تمضغه والريش يطير،

أعلاماً، أعلاماً، الريش يطير

إلى طفلي دالية

وكمصلوبٍ يحلمُ،
لو تلمسُ قدماه...
الأرضَ النائبةَ كنجم،
لو يمشي،
لو يسمعُ وقعَ خطاه...
أنا أحلمُ أن نمشي،
كفكُ شعلةَ برقٍ،
في كفي شعلةَ أزهار،
تحتَ الأمطار...
وورائي أعلامُ الدُّمية،
أمراسُ جليدٍ
تتلوُّ فوقَ الأسوار

* * *

ألفُ شتاءٍ قد مرَّ وما زال
مصلوبُك يا وطني يحلمُ،
لو تلمسُ قدماه،
الأرضَ النائبةَ كنجم،
لو يمشي،
لو يسمعُ وقعَ خطاه...

جراح بلا أجراس

"إلى الذين يقاتلون ولا يعلقون الأجراس
في جراحهم..."

طاحونتي لا تطحنُ الدموعُ

كفى كفى تدورُ

طاحونةُ الفراشِ والشموعُ

* * *

كفى جراحنا على أكفنا نسيرُ

ونلعنُ الصباحَ، من جراحنا يطيرُ

وغامتِ السماءُ والطريقُ

لم يُشعلِ القنديلُ...

والسحبُ ظلُّ دربنا،

والجرحُ في شراعنا،

لم يلقِ بالمنديلُ...

ونلعنُ الأنهارَ من عُروقنا تسيلُ...

لم تنحِ الأمواجُ كالندورُ

لم تُحرقِ الرذاذُ كالبخورُ

لم تملأِ الكؤوسَ بالخيرِ

* * *

تَعَلَّمُوا تَعَلَّمُوا مِنَ الْجَذُورِ ...

يَا إِخْوَتِي لَا تَنْهَشُ الْجَذُورُ

أَحْشَاءَهَا، إِنْ جَاعَتِ الْجَذُورُ

* * *

كَفَى عَلَى مِرَاتِنَا، نُطَرِّزُ الصَّلِيبُ

كَفَى عَلَى دُرُوبِنَا، نُطَرِّزُ الْعَيُونُ

* * *

تَطَلَّعُوا لَا تَرْفَعُ الْجَذُورُ

كَبِيرِقِ، جِرَاحَهَا عَلَى الْغُصُونُ

* * *

كَفَى كَفَى تَدُورُ

طَاحُونَةُ الْفَرَاشِ وَالْدُمُوعُ

في طريق الأنهار

عطشان،

واحرقة سحُبك يا عمّان،

في الصيفِ الناعقِ كالغُربان،

لم تمطر قطرة،

واحسرة موجك يا دجله

يا بردى يا راوي الغلة

واحسرة صيحة

كاللمحة...

كالجرحِ الفاغرِ وانيلاه

والنيل صدّاه يا وكّداه

قد ذبحوا البلبل

بجنّاح غراب

وأهانوا كأسَ جميع الأنهار

قد طفحت خلفَ الأسوار

* * *

يا طفلَ السُحُبِ العطشان

هي ذي أغنيةُ الأسطورة...

هي ذي لعنتنا المحفورة
أن يسقط قلبُ الجلادِ،
قُفازاً، قلبُ الجلادِ...
في كَفِّ جميع الأنهارِ

المصباح والطاقون

لم تنزل أنت،
ومصباحي على جرحك أنت،
واسمك الطائر كالخنجر
قدامك أيان ارتحلت...
صاح، محفوراً على كل الممرات الكبيرة
والممرات الصغيرة،
ويدٌ تُدفنُ في ظهركَ كالفأس،
وفي كل مسيرة...
والتعابين لها البوابة الكبرى
وأفراخ الشياطين وقُطعان كثيره
غير مصباحك، لا الليل يواريه
وعُباد المرايا لن تجيره
صاح، والمصباح لا يأكل نوره
أولو اعتصر الليل،
ولو قطرة زيت، للمصابيح الصغيرة
لم تنزل أنت
ومصباحي على جرحك أنت،
حرثوا الأرض، حرثت،

زرعوا الأرض، زَرَعْتُ،

غابة الزيتون لم تعطك

ما يملأ مصباحك زيتاً،

لَعَنُوا الغابة والأرضَ

ولكن ما لعنتُ

فامضِ كي تَغْرُسَ غاباتٍ

وأشجاراً جديدةً...

فلعلَّ اللّيلَ لا يهبطُ

في وهجِ الظَّهيرة،

والطواحينُ التي عاشت

على قمحك أجيالاً طويلة

أطعمتُ كلَّ جرادِ الأرضِ

لم تُعْطِكَ مثقالَ فتيلة،

لستَ شمشون

ومن أحببتها ليستَ دليلاً

خلَّها تطحنُ، ولتمضِ لكي تَنَحْتَ

أحجاراً لكي تَبْنِي طواحينَ جديدة

ليسَ في أرضِ جديدة

أنتَ لم تَنزِفْ كقرصِ الشمسِ

كي تَبْحَثَ عن أرضِ جديدة

فالبراكينُ التي تخمدُ

لا تهجرُها النارُ الكبيرة

جزيرة الشعارات القديمة

هوذا أنت، وأجراسك
أعشاشُ العصافيرِ الطريدهُ،
صاح، من أي جزيرة
عدتَ لا تحملُ
صُلبانَ الشعاراتِ القديمة
عضةَ الأسوارِ للأسوارِ خَلُفتَ
وللشوكِ الجراحاتِ الحزينة...
قال لي الراوي، وفي الأوتارِ
جُرْحُ المقطعِ الفاجعِ من تلكِ القصيدة،
يا بحارَ الرملِ،
يا خبزَ الأعاصيرِ الشريدهُ
شاعري، قد كانَ في تلكِ الجزيرة،
كانَ في حَقْلِ الشعاراتِ القديمة
كانَ ملقىً وسَطَ راياتِ وأجراسِ طعيتهُ
قلبهُ قرصٌ من الشَّهْدِ
وجاعتهُ سفينة...
أو لم يُشعلْ لها قَمصانه ناراً

ولم يُحرقْ قصيدة...
وبكى يسترجعُ الراوي
جراحَ المقطعِ الفاجعِ من تلكَ القصيدة:
حملتهُ، أثقلتُ ظَهَرَ السفينةِ
أثقلتهُ، أه يا صاحِ الشعاراتُ القديمةِ
ألقِ للأسماكِ يا صاحِ الشعاراتِ القديمةِ
ألقِ فالأسماكُ لا تقرأُ
والأعماقُ خرساءُ كتومة...
* * *

عضةُ الزلزالِ والصَّحوَةُ يا صاحِ،
وأنسامُ الأعاصيرِ الجديدةِ...
والطَّواويسُ الدميمةِ
ريشُها يسقطُ أشواكاً صغيرة

طابع بريد إلى القاهرة

حلفتُ بالقصيدة...
بطابع البريد وهو شُرْفَتِي الوحيدة
حلفتُ، قد عَشَقْتَهَا صغيرة
وحيثما تَفَجَّرَتْ،
وأرْحَتِ الضفيرة...
ذَكَرْتُ وردةً وريشةً صغيرة...
لبلبلٍ قد ماتَ في الظهيرة...
أَلْقَيْتُهَا في البركةِ الصغيرة...
والأعينُ الكسيحةُ القعيدةُ
تمدُّ في الظهيرة
سَلْمًا،
تمدُّه للشرفةِ النضيرة
قَصَائِدِي تراكضتُ
حُرُوفُهَا الصغيرة...
فالدَّارُ يَا حَبِيبَتِي بعيدة
سَلَّاسِلِي ثَقِيلَةٌ
سَلَّاسِلِي طَوِيلَةٌ

بَلَابِي تَمُوتُ فِي الظَّهِيرَةِ...

حَبِيبَتِي... حَبِيبَتِي البَعِيدَةُ...

لَا تَقْتُلُ الثَّعَالِبَ الضَّرِيرَةَ

كَكْرَمَةِ تَضَاحَكَتْ

قُطُوفُهَا النُّضِيرَةَ...

لَا تُسَدِّدِ الضَّفَائِرَ الطَّوِيلَةَ

فَالْأَعْيُنُ الْأَثِيمَةَ الشَّرِيرَةَ

تَجَدَّلُ الحَبَالَ فِي الظَّهِيرَةَ...

* * *

أَتَحْلِفِينَ بِالقَصِيدَةِ...

بَطَاعِ البَرِيدِ وَهُوَ شُرْفَتِي الوَحِيدَةُ

بُورْدَةٍ، بِشَمْعَةٍ صَغِيرَةٍ...

أُوقِدْتُهَا فِي اللَّيْلَةِ الضَّرِيرَةَ...

أَنْ تَكْسِرِي سَلَّاسِلِي الثَّقِيلَةَ

بَرِيشَةٍ، بُورْدَةٍ صَغِيرَةٍ...

* * *

أَتَحْلِفِينَ، قَدْ حَلَفْتُ بِالقَصِيدَةِ...

بَطَاعِ البَرِيدِ، وَهُوَ شُرْفَتِي الوَحِيدَةُ...

طائر من الرماد

الشاعرُ الذي مضى كغيمةٍ،
وغابَ ثمَّ عادَ...
كطائرٍ من الرمادِ
كحزمةٍ من الدُخانِ
يَعَضُّ في عيونِ مُلهميه
في كتابِ،
قصائدِ الزمانِ يا حبيبتي،
وعبرةَ الزمانِ...
ويُطعمُ الفراشَ للجرادِ
والدرَّ للخنزيرِ، والورودَ للكلابِ
الشاعرُ الذي مضى على ضفائرِ الرياحِ
وكانَ تحتَ قُبَّةِ الظَّلامِ،
في وداعهِ الصِّباحِ
الشاعرُ الذي مضى محارباً
وعادَ يسحبُ الجناحَ
الشاعرُ الذي رمى على المقابرِ السِّلاحَ
وعادَ يُلقي الشوكَ في عيونِ ملهميه،

يلعقُ المدادُ...
ويمضغُ الأوراقُ
ويغمدُ الحروفَ في الأحداقِ
الشاعرُ الذي مضى كغيمةٍ،
وغابَ ثمَّ عادَ
كطائرٍ من الرمادِ
تذودهُ الأشجارُ عن غصونها،
ويبصقُ الصيَّانُ...

أجراس من طين

النجدةُ يا وادي عبقرُ
قد هَجَمُوا بالقمر الأَخضرُ
واختَطَفُوا نيرانَ الهيكلِ
واعطَشِي للمجرى الأَوَّلِ
ولخِيطِ في ذاكَ المغزلِ

* * *

فتعالوا زمراً فالمذبحِ
من غيرِ دمَاءٍ والجدولِ
ما زالَ على كَفِّ المنبَعِ

* * *

أجراسٌ من زبدٍ تلمعُ
أجراسٌ من طينٍ تدمعُ
تستجدي الرياحَ لكي تفرغُ
وصلاةً في وادي عبقرٍ...
وسجينُ القافية المَلجَمِ
كالطائرِ بالريشةِ يلجَمِ
يَدْمَى، يَتَمَرَّقُ، لا يَحُلَمُ

وبراقُ القافية المُعَلَّمُ
من قدحِ سنابكه الأنجمُ
قد طارَ بهِ الطفلُ المُلَهَمُ
وسنزرعُ نهراً لن نقلعُ
ظلاً أو حرفاً يتضوَعُ
في روضِ المتنبي الأخصرُ
وستَجري الأحرفُ كالأشرعُ
في بحرٍ مفتوحٍ الأذرعُ
* * *

أجراسٌ من زبدٍ تلمعُ
أجراسٌ من طينٍ تدمعُ
تستجدي الرياحَ لكي تفرعُ
وصلاةٌ في وادي عبقرٍ...

أغنية إلى زنجي أميركي

هل يصدأ هل يذبل
ظلُّ المصلوب وينطفئ البلبل...؟
لا يا جيمي ولسون
قمري لن يسقط كالجمرة،
في قاع الجدول...
لؤلؤتي لن تتعفن
في الصدفة، تتعفن
عالمنا لن يجبن
لن يأكل ساعده.
لن يوقد
رايته، كي يرقد
في الدفء الوحش،
ولن يفرد
في مستنقع...
سجائك أشرع...
يا جيمي ولسون...
ما أسماء

أطفالك، ما اسمُ يمامتكَ البيضاءُ

ما عنوانُ

بيتك إن كانُ

لكَ بيتٌ أو عنوانُ

يا جيمي ولسون؟

أنا أعلمُ

أنك تلعنُ

ألهةَ الخبزِ الأبيضِ والأسودِ

أنك تتمرَّقُ

هل تُحرقُ في سِجِّنِكَ

أم تشنقُ

لكنكَ تحلُمُ،

فوقَ صليبِكَ تحلُمُ

بذراعِ سبارتاكوسِ تلمعُ

والعالمُ يولدُ

منها سنبلَةٌ فوقَ جبينِ

الأبيضِ والأسودِ

المطلوب على ناطحة سحاب

... لا ليست روما،
قد سقطت فوق السيف الخافق كالراية،
روما،
والقيصر قد مات،
والبابا ما عاد
يبيع صُكوك الغفران
يا وطن جميع الألوان
إلا لون الإنسان
كذاب....
حتى الحبر الصخّاب
في شريان المطبعة،
وحتى الشبّاك
في البيت الأبيض كذاب
فأبو الأطفال
ما زال على ناطحة سحاب
مصلوباً ما زال
والقاتل ما زال

كأله الأجراسُ
أمطارٌ... أمطارُ
أعلامٌ... أزهارُ
وهدايا تكساس
تُفازُ من ماسُ
وقناعاتُ من ماسُ

دُقِّي يا أجراس الكومون

"باريس قبيل انتصار ثورة الجزائر والكعوب
الحديدية لمنظمة الجيش الفرنسي السرية
تعض شوارعها"

باريس... النَّارُ
ستُضرمُ في لوحات
بيكاسو في أبيات
إيلوارَ وفي حدقات
عيونِ العمَّالِ
قد عادَ إلى الساحاتِ
من وُلدوا من خُطواتِ
"بيتان" براية "بيتان"
رَيْنُ يا قيصِرَ "عائلة الغيلان"
أجنحة الطاووسِ المنتوفةِ
بالصلبانِ المعقوفةِ...
ما أقصرَ خُطواتِ الطاووسِ
في ساحاتك يا باريسُ
قد عادَ إلى الخفقانِ
قلبُ تيريه "الثقوبُ"

دُقِّي يا أجراسَ الكومونْ
وإلى المتراسْ
رفاقي الحراسْ،
ما زالَ هناكَ نهارُ
بلا أسوارُ
يا بدرَ قصائدِ "إيلوار"
في ليلِ الفاشيةِ
ابزغْ من شفتي "أراجون"
أغنيةً
للحريةِ.

أسطورة غيلان الثلج

غيلانٌ من ثلجٍ،
يدفعها الموجُ،
للشاطيِّ صيَّادٌ يصرخُ:
أينَ الشَّمسُ؟ ...
— لا تفرغُ ...
أنا لم أسمع
عن أيِّ سماءٍ،
يتخشَّبُ فيها الغيمُ،
عن قطرةِ ثلجٍ،
صارتُ لؤلؤةً حمراءُ
لم أسمعَ نجمةً،
قد سقطتُ فحمةً،
في نارِ المرتعشِ، سجينِ القِمَّةِ ...
هي ليستُ أسطورةُ
غيلانِ الثلجِ المقرورةِ
بعيونٍ من زلفٍ،
ومخالبٍ من رملٍ،

تعدو في الظلّ
الأسود كالليل،
لا تسأل أين الشمس،
شمسك في أضلع غيلانِ الثلج
أطبعها بالفأس،
تتفجّر والغيلان،
تتكسر كالعيدان،
من زبر ودخان

الموت في العام العاشر

"...وكانت العادة في تلك البلاد، أن ترجم العاقر، في الشهر التاسع من العام العاشر لعقمها حتى الموت، ولو كانت العاقر هي الملكة..."

الشهرُ السابعُ والثامنُ
في العامِ المرصودِ العاشرُ
قد ولّى والملكةُ عاقرُ
ما شفَعَ الكاهنُ والساحرُ
والملكُ المحزونُ الناحلُ
قد جرَّ من الشوكِ سلاسلُ
يطوي الأسواقَ بلا طائلٍ...
من يُعطي الثمرةَ للعاقرِ...؟
كي تلدَ ولو ريشةَ طائرٍ!
العامُ الموعودُ العاشرُ
والملكةُ كإلهِ خائفُ
من ضوءِ المصباحِ الراجفِ
تخشى المكتوبَ ولا دافعُ
لقضاءِ اللّوحِ ولا شافعُ
آنُ تُرجمَ في الشهرِ التاسعِ
في العامِ المرصودِ العاشرِ

أن تُرجمَ للموتِ العاقرُ... ..

* * *

الليلةُ ثعبانُ زاحفُ

والملكةُ كالشبحِ الطائفُ

كالكرمةِ تنتظرُ القاطفُ

والديكُ على الشرفةِ ساهرُ

والحجرُ العطشانُ الحالمُ

بجبينِ الملكةِ والراجمُ

في مللٍ ينظرُ للراجمُ

* * *

النورُ خيوطُ تتسابقُ

كي تغزلَ للموتِ بيارقُ

الملكةُ في الشهرِ التاسعُ

الملكةُ كالقدحِ الطافحُ

شهقاتُ في القصرِ وصائحُ

والديكُ على الشرفةِ صائحُ

والملكةُ قد ولدتُ طائرُ... ..

من ألقى في بطنِ العاقرُ

بالريشةِ، من كانَ الساحرُ؟

والحجرُ العطشانُ الحالمُ:

يصحو، يتفتتُ والراجمُ

قد سقطَ على ظلِّ الراجمُ

قبل أن يصيح الديك

أحبابنا وقبل أن يلوح،
الفجر، قبل أن يصيح،
الديك، واحد من الذين يغمسون
سنابلي بضوء شمعتي ويأكلون
مرة ومرتين،

يا أحبابنا يخون...
ويتبع الذين يشعلون
النار في اسمي،
والذين يرحمون
قصائدي وينكرون
سيفها مسمراً على الصليب

* * *

أحبابنا وبعد أن يلوح
الفجر، بعد أن يصيح
الديك، من ذريتي رفيق...
أضاء من ضلوع
صليبي المزروع.

فِرْ أَرْضَكُمْ، يَقُودُكُمْ إِلَيَّ
حَيْثُ صَارُ
لِلصَّلِيبِ يَا أَحِبَابَنَا جُذُورُ
وَحَيْثُ فَوْقَهُ، سَيْفُ قَصِيدَتِي قَطُوفُ
مِنَ السِّيُوفِ

النهر الثالث في العراق

أنا لن أراك، ولن تراني فالموانئ والبواخر
والطائرات وكل ما هو للحقائب، والمسافر
مسدودة إلا المسالك، للسجون أو المقابر

أنا لن يطير إليك صوتي فالإذاعة والمطابع
والبرلمان وكل أبراج المصانع والمزارع
للمانعين سوى الكلام، مع البنادق في الشوارع

أنا لن أخط رسالة لك لا طوابع لا رسائل
تصل الرصاصة بالرصاصة والمقاتل بالمقاتل
فهنا يخافون الأغاني والطوابع والرسائل

عبثاً تفتش في الخرائط والمعارض والمراسم
لا لن تراها أو تراني، لن ترى غير العواصم
غير المتوج بالحديد على الطوابع والدراهم

وأنا وهذي الأزرع الحبلى وما ولدت رهائن
من شارع قذف الرنات على الوجوه على المساكن

أوثائرين معلقين على المطاحن والمكائن

لكنها نُقِشَتْ على يد كل كادحة وكادح
يتقاسمان الموت في مستنقعات "الشيخ رايع" ...
علم عبائته تُظَلَّلُ، كل مذبوح وذابح

أنا لن أراك وربما ذابت ثلوجك في الخنادق
فذكرت دجلة والفرات وخفق أشرعة المشانق
فهناك نهر ليس تذكره الخرائط والوثائق

من "نقرة السلمان" ينبع والسجون له روافد
أنا لست أملك غير قيثاري وصلبان القصائد
واشوق راياتي الحبيسة للشوارع والسواعد

سواعد من بارود

قاسِ كسواعد من بارودُ
كعطرٍ رعودُ،
كبيارق من ريشِ جناحِ الإعصارِ
كقصائد عمدها الشاعرُ في النارِ
مُرِّ كرمادِ دموعِ الأطفالِ
قاسِ كظلالِ العمالِ،
قد كانَ يرفرفُ صوتك يا بغدادُ،
من راحِ يرشُ دماءك في كلِّ طريقِ
ويصيحُ الأرضُ المخمورةُ، ليس تفيقُ،
وجراحك، ودمائك قبضُ الريحِ
وصليبك لن يولدَ منه مسيحٌ...
يا رمشاً يضحكُ في سوطِ الجلادِ،
يا وحشاً من زَبَدِ.
قد مدَّ المخلبَ والنابُ
في وجهِ الإعصارِ،
وغراباً من حطَبِ، قد جُنَّ
فمدَّ المنقارُ،

يلتقطُ الجمرَ من النارِ
هي ذي راياتُ الأسوارِ
تطعمُها الريحُ إلى النارِ
وأنا العطشانُ الصدّاحُ
أشربُ من كأسِ الأرضِ وقد حَبِلتُ
من قُبلةِ فلاحِ،
نخبُكمو، نخبَ الأغلalِ
ولدتُ أجراسَ الزلزالِ...

لمن الشارع

لمن الشارعُ، مَنْ يملكه:
نحنُ أم مَنْ يملكُ الجيشَ الكبيرُ
طُرِدَتْ مِنْهُ الجماهيرُ التي
خَفَقَتْ مِنْ قَلْبِهَا فِيهِ الْقُصُورُ
لم تُعْذُ تَدْوِي بِهِ صِيحَاتُهَا
وهي فِي هَبَّتِهَا الكُبرى تَسِيرُ
أَعْيُنُ الأَطْفَالِ لَنْ أزرعها
فِي حُقُولِي، لستُ حَصَادَ قُبُورُ
* * *

لمن الشارعُ لا ظلَّ بهِ
يا رفيقي، غيرُ أشباحِ الجنودِ
غيرُ قَفٍّ، من أنتَ تَدْوِي كَلِمَا
مَلَأَ الشَّارِعَ ظِلُّ لَشْهيدِ
غيرَ أَنَّ الشَّارِعَ الدَّامِي لَنَا
رَغَمَ مَا رَشَّوْا عَلَيْهِ مِنْ جُنُودِ
أَوْ مِنْ ألسنةِ النيرانِ ما
أَعَذَبَ الزَّنْبِقَ نَجْنِي وَالْوَرُودِ

السيف على العنق

أخي، لو شَحَذُوا السَّيْفَ عَلَى عُنُقِي فَلَنْ أَرْكَعُ
وَلَوْ فِي فَمِي الدَّامِي حِبَالُ سَيَاطِهِمْ تُنْقَعُ
فَلَنْ أَرْجِعَ عَنْ فَجْرِي، لَنْ أَرْجِعَ، لَنْ أَرْجِعُ
وَقَدْ أَوْشَكَ أَنْ يَطْلُعَ، قَدْ أَوْشَكَ أَنْ يَطْلُعَ
مِنَ الْأَرْضِ الَّتِي مِنْ ثَدْيِهَا بَرَكَائِنَا يَرْضَعُ

* * *

أخي، لَوْ جَرَّنِي الْجَلَادُ قَدَامَكَ لِلْمَذْبَحِ
لَكِي تَرْكَعُ، تَرْجُوهُ بَأَنْ يَعْفُو وَأَنْ يَصْفَحَ
أخي، ارفَعْ رَأْسَكَ الشَّامِخَ كِي تَشْهَدَنِي أَذْبَحُ
لَكِي تَشْهَدَ جِلَادِي، وَالسَّيْفَ الَّذِي يَرِشِخُ
أخي، مَنْ يَفْضَحُ الْجَلَادَ، غَيْرُ دِمَائِنَا تَفْضَحُ

* * *

لَقَدْ خَطَفْتُهُ فِي اللَّيْلِ بِنَادِقِهِمْ مِنَ الْخَنْدَقِ
وَفِي لَيْلِ الزَّنَازِينِ رَمَوْهُ رَايَةً تَخْفِقُ
عَلَى الْأَغْلَالِ نُوقِدُهَا مَشَاعِلَ فِي الدُّجَى تُحْرِقُ
وَفَوْقَ رَمَادِهَا نُصْغِي إِلَى الْمُسْتَقْبَلِ الْمَشْرِقِ
تَصْرُ خَطَاهُ كَالْمِفْتَاحِ فِي سَجْنِ الدَّمِ الْمَغْلُوقِ

إلى المناريس

يا أيادي، خريطة لبلادي
نامَ عنها الثوارُ قبلَ الحصارِ
رغمَ العذابِ والاضطهادِ
بفجرِ الحرّيةِ الوقارِ
عنه في قوّةٍ وعنادِ
بدماءٍ فالفجرِ لا بدّ بادي
فما كانَ بخلفِ الميعادِ
والأيادي تشابكتُ بالأيادي
لا يعيشُ البركانُ تحتَ الرماحِ
فأعلامُ شعبنا في ازديادِ...
أمّهاتُ الحبالِ والأصفارِ

ارسمي من دمي ومن أصفادي
واحصدي من جبالها زهراتِ
قدّميتها لكلّ من رفعَ الرايةَ
من يداهُ في القيدِ لكنّ عينيهِ
أيها الرافعونَ أعينهمُ تبحثُ
إن رأيتُم سحائبنا مثقلاتِ
وعدتنا أنوارهُ صدقَ الفجرُ
الضحايا قد عانقتها الضحايا
فنهوضاً إلى النضالِ نهوضاً
ولنغطّ السماءَ بالعلمِ الدامي
ولنسرّ تحتها خطى ولدتها

لك الجماهيرُ أبناءُ بلا عَدو
 إن يُغلقوا بيتنا الدامي فقد فتحوا
 من خلفه قضبانهُ نرَمي الدماءَ على
 إنّا جعلنا "طوابيه" منابرنا
 قد أقسمت هذه الأيدي وما كذبتُ
 بأن سترشحُ في أغلالنا لهباً
 من عيشك المر، يا أمي وهل سنةٌ
 من غير أن ينقعوا في القيد كل فم
 مشى الطريق ولم يرهَبْ وُعورتها
 أمامه كلُّ من لم يُلِقِ رايتهُ
 هو الكفاحُ فخطي يا مطارقهُ
 إن يمنعوا نشره فلتطبعيه على
 وعند أسماء من عاشوا الكفاحَ وهمُ
 وقبلي أحرفاً قد رسختُ قدماً
 خطتُ تقاليدَ شعبٍ عاش مجرمهُ
 محاصرٌ بالدم المسفوح قد رَحفتُ
 هي الحقيقةُ يا أماهُ تُدفننا

فلست وحدك يا أمأ بلا ولد
 لنا الزنازين بيتاً شامخ الزرد
 مكبلينا رصاصاً من فم ويد
 وفي "العنابر" حيث اصطف جيشُ غر
 بالشعب لم تنحرف عنه ولم تحدر
 حتى تحررنا من عيشنا النكد
 تمرُّ من غير أن تُنفي من البلد
 أبى يساومُ في حقٍّ ومعتقِد
 وليس غير أيادي الشعب من سند
 وخلفه كلُّ منهارٍ ومرتعِد
 بقيد مضطهدٍ تاريخٍ مضطهدٍ
 نور الدماءِ وفي حقدٍ وفي جلد
 مطاردون بلا أسماء فاتندي
 للشعب كالجنر كالشريان في الجسد
 رغم المشانق والإرهاب في سهد
 سيوله فتطلع ليس من مدبر
 بغيرها القلب لم يدفأ ويتقِد

لَنْ يَخْدَعَ الشَّعْبَ مَنْ لَوْ فَتَّشَتْ يَدُهُ
أُمَاهُ إِنْ عَادَ أَبْطَالَ الْكِفَاحِ عَلَى
وَيَسْأَلُ الشَّارِعُ الْوَلَهَانَ: أَيْنَ مَضُوا
أُمَاهُ مَهْمَا احْتَوَانِي الْقَيْدُ مِنْفَرِدًا
إِنْ كَانَ قَلْبِي خَفَاقًا إِلَى أَمْرِ
بِرَايَةِ الشَّعْبِ يَكْسُوكِ الرِّفَاقُ إِذَا
وَإِنْ يَعْضُكَ نَابُ الْجُوعِ مَفْتَرِسًا
مَنْ لَمْ تُوَدِّعْ بِنِيهَا بَابْتِسَامَتِهَا
سَوَى مَفَاتِيحِ سَجْنِ الشَّعْبِ لَمْ تَجِدِ
مَوْجَ الْكِفَاحِ الَّذِي يَعْلُو وَلَمْ نَعِدِ
مَا بَيْنَ مُخْتَطَفٍ لَيْلًا وَمُفْتَقَدِ
فَإِنِّي بِنِضَالِي غَيْرِ مَنْفَرِدِ
قَلْبُ الْجُمَاهِيرِ خَفَاقٌ بِبَلَاءِ أَمْرِ
عَرِيْتِ فَامْشِي بِثَوْبٍ بِالدَّمَاءِ نَدِي
فَقَدْ عَجَبْنَا رَغِيْفًا مِنْ ضِيَاءِ غَدْرِ
إِلَى الزَّنَازِينِ لَمْ تَحْبَلْ وَلَمْ تَلِدِ

الأشجارُ تُموتُ وأَقفَةُ

الكراسة الأولى

الوجه الآخر للشجرة

كإله من غيرِ يدينُ
تتبعني يا وطني و غرابُ البينُ
يعرجُ قدامي ويصيحُ إلى أين؟
يا طالبَ رأسِ القيصرِ،
يا حافي القدمينُ
من يشربُ من كأسِي مَنْ؟
النهرُ الواقفُ كالشجرة، لا يتبعُ نجمينُ
السيفُ انكسرَ وما ضاجعَ غمدينُ
مُتَ بينَ الجبلينِ
لم تُشعلْ نارينِ، ولم تسلكْ دربينُ
لم تطرُقْ بابينِ
طائرُك الميِّتُ في كفِّك
ما غرسَ المنقارَ بكفينِ
فإلى أينَ إلى أينَ
إلى أينَ
يا طالبَ رأسِ القيصرِ
يا حافي القدمينِ!

ثلاث كؤوس لأهل الكهف

(١)

الكَاسُ الْأُولَى آهُ
سَقَطَ الْأَسَدُ وَجَرَ النَّخَاسُ الْأَشْبَالَ
وَالْمَخْلَبُ كَالزَّهْرَةَ، وَالنَّابُ كَعُودِ الرِّيحَانُ
يَا مَنْ يُرْسَلُ فِي اللَّيْلِ الْمَوَالِ
الكَرْمَلُ مَا زَالَ بَعِيداً،
وَالخِنْجَرُ فِي ظَهْرِ الْقَمَرِ الْجَوَالِ
قَلْبِي انْفَطَرَ عَلَى جَبَلِ النَّارِ
هُزُّ التَّيْنَةِ، هُزُّ الزَّيْتُونَةِ،
لَا تَقْرَبُ شَجَرَ الْبَارُودِ
قَرَأُوا حَتَّى ابْيَضَّتْ أَعْيُنُهُمْ،
وَانسَكَبَ مَعَ اللَّيْلِ الْمَوَالِ
كَبُرَتْ فِي الْقَفْصِ الْأَشْبَالَ
وَالغَابَةُ تَحْتَ بَسَاطِ الشَّاهِ
الكَاسُ الْأُولَى آهُ

(٢)

وَالكَاسُ الثَّانِيَةُ الْمَنْقُوشَةُ

فِي لَوْحِ الْكِرْمَةِ آه
سَرَقُوا مِصْبَاحَ عِلَاءِ الدِّينِ
وَأَصْبَحَ عَبْدَ الْأَشْرَارِ
يَا وَلَدِي الْجَنِيِّ الطَّيِّبِ
وَصَدِيقَ الْفُقَرَاءِ
اغْرَسْ نَائِكَ فِي قَلْبِي
فَالآهُ عَلَى الْجُرْحِ دَوَاءُ
وَاحْمِلْ مَجْدَاكَ وَاتَّبِعْنِي،
مَا قُدِّرَ كَانَ
يَافَا تَرَحُّلُ، قَدْ هَرَبَ،
بِمِفْتَاحِ الْبَحْرِ الرَّيَّانِ
أَوْ مِنْ قَلْبِ الْبَحْرِ
وَمِنْ قَلْبِي آه

(٣)

وَالكَاسُ الثَّلَاثَةُ الْمَشْوُومَةُ

آه

قَدْ أَقْبَلَ آذَارُ
وَاسْتَيْقِظَ أَهْلُ الْكَهْفِ
وَأَرْخَى أذْنِيهِ الطَّبْلُ
وَفَتَّحَ عَيْنِيهِ الْمَزْمَارُ
الشَّارِعُ فِي قَدَمِيهِ الْأَغْلَالُ

يمشي يا وُلدي ألفُ شعارُ
يرجمُهُ التاجرُ واللصُّ
وعمرُ المختارُ
مَشنوقاً يتدلَّى،
قارورةَ طيبٍ،
يكسرُ في قدميه الأشرارُ

العندليب في البئر

للتعابينِ جحورٌ، للعصافيرِ فننُ
أه للميمتِ كفنُ
ولكلّ الناسِ في الأرضِ وطنُ
ذلك الوشمُ على صدركِ
يا حُبلى لمن؟
أرضعي للوائدِ الأنثى
وللسبيِ الذكْرُ
وضعوا الفأسَ على أصلِ الشجرِ
فمتى تنطقُ يا بوقَ الحجرِ؟
أنتَ يا رمحَ الخشبِ
أبدأ تنبُحُ في وجهيَ يا رمحَ الخشبِ
سَقَطَ الفارسُ في السركِ
وأعياهُ التعبِ
أكلَ الضبعُ على الدرعِ طويلاً وشربُ
إيه يا قافلةَ السبيِ،
لقد طالَ السَفَرُ
سَقَطَ الظلُّ على الظلِّ

وضيَّعتُ الأثرُ
ودليبي قتلتُهُ الرِّيحُ
ألقتهُ على البئرِ حَجْرُ
سألوني كيفَ في السَّبي
أغنيَ ولمن؟
أه علقها على ذاك الوترِ
سمكاتِ الساحرِ الأسودِ
في ضوءِ القمرِ
لم يزل يوسفُ في البئرِ ومَن
أه قد ألقى له الحبلَ هَلَكُ
مُدَّ ألوانك يا قوسَ قُزَحِ
مُدَّ ألوانك فالحبلُ انقطعَ

يافا في بطن الحوت

النَّسْرُ من تابوته الحجريُّ
بالمصباحِ طارُ
بجناحه شقَّ الجدارُ
سمٌّ ولؤلؤةٌ بكأسك،
أيها الأعمى حذارُ...
ودمٌ ومعجزةٌ بلا قمرٍ
تسيرُ بلا حجابِ
قمصانُ عثمانَ التي بليتُ على الأيدي،
ومُصْحَفُهُ المخبَّبُ بالدماءِ
في كلِّ ساريةٍ قميصٌ خافقٌ
وفمٌّ على بوقٍ مُعارُ
يافا ببطنِ الحوتِ ما زالتُ
يجوبُ بها البحارُ
الحوتُ تاهُ
من ذا يدلُّ الحوتَ يا طفلي
ويطويه العبابُ؟
من ذا يعلِّقُ في رِقَابِ
هذي الذنابِ السَّوِّدِ
أجراساً،
ويطمعُ في الإيابِ؟

غصن ليمون

إلى إسماعيل شموط

العينُ المخلبُ في الغابِ
تبحثُ عن صيدٍ والحدأةُ
شاختُ، راحتُ تتوكأ فوقَ جناحيها
نَحَرَ السوسُ المنقارُ
يا مَنْ يسكبُ في الكأسِ
خَرِيرَ الألوانِ
الشمسُ اللبؤةُ قد شَبَقَتْ فحذارُ
من نرجسِ عَيْنِيها، من سُرْرِ الزنبقِ،
من بَرَقِ اللَّوْنِ القَتَالِ
يا غصنَ الليمونِ الجوّالِ
دارتُ كالطاحونِ،
على الأجنحةِ الأيامِ
وانتحبَ البلبُلُ،
فتَّحَ عَيْنِيه، الطفلُ الميِّتُ
في البستانِ
رَقَدَ على تابوتِ الثلجِ البركانِ
بَصَقَ على وجهِ القمرِ الثعبانِ

أنتن فوق الجبلِ القربانُ
سكتَ العودُ
واحترقَ العنقودُ
أجراسَ ورودُ
يقرعُها طفلٌ قد عصبوا عينيه،
أجراسَ ورودُ
واللُدُّ على ظهركَ،
والنارُ بساطٌ ممدودُ
وجرادٌ قد حطَّ على حقلِ جليدُ
والريشةُ عطشى،
قد بسطَ جناحيه التنينُ
فوقَ الينبوعِ المختومِ

جواز سفر فلسطيني

للسائح العجوز، للطاوس،
للمهرب السعيد
نوافذ القطار، صولجان البحر
ريشة العنقاء للأمير
شباك هذي الأرض، بابها،
بطاقة المروز
يا هذه الأخشاب سُندت
يا هذه الحدود
طرقت باب من أحب،
ردني ناطور بيته الشرير
وقد أتيت حاملاً متراسي الصغير
أكلت ما في جعبتي،
شربت ما في قربتي
ولم أزل أسير
جوادي الوحيد قد نحرته،
أكلته مع الوحوش والصقور
حتى السراب، لا يؤمل العطشان

لا يلوحُ
والريح سيرُها في صدرها،
فلا تبوحُ
والنبعُ تحتَ هذه الصخورِ،
من يزحزحُ الصخورُ
وكل ما اشتهيتُ في مخالِبِ السباعِ
في مخالِبِ النسورِ
أتممتُ ألفَ دورةٍ، ولم أزلُ أدورُ
وهذه الوحوشُ حولَ خَيْمِتي تدورُ
متى أراكِ، إنني أموتُ،
أموتُ في مغارةِ الضباعِ
في خيوطِ عنكبوتِ
أموتُ لا يمرُّ نَعْشي الصغيرِ
تحتَ قوسكَ الكبيرِ

الدم والمستنقع

أرخصُ من مياه ذلك المستنقع النتنُ
أرخصُ من زجاجةٍ من العرقِ
دماؤنا،
أرخصُ من منديلِ مومسٍ،
من قطعةِ الصابونِ،
لحمنا،
من كسرةٍ من الحطبِ
أرخصُ من لجامِ بغلةٍ،
شرياننا،
أذلُّ من وتدٍ
ببرقنا، يا ناظمَ القصائد العجبِ
يا راجمَ الخطبِ
في وجهنا، يا أكلَ اللهبِ
تعال واصطحبِ
سلطانةَ الغناء والطربِ
فقبرُ مَنْ تُحبُّ مرتينِ يحفرونِ،
قبرُ مَنْ تُحبُّ

ناري بلا لهب
ونجمتي بلا ذنب
وحدوة الحصان كل ما كَنَزْتُ،
لا تغب
يا أيها العصفورُ في السُّحُبِ
ما زلتُ فوقَ نَعَشِكَ الملعونِ أنتحبُ
وكيفَ هذه الإوزةُ الخشبُ
تُعطي لمن يَنوحُ،
بيضةً من الذهب؟

القمر بعد ثمانية عشر عاما

هنا توقّف الأثرُ

هنا القمرُ

خلفَ الصخورِ والخيامِ والشجرُ

يضاجعُ الذئابَ والكلابَ والحجرُ

هنا القمرُ

يبيعُ وجهه، في كلّ ليلة،

بخنجرٍ، بشمعةٍ، بخصلةٍ من المطرُ

لا تلقِ في نيرانهم حجرُ

لا تسرقِ الخواتمَ الرُّجاجَ،

من أصابعِ الغجرُ

ناموا، ونامتِ الأسماكُ والنجومُ والشجرُ

هنا توقّف الأثرُ

هنا المخاضُ جاءَ للقمرُ

فلتعطه خواتمَ الرُّجاجِ،

والأساورَ الزرقاءَ،

يا قبيلةَ الغجرُ

المومس وزهرة عباد الشمس

تلك المومسُ ذائعةُ الصيتِ
من كنتَ تحبُّ،
وما زلتَ تحبُّ،
خاتَمها في غصنِ الزيتونِ،
خاتَمها في القلبِ
سقطتْ زهرةُ عبادِ الشمسِ
طَفحتْ يا وطني الكأسُ،
باسمكَ قد سدّوا الدربُ
وانطلقَ من القفصِ الذئبُ
باسمكَ تلكَ المومسُ،
ترقصُ بقناعِ الرّبِّ
باسمكَ يتدحرجُ
رأسُ الرّبِّ

ثلاثة رابعهم كلبهم

... وجاءَ عاويًا مِنَ الذنابِ
أعورُ الذنابِ
أثعلبُ المقطوعُ ذَيْلُهُ
وأكلُ الديدانِ والدُّبابِ
وتاجرُ الأجراسِ والضَّبَّابِ
دعوتهم إلى كتابِ اللهِ والكفاحِ
فمشطوا اللّحي وأقبلوا،
أعلامهم، على أسنّةِ الرماحِ
أيديهمُ على مَقابضِ السيوفِ
أيديهمُ التي عَرَفَتْهَا،
برأسِ كلِّ ثائرٍ تطوفُ
الماءُ في فمي: لكنّما الكلامُ
إن لم تَقْلُهُ مثلُ عَضَّةِ الثعبانِ،
يَقْتُلُ الكلامُ
قد شمّرتُ عن ساقها،
يا فارسي الأيامِ
ثلاثة، وكلبهم مَضُوا،

والآخرونَ سرَّجوا الخيولَ
ماذا أقولُ للذينَ يسألونُ؟
الماءُ في فمي لكنَّما في الجرحِ،
لا تبيضُ هذه السكَّينَ

مصباح علاء الدين إلى صهبا

أعطيك طيرَ الرُّخِّ، يا حبيبتِي،
أعطيك خاتمَ الطَّلَبِ
أعطيك كنزَ الماردِ المخبوءِ في السُّحْبِ
وكلَّ ما أعطاني العدوُّ والصدِيقُ
وكلَّ ما جمعتهُ، من بيضِ هذه الحَيَّاتِ،
في الطريقِ
وما التقطتُ من أساورِ الثعالبِ الخضراءِ،
والطيورِ،
لو عادَ من جزيرةِ الغيلانِ،
ذلكَ المحاربُ الصغيرُ...
لكنَّ طيرَ الرُّخِّ طارَ،
ريشةً لم يُعطني،
وهاجرتُ بكنزها السُّحْبِ
واسترجعَ الجنِّيُّ خاتمَ الطَّلَبِ...
ما زلتُ أنتظرُ
فلتعطِ صخرةُ العذابِ،
كلَّ ما في قلبها من الزَّهرِ

ولتعطِ هذه الأشواكُ،
أخَرَ الثمرِ...
ما زالَ في العُنُقودِ حَبَّةٌ،
وفي السَّحابِ،
قطرةٌ من المَطَرِ،
ما زالَ في المِصباحِ،
شَهقةٌ من الزبدِ...
مَنْ قالَ طيرُ الرِّيحِ عاقِرٌ
وهذه الأمواجُ لن تَلِدُ؟

الكراسة الثانية

من أوراق أبي ذر الغفاري

(١)

وسارَ وحدهُ وماتَ وحدهُ وعادَ،

يصيحُ متُّ لم تزل،

بقيةً من الكلامِ في فمي

نُفيتُ مرتين، مرَّةً هنا،

ومرَّةً هناكَ في الحديقةِ المعلقةِ

بلوتُ صحبةَ الملائكةِ

بلوثها، سئمْتُها،

ضجرتُ من ولدانها المخلدين، حورها المزوقةِ

وخميرها المعتقةِ

وعدتُ يا معاويةَ

ألقي بشعرةِ الذئاب،

في مغازلِ العناكبِ المشردةِ

(٢)

السيفُ ليسَ مثلما تُصوِّرونَ والكتابُ

يا أيها الذئاب،

قسَّمْتُمُ الأسلابُ

فللمهاجرين حَفْنَةً من الزَّقُومِ،
جرعةٌ من الغِسلينِ للأنصارِ،
بلالٌ لم يزلْ مؤدِّناً
في ثُقبِ إبرة، بلالٌ
ولم يزلْ عثمانُ،
يداهُ تُقَطِّعانِ أرضَ الله،
وهو خاشعٌ يرتلُ القرآنُ

(٣)

لمنْ ثمارُ هذه السيوفُ
قاتلتُ في البحارِ والقفارِ
وساقتِ الرياحُ والرِّماحُ للخليفةِ القعيدِ
ألفَ مركبٍ وهودجٍ من الذهبِ
وصارَ للولاةِ، ألفَ قينةِ،
وألفَ قصرٍ،
وألفَ بئرٍ خمرٍ
وألفَ فمٍ...

(٤)

في كلِّ ليلةٍ يدقُّ بابي السيِّافِ
كيسُ النُّصارِ في يمينه،
والنطعُ في يسراهُ
يقولُ لي أثقلتَ بالكلامِ،

كفّة الميزانُ

يقولُ كائزُ الدماءِ في العروقِ
معانقُ الخيولِ في نهايةِ الطريقِ
يا صاحبي حذارُ
من سقطَةِ اللّسانِ
فبغلةِ الأميرِ خَلَفَ هذهِ الجدرانِ
تسمعُ الكلامَ
أميرُنا جباله طويلاً،
وسيفه قصيرٌ...

(٥)

مَنْ سَوْفَ يُعْطِي غَمْدَهُ،
للسيفِ كي يموتَ؟
مَنْ سَوْفَ يُعْطِي جِلْدَهُ
مَنْ هذه الحياتِ لي كفنَ؟
مَنْ سَوْفَ يَكْسُو الرِّيحَ في القفارِ
ثوبَهُ الوحيدَ؟
لو تَهْتَدِي إِلَيَّ أَيُّهَا الصِّدِيقُ
والذئبُ في الظلامِ نجمةً
تُنورُ الطريقَ
لو تَهْتَدِي إِلَيَّ أَيُّهَا الصِّدِيقُ!

أهلام عبد الله بن المقفع

وَشَيْتَ بِي، قَتَلْتَنِي،
وَكُنْتَ شَاهِدًا عَلَيَّ فِي بِلَاطِ دَبْشَلِيمِ
وَكُنْتَ صَاحِبِي الْقَدِيمِ
سَقَطْتُ مِنْ مَخَالِبِ الْعَنْقَاءِ،
يَا حَوْرِيَّةَ الْجَحِيمِ
سَقَطْتُ فِي سَرِيرِكِ الصَّغِيرِ
وَالخَمْرُ فِي جَرَارِ بَيْدَبَا،
وَالجَمْرُ فِي حَوَاصِلِ الطِّيُورِ
قُتِلْتُ حِينَما عَلِمْتُكَ الْكَلَامَ
يَا سَارِقَ الْأَحْذِيَةِ الْحَمْرَاءِ،
مِنْ أَعْنَاقِ هَذِهِ الْأَصْنَامِ
قُتِلْتُ حِينَ قُلْتُ لِلْأَسَدِ
تَمُوتُ أَيُّهَا الْمَلِكُ
تَمُوتُ حِينَ تَسْقُطُ الْيَمَامَةُ الزَّرْقَاءُ
فِي الشَّرِكِ
تَمَلَأُ عَيْنَكَ النَّمَالَ، يُغَمَدُ الْوَتْدُ
تُسْحَبُ بِالْحَبَالِ، يَغْلِقُونَ

بَابَ ذَلِكَ الْعَرِينِ بِالْحَجَرِ
تَغْرَسُ فِي أَحْشَائِهَا،
أَغْصَانَهَا وَتَنْتَحِرُ
تَمُوتُ بَعْدَكَ الشَّجَرُ
مَعْذَرَةٌ مَوْلَايَ إِنَّا بَشَرُ
نَنُوحُ كَالْحَمَامِ، نَلْبَسُ السَّوَادَ،
ثُمَّ يَطْلُعُ الْقَمَرُ
وَيَمْلَأُ الزَّئِيرُ مِنْ جَدِيدِ قَلْبِنَا،
وَيَسْقُطُ الْمَطَرُ...

أغنية علي النطم

مُنذُ أَلْقَيْتُ عَلَى طَاووسِكَ الْأَعْرَجِ

حَبْرِي،

مُنذُ لَمْ أَكْتُبْ،

بِمَاءِ الْوَرْدِ شِعْرِي،

لجَوَارِيكَ، وَلَمْ أَلْهَثْ،

بَأَوْزَانِي مِنْ قَصْرِ لِقْصِرِ

وَعُرَاةِ الْأَرْضِ الْقَوَا،

ظِلَّهُمْ، خَيْطاً بِنَوْلِي

وَأَنَا وَاللَّيْلُ وَالصَّقْرُ الَّذِي يَتَّبِعُ نَجْمِي،

وَدَنَابٌ تَمَضَعُ الثَّلْجَ،

وَصِيَادٌ يُغْنِي

زَنْبِقٌ طَارَ مَعَ الرِّيحِ،

وَلِلْقَسْطَلِ فَيْرُوزٌ تُغْنِي،

لَمْ يَبِعْ جِبَهَتَهُ الشَّاعِرُ،

يَا فَيْرُوزُ غَنِّي

لِلْعَصَافِيرِ الَّتِي مَاتَتْ عَلَى شِبَالِكَ سِجْنِي

لِلْعِنَاقِيدِ الَّتِي تَحْلُمُ،

أَنْ تَمْلَأَ دَنْيَ،
وَأَنَا وَاللَّيْلُ وَالصَّقْرُ الَّذِي يَتَّبِعُ نَجْمِي
وَنَدِيمِي السَّيْفُ،
نَطْعِي تَحْتَ رَأْسِي

إكليل نار

إلى عمّار بن ياسر

شجرُ الرِّقْمِ قدْ أخصبُ،
لمْ يسقطْ مطرٌ
ولدتْ أصنامك السّودُ حجرٌ
وأباً صارَ هُبْلُ
خبّاً اللّيلُ القمرُ..
فالقرايينُ طيورٌ وشجرٌ
ونجومٌ وبشرٌ
فكُلي عِينيكِ يا أمَّ هُبْلُ
خبّاً اللّيلُ القمرُ...
وتعالِي نارَ عمّارِ،
فقد دَقَّ لكِ الطّبلُ الحطبُ
وكُليهِ وهوَ في أقماطهِ،
هذا الحجرُ
قبلَ أنْ يحبوا، وأنْ ينمو،
وأنْ يغدو صنمٌ...

المجاج والفيلسوف الأخرس

... وأرى رؤوساً أئِنَعَت، وأرى القَطَاف،

وأرى الدِّماء،

بينَ العمائمِ واللِّحى، تَبَّتْ يَدَاكَ

بغدادُ أسكَّرَها التُّواحُ

وعلى الضفافِ الخُضِرِ،

تَغْتَسِلُ الضُّبَاعُ وشهرزادُ

أخرى مزيفةٌ وألفُ حكايةِ

شَوْهَاءَ في نجمِ النهارِ،

وعلى الجماجمِ في ملابسِ شهریارِ،

الفيلسوفُ الأخرسُ المجدومُ يُقَعِي،

وهو يُصغِي،

كيفَ قَدَ فقاؤا عيونَ السندبادُ

وتصيحُ عاهرةٌ، تُسميَ نفسها

قمرَ الزَّمانِ،

مبحوحةِ الثديينِ، كمُ صاحبا،

بنافذةٍ، لماخورِ وِحانِ،

— مولايَ قَدَ طويَ الشُّراغُ

هُوَذَا قَمِيصُ السِّنْدَبَارِ،
عَلَيْهِ أَخْتَامُ الْبَحَارِ
وَالْفَيْلَسُوفُ الْأَخْرَسُ الْمَجْدُومُ،
مِنْ عَيْنِيهِ يَبِصِقُ وَالْهَتَافُ،
يَعْلُو، وَفَوْقَ الضِّيفَةِ الْخَضِرَاءِ،
تَضْحَكُ، مِنْ مَخَالِبِهَا الضَّبَّاعُ
بَغْدَادُ أُسْكِرَهَا التُّوَاخُ
وَحَمَامَةٌ نَاحَتْ بِبَابِ الطَّاقِ،
تَنْتَظِرُ الصَّبَّاحُ

البطل في الساعة الخامسة والعشرين

الملكُ مات،
ألفُ فارسٍ طَلا الغبارُ وجهَهُ؟
وفراً منه سيفُهُ،
أتى يقولُ
بأنَّهُ رآهُ، سيفُهُ في كَفِّهِ،
يموتُ
خمسونَ طعنةً، سبعونَ
ألفَ طعنةٍ في صدرِهِ ومن يكذبُ السيوفُ
وذلكَ المجنونُ يقرعُ الأسوارَ،
كاشفاً عن صدرِهِ،
يصيحُ أنه الملكُ
وكاذبونَ ألفَ مرَّةٍ، فما هلكُ
وأنته قد باعَ نعلَهُ وتاجَهُ وعادُ
كذابةً قصائدُ الرثاءِ،
أدمعُ الأجراسِ،
شهقةُ الإزميلِ في الحجرِ
الملكُ ماتَ تحتَ خيمةِ الراياتِ،

قبره هناك،
تمثاله، يفرُّ من نحّاته، سجانِه،
من ساحة المدينة
في كلّ عام حينما تدقُّ،
تلك الساعة اللّعينه
وكم رأوه والدماء، من جراحه تسيل
يدقُّ باب القصر،
جرعة من النبيذ للقتيل...
وكم رأوه يطعمُ التمساح،
في بحيرة الورود
ويفتحُ الأقفاص للأسود
وذلك المجنون دائمُ الصياح
إنه الملك...
وتقفزُ السيوفُ كالأسماك، كاذبٌ
عدونا على أسوارنا رماة...
الملك مات ملء درعه،
ولم يبع جواده وسيفه الذهب،
إن لم يمّت، لا بدّ أن يموت،
فليرمه أحبكم إليه بالسّهام
ولتنحروا، قصائد الرثاء كلّ عام

البهلوان

في قَرِيبةٍ مقطوعةٍ نَفَخُوا،
وأدراج الرياح،
ذَهَبَ الصياحُ،
طارَ القنَاعُ وظلَّ وجهُكَ،
عاريًا في الكرنفَالِ،
في الجعبةِ الصفراءِ،
ما زالت سِيهامُ،
طارَ الحَمَامُ،
حَطَّ الحَمَامُ،
والبهلوانُ
قد تَعَتَّعَتْهُ الخمرُ، فانزلقَ اللِّسانُ
على الحبالِ،
ما لا يُقالُ،
قد قالَ لا تُلصِقِ،
على الوجهِ الذي ماتَ اللثامُ
الطيبُ لا توقظُهُ، نامُ

الهودج والكلاب

ما فاتَ فاتُ
ما للجرارِ، وللعناكبِ ذكرياتُ
طُويَ الكتابُ،
ملكُ الرمادِ، يعودُ من غَزَوَاتِهِ
ملكُ الرمادِ
من أرضِ واقِ الواقِ،
تَصهلُ حولَ هودجِ الكلابِ
صرخوا، وقد سرقوا القُطوفَ لَهُ،
وغشُّوا الخمرَ، وابتلعوا الدفوفُ
صقَرُ المنايرِ، ناطحُ الكلماتِ،
أبرعُ من مشى فوقَ السيوفِ
الثلجُ ذابُ
لِمَ هذه الأبواقُ تَسْتَلقي
على الأسوارِ، يملأها الذبابُ
شدّوا السروجَ على الكلابِ!
الآنَ وقتُ الشدِّ يا ملكَ الرمادِ،
صاحوا، وقد حزموا حناجرَهُمْ،
وفوقَ رؤوسِهِمْ،
صهلَ الغرابُ!

الكراسة الثالثة

بطاقة معايدة إلى بوشكين

لو عشتَ في بلاطِ عَصْرِنَا،
في هذه الأيامِ
حيثُ الأرانِبُ العرجاءُ،
تركبُ الأفيالُ
وترتمي العنقاءُ في قفصِ
وتكتبُ الأسماكُ والحياتُ،
أجملَ الأشعارِ والقصصِ
لو عشتَ في بلاطِ عَصْرِنَا،
لجاءَ أصلعُ الجناحِ، من بطانةِ الأميرِ،
مبارزاً،
وأشهرتُ في وَجْهكَ السلاحفُ الرماحُ
فالشعرُ في المخلاةِ والنجومُ،
في مذاودِ البقرِ...
فما الذي تقولُ
زَهْرَةُ البركانِ للحجرِ؟

القصيدة والخنجر

مَنْ يَشْتَرِي جَنَاحَ بَجْعَةٍ،
صَلِيبَ شَاعِرٍ،
مَنْ يَشْتَرِي الْإِكْلِيلَ؟
مَنْ يَشْتَرِي بَضْفَعِ خِرْسَاءَ،
هَذِهِ الطَّبُولَ؟
مَنْ يَشْتَرِي بَرِيشَةَ رَايَاتِكُمْ،
أَيْدِيكُمْ،
أَيْنَ الَّذِي يَقُولُ؟
وَنَجْمُهُ يَظَلُّ فَوْقَ رَأْسِهِ،
أَيْنَ الَّذِي يَقُولُ؟
كَذَابَةُ أَجْرَاسِكُمْ،
كَذَابَةُ سَنَابِكِ الْخِيُولِ!

الشاعر والعرّاف

... وانكسرت في كفي عينُ العرّافِ
قال أخافُ،
الليلُ قصيرٌ، لكنَّ الشمعةُ،
قد غرِستُ، في أذنِ السيّافِ
تقتلني كفك خذ عيني وارحل
فسفينةُ نوح
توشكُ أن تُقلعَ،
واتركني للنّارِ المختبئه في الريحِ
الليلةُ يخرجُ من قمقمه التّعبانُ
والسمكةُ تُلقي خاتمها،
ويثورُ البركانُ
الليلةُ يتدحرجُ،
رأسُ السلطان؟

الشعر وخصيان السلاطين

يا أبا الطيّبِ خصيانُ السلاطينِ،
وغلمانُ القياصرِ،
كلُّ ذي قرطٍ وِخلخالٍ،
وعقبرٍ وأساورٍ
كلُّ مَنْ قَدَّ شَدَّهُ النخَّاسُ
من وحلِ الضفائرِ
كلُّ مَنْ لَطَخَ بالحبرِ الأظافرُ
كلُّ مَنْ لم يعرفِ الخيلَ ولا اللَّيلَ،
وبيداءِ المخاطرِ
والقوافيِ وهي كالبيضِ البواترِ
جاعنا يركبُ سهواتِ القصائدِ
أين أخفيتَ - أبا القصرِ - النياشينَ،
وخبَّاتِ القلائدِ؟
يا أبا الطيّبِ قُمْ صَحِّ النواطيرِ،
وقُمْ صَحِّ القياثرِ
دَقَّتِ الأجراسُ للصيِّدِ
ثعابينُ المحابرِ

بشمت من لحمنا،
هذي الثعالبُ
صارَ درعُ الفارسِ المقتولِ،
بيتاً للثعالبِ،
أه يا سيفَ الحارِبِ!

تحت وسادة شاعر ميت

غرسَ الشاعرُ ريشتهُ في محبرةِ السلطانِ
الريشةُ قدْ ذُبلتْ،
والشاعرُ قدْ مات،
دينارُ نحاسٍ، تحتَ وسادتهِ،
وكتابُ
أكلُ يا مولايَ لساني،
تهجرُني قافيةُ الهمزةِ والراءِ
أحلفُ بكِلابِ الصيدِ،
على بابكِ والشعراءِ،
كالخيلِ مسرَّجةً بقوافيها،
مُلجَمَةٌ بالأوزانِ
ما قلتُ بأنك في مجلسِ أنسِكَ
ترقصُ عُريانَ
تشربُ في نعلِ الجاريةِ،
وتُلقي التاجَ على رأسِ مُهرِّجِكَ السكرانِ
تسقطُ في مخلّاةِ جوارِكِ عيناَيِ
إن كنتُ هجوتُ،
مغنيكِ الأعورَ مولايِ

مقامة إلى بديع الزمان

حدَّثني وِدَّاقٌ في الكوفة،
عَنْ خَمَّارٍ
في البصرة، عَنْ قَاضِي فِي بَغْدَانِ،
عَنْ سَائِسِ خَيْلِ السُّلْطَانِ
عَنْ جَارِيَةٍ، عَنْ أَحَدِ الْخَصِيَّانِ
عَنْ قَمَرِ الدَّوْلَةِ، حَدَّثَنِي قَالَ:
كُنَّا فِي مَجْلِسِ مَوْلَانَا،
فِي شَمْسِ الرَّابِعِ مِنْ رَمَضَانَ
مَوْلَانَا أَنْطَقَهُ اللَّهُ فَصَاحَ
مَنْ يُقْعِي خَلْفَ الْأَبْوَابِ،
مِنْ الْفُقَهَاءِ، مِنْ الشُّرَاحِ
— مَوْلَانَا فِي بَابِكَ عَبْدُكَ وَأَوَاءُ النَّطَاحِ
وَهِنَاكَ عَبْدُكَ، حُفَّاشُ بْنُ غُرَابِ
وَالشَّيْخُ الْوَائِقُ بِاللَّهِ، ابْنُ مَضِيْقِ
صَاحِبُ أَلْفِ طَرِيقٍ وَطَرِيقِ
تَسْلُكُهُ الزَّنْدِيقَةُ وَالزَّنْدِيقُ
مَوْلَانَا عَطَسَ ثَلَاثًا يَرْحَمُهُ اللَّهُ،
وَانْتَصَبَتْ أُنْدَانَاهُ،

– إليّ بوأواء النطّاح...
وانزلقَ الشيخُ من الباب،
وبركَ أمامَ السلطانِ
مولانا كفاً في كفِّ ضربٍ،
وهمهمَ يا وأواء...
أقسمتُ ثلاثاً للجارية الروميةِ وطفاءُ
أن أترقَ مخدعها،
ضلتُ قدمي، واختلطتُ في عينيّ الأبوابُ
وصحوتُ معَ الديك، فإذ بي،
أتمددُ في ذنبي،
في حُجرةِ أحدِ الغلمانِ
وتنحَنحَن، بسَمَل، حَوَقَل،
وأواءُ النطّاحِ وصاح:
ليسَ على مولانا السلطانِ جُنّاحُ
فالقسمَةُ غلبتُ، والعبرةُ في النيةِ،
لا أينَ تسيرُ القَدَمَانُ...
وسواء، في المخدعِ إنسٌ أو جانُ
والذنبُ على الجاريةِ،
فلو وَضَعْتُ في بابِ المخدعِ مصباحُ
ما ضلّتُ قدما مولانا،
واللهُ تعالى أعلمُ والسلطانُ...
وخازنُ بيتِ المالِ

القمر ذو الوجوه السبعة

(١)

عُصفوره يموتُ تحت كلِّ قُبْعَةٍ

جَوادُهُ يرعى الغبارَ،

بعدَ كلِّ موقِعَةٍ

يبيِعُ كلِّما يجوعُ

جُرْحَهُ وأدمُعَةٍ

يبيِعُ كلَّ ما في السوقِ،

خاتماً، قصيدةً، فراشةً وأقنعةً

يبيِعُ نجمةً، يبيِعُ زوبعةً

يبيِعُ قلبه،

يبيِعُ أضلُعَهُ

(٢)

تموتُ في الخريفِ مرَّةً

وفي الربيعِ مرَّتَيْنِ

يستيقظُ الشتاءُ في غصونِها

وياكلُ اليدينِ

رأيتُهُ في كربلاءَ،

تحت راية الحسين
صهيل سيفه مع الحسين
وفوق سيفه قصيدة منقوشة
في مدح قاتل الحسين

(٣)

غزلت للعناكب العمياء
ما غزلت
كتبت ما كتبت
وعدت ترجم القوائد التي كتبت
فأين أنت أين أنت؟
نظرت للنجوم فاحترقت
اطعمت شمعة لضفدع، أصبت
قصيدة الإيوان أصبحت،
من ألف بيت
الوزن يطرب الحمار،
ينسي الذئب رأسه،
أجدت
غداً تصيد الحوت في مضيق بحرك الطويل
لتملاوا شباك هذا الشاعر الأصيل
بقطة ميتة، مفتوحة العيون
بعلب التبغ وبالسردين

(١)

الصمتُ موتُ

قلها ومُتْ

فالقولُ ليسَ ما يقوله السلطانُ والأميرُ
وليسَ تلكَ الضحكةُ التي يبيعها المهرجُ الكبيرُ

للمهرجِ الصغيرِ

فأنتَ إنْ نطقتَ متُ

وأنتَ إنْ سكتَ متُ

قلها ومُتْ

(٢)

حذارِ أنْ تفضَّ ختمها

حذارِ أنْ يرى البحارةُ المهاجرونَ

وشمها

سيرقصونَ حتى يسقطَ الشراعُ

فوقَ نجمها

حوريةُ البحارِ فوقَ صخرةٍ

وخنجرٌ في صدرها

قصيدةُ الرِّبَانِ فِي زِجَاجَةٍ،

قَد مَاتَ قَبْلَ أَنْ يُتَمَّهَا

حَذَارٍ أَنْ تُتَمَّهَا

(٣)

كُتِبَتْ عَن طَيُورِنَا الْمَهَاجِرَةِ

وَقَلَّتْ لَيْسَ لِلرِّيَاحِ ذَاكِرُهُ

كُتِبَتْ عَن أَشْجَارِنَا الَّتِي تَمُوتُ

وَهِيَ وَاقِفَةٌ

هَذَا الشِّتَاءُ دَقَّتِ الْأَجْرَاسُ،

لَمْ تُزْعِرْدِ عَاصِفَةٌ

هَذَا الشِّتَاءُ ضَاجِعَ الْمُخْصِي بَغْلَةَ السُّلْطَانِ،

لَمْ تَضَاجِعِ الْأَشْجَارُ صَاعِقَةَ

وَلَمْ تَمُتْ عَلَى سَرِيرٍ مِّنْ تُحِبُّ عَاشِقَةَ

(٤)

الشَّاعِرُ الَّذِي وَصَفْتُهُ قَدْ مَرَّ مِنْ هُنَا

وَفَوْقَ رَأْسِهِ سَحَابَةٌ مِنَ الْجِرَادِ

الشَّاعِرُ الَّذِي قَدْ كَانَ بَيْنَنَا،

وَلَمْ يَكُنْ

وَرُبَّمَا يَجِينُنَا فِي آخِرِ الزَّمَنِ

لَوْ كَانَ لَا يَزَالُ حُبُّهُ لَنَا

مُطْرَرًا عَلَى الْكَفَنِ

فَعَصْرُنَا الشَّجَاعُ وَالْجَبَانُ،
لَيْسَ عَصْرَ شَاعِرٍ وَسَنْدِبَادُ،
أَبْطَالَنَا وَجُوهُهُمْ،
خَلْفَ الدَّرُوعِ تَحْتَجِبُ
نَطَقَتْ حِينَما الْكَلَامُ كَانَ مِنْ خَشَبِ
وَالصَّمْتُ مِنْ ذَهَبِ

لن يَمروا...!

أحدٌ يمرُّ كذبتَ لا
أحدٌ يمرُّ فلا حدودُ
أنا لنُ أبدلَ حبلَ مشنقتي
ولا زردَ الحديدِ
لكنهُ مرَّ الرصاصُ
وخلفهُ مرَّ الجنودُ
طردوا عن الأرضِ التي
ولدوا عليها يعرقونُ
وسيعرقونَ وهم بأرضِكَ
يقتلونَ ويُقتلونُ
أو حينما يتساءلونُ
متى تُراهم يرجعونُ؟
عصبوا عيونَهُم فما لمحوا
القنالَ ولا الوحوشُ
كم دُنشوايَ على مخالِبهم
ممرقةً تعيشُ
وحفرتَ صوتكَ خندقاً

سدُّوا الطريقَ على الجيوشِ
فلاحنا أشحذتها
هذي الشراشرَ للحصادِ
قد أقبلوا واستبشَرَ الملاكُ
خيراً بالجرادِ
وسيدبحونكَ بالشراشرِ
فوقَ أكوامِ الحصادِ
كذَّابةٌ هذي المدافعُ
لا تصدِّقُ ما تقولُ
لم تحشَ بالزيتونِ أو بالبرتقالِ
أو النخيلِ
بل بالمشانقِ والسلاسلِ
بالسياطِ وبالسيولِ
أنا لستُ أقرأُ كَفَكَ العطشى
لأعرفَ ما المصيرُ
بصماتُ الاستعمارِ فوقَ وجوههمُ
وعلى الظهورِ...
وعلى بنادقهمُ عرفتُ بها
الخيانةَ والمصيرُ
أسدودُ خندقهُ الأخيرُ
وليس خندقهُ الأخيرُ

قد باع غزّة قبل أسدود

الأجيرُ إلى الأجيرُ

إن عشتَ تبصرهم وقد حملوا

الرؤوسَ على الظهرِ

وأنا وأنتَ وكيف أجرؤ:

أن أقول:

لولا همُ لفرشتُ بيتك

بالزنابقِ يا نهيلُ

ولسبَّ توفيقُ الصغيرُ

ومع ريموندا ومع راحيلُ

في الطريق إلى الزنزانة...

هناك... هناك... بعيداً بعيداً...
سيحملني يا رفيقي ... الجنود...
سيلقون بي في الظلام الرهيب
سيلقون بي في جحيم القيود
لقد فتشوا غرفتي يا أخي
فما وجدوا غير بعض الكتب
وأكوام عظم همو... إخوتي
يئنون ما بين أم... وأب
لقد أيقظوهم... بركلاتهم
لقد أشعلوا في العيون الغضب

أنا الآن بين جنود الطغاة
أنا الآن أسحب للمعتقل
وما زال وجه أبي ماثلاً
أمامي... يسلحني بالأمل
وأمي... وأمي... أنين طويل
ومن حولها إخوتي يصرخون
ومن حولهم... بعض جيراننا

وكلُّ له... ولدٌ في السجونِ
ولكنني رغمَ بطشِ الجنودِ
رفعتُ يداً أثقلتها القيودُ
وصحتُ بهم: إنني عائدٌ
بجيشِ الرفاقِ... بجيشِ الرعودِ
هناك أرى عاملاً في الطريقِ
أرى قائدَ الثورةِ المنتصرة^(١)
يلوحُ لي بيدٍ من حديدٍ
وأخرى تطايرُ منها الشررُ

أنا الآنَ بينَ مئاتِ الرفاقِ
أشدُّ لقبضاتهم... قبضتي
أنا الآنَ أشعرُ أنني قويٌّ
وأنِّي سأهزمُ... زنزانتي

نعم لن نموتَ، نعم سوفَ نحيا
ولو أكلَ القيدُ من عَظْمينا
ولو مزقتنا سياطُ الطغاةِ
ولو أشعلوا النارَ في جِسمنا
نعم لن نموتَ، ولكننا
سنقتلُ الموتَ من أرضينا

(١) لا يستقيم وزن الشطر إلا بوضع "الظافة" بدلاً من "المنتصرة".

اركع للورقة
أغرس قلمك
في عيني طفلك، واكتب ما أمرك
أن تكتب من ذبحك
بالقلم على عتبة بيتك
كوم أيامك قدامك، أوراقاً وأسأل
لا تخجل
جلادك عن عود ثقاب
اعجن من وحل دُخانك، ورمارك
صفحات كتاب
اعجن أوراقك وتذكر
لو كان الميت يتذكر
أنك من هذي الكلمات تُصفر
حبلاً، وتعلق من هذي الأسطر
عض كذب قلب حبيبتك
وقدمه على طبق من ورق أصفر
قص صفائرها لتضمد
جرح الضبع الأسود

الدغ كالعقرب عينيها أقدم

لا تحجم

أقدم واقرع

كالضفدع

أجرا سكَ للمستنقع

* * *

وقّع وقّع

اسمك في ذيل الورقة وقّع

وقّع وتسلسل

كاللص إلى بيتك واحذر

ظلك أن يقع على مصنع

فامضغ ظلك منديلاً من سُم واهرع

اطرق اطرق

بابك حتى تتمرّق

يدك فلن تسمع

خطوة من كانت تهواك ويخفق

ساعدها في يدك كسيف من ماس

وكبيرق

فالآن كعود رمار وكخيطة دخان أسود

ساعدك تبدد

اقرع اقرع

لن تسمعَ خطوتَهَا لن تسمعَ
قد نرعت طوقاً من شوكٍ
خاتمكَ من الإصبعِ
المهربُ أين المهربُ
لم تُقهرْ أطفالُ لينينَ ولم تُغلبِ
قد كَذَبَ المخلِبُ
قد كذبتْ كلُّ عصيِّ الجَلَادِ فلم تركعِ
فمِ أَبِي رَعْبَلِ

أطفالُ لينينَ ولم تهرعِ
تملاً شذقي ذئبِ الفيومِ الأصفرِ
ورقاً من وردٍ أحمرٍ قد فَتَّحَ
علماً من وردٍ أحمرٍ قد فَتَّحَ
يتحدّى سكينَ المذبحِ

* * *

فاغرِزْ عينيكِ كَنَابِينِ تَطَّلِعُ
لو تقوى أن تتطلعِ
أنا المَحُّ فوقَ الرَّمْلِ الأصفرِ
قَضبانَ المِرَّةِ تتكسرُ
ودمشقُ بدميةِ "عمّارٍ" دمشقِ تلوحُ
لكمُ، أطفالُ القاهرةِ تلوحُ
فتطلعِ ولتتوقدُ

في عنقك جمرة جرح لا يخمذ
فتطلع لو تقوى أن تتطلع... أن تتصور
قلب "فريد" المصلوب على قلبي نور
كروانا أحمر

قلبي كروان أحمر
قلبي حنجرة الأسوار ولن يهدأ يصدخ
لن يهدأ شرر الأغنية يقدخ

* * *

القلم السكران من السم ترنخ
عبثاً يسنده السجان وتسنده الأسطر
والذكرى موجة شوك تتكسر
فوق جفونك وتورق

حتى الصمت، فلا يهدأ بالقدم
العريانة يطرق

أرض الزنزانة، والليل على
صدرك باب مغلق

* * *

سجائك أقبل

كالحفرة كالمعول

أين ستمضي؟ ألبيتك؟

بيتك في ظهرك خنجر

أَلطْفِكَ؟ طَفْلُكَ فَوْقَ صَلِيبِ
الأوراقِ بدميته سُمِّرُ
سُتْساقُ إلى الشارعِ فَتَعَثَّرُ
في ظلِّ السجّانِ تَعَثَّرُ
أينَ ستمضي والريحُ تُطَيِّرُ
خطواتك أسطرَ ورقه

قصائد على نرجاج النوافذ

ثلج... ثلج... ثلج

ثلج...

ثلج...

ثلج...

أُسْقَطُ

أُسْقَطُ

أُسْقَطُ كَالْتَّهْمِ الْبِيضَاءِ

أُسْقَطُ كَالْتَّهْمِ السُّودَاءِ

كُنْ إِنْ شِئْتَ رُجَا جَا

أَوْ إِنْ شِئْتَ جَلِيدُ

سِتْدُوبٌ...

لَنْ تَصْبِحَ أَبَدًا عَاجًا وَرُخَامًا...

أُسْقَطُ كَالْتَّهْمِ السُّودَاءِ...

وَطَنِي يَعْرِفُ عُنُقِي،

لَمْ يُصْبِحْ حَبْلَ غَسِيلٍ

لِقِنَاعٍ وَنَطَعِ الْجَلَادِ...

عُنُقِي لَمْ يُصْبِحْ يَوْمًا سَارِيَةً

لِعَاطْفٍ أَوْ خُودَاتِ الْمُحْتَلِّينِ

وَطَنِي يَعْرِفُ وَجْهِي
يعرفُ صدري،
وَاسْمُكَ يَا وَطَنِي سَكِينٌ فِي صَدْرِي
أَسْقَطُ، أُسْقَطُ
وَطَنِي يَعْرِفُ ظَهْرِي
يعرفُ كِرْبَاجَ،
ويعرفُ مِحْرَاثَ السَّجَانِينِ عَلَى ظَهْرِي...
وَطَنِي
إِنَّكَ تَعْرِفُنِي
أَحْمَلُكَ وَأَحْمَلُ "أَوْشَفْتَرًا" عَلَى ظَهْرِي،
أَحْمَلُكَ وَلَمْ أَجْعَلْ يَوْمًا،
عَيْنَكَ زُرًّا لِقَمِيصِي...
أَحْمَلُكَ وَمَا طَرَّزْتُ جِرَاحَكَ،
فَوْقَ الْمِرَاةِ وَفَوْقَ جَبِينِي
أَحْمَلُكَ أَقَاتِلُ تَحْتَ نَوَافِذِكَ الْمَسْدُودَةِ وَالْمَفْتُوحَةِ
بِسِلَاحِي الْأَبْيَضِ،
أَحْمَلُكَ أَقَاتِلُ بِالْحَبْرِ الْأَبْيَضِ
أَحْمَلُكَ أَحْبَبَكَ فِي صَدْرِي سَعْفَةَ نَخْلِ،
وَأَحْبَبَكَ فِي صَدْرِي سَكِينٌ
وَأَحْبَبَكَ فِي ظَهْرِي سَكِينٌ
وَأَحْبَبَكَ فِي عُنُقِي غُصْنًا مِنْ وَرْدٍ

وَأُحِبُّكَ فِي عُنُقِي سَكِينُ

تَلْجُ ...

تَلْجُ ...

تَلْجُ ...

أُسْقَطُ

أُسْقَطُ

أُسْقَطُ كَالْتُّهْمِ الْبِيضَاءِ ...

أُسْقَطُ كَالْتُّهْمِ السُّودَاءِ ...

كُنْ إِنْ شِئْتَ رُجَا جَاءُ،

أَوْ إِنْ شِئْتَ جَلِيدُ

لَنْ تُصْبِحَ أَبَدًا عَاجًا وَرُخَامُ

سِتْدُوبُ

وَالسَّكِينُ بِصَدْرِي سِتْدُوبُ

لَسْتَ الْمُتَهَمَ وَرَاءَ الْقَفْصِ

وَلَكِنِّي أَتَهُمُ الْآنَ

إِنِّي أَتَهُمُ الْآنَ ...

تَلْجُ

تَلْجُ

تَلْجُ

أُسْقَطُ

أُسْقَطُ

إشارة مرور

النورُ الأحمرُ

قفْ

النورُ الأخضرُ

سيرْ

النورُ الأحمرُ

والنورُ الأخضرُ

النورُ الأحمرُ

والنورُ الأخضرُ

قفْ

قفْ

قفْ

سيرْ

سيرْ

النورُ الأحمرُ

النورُ الأحمرُ

أينَ هو النورُ الأخضرُ...؟

امرأةٌ حبلى في عربةٍ

وَلَدَتْ فِي الْعَرَبِ
كَبْرَ الطِّفْلِ، أَحَبَّ، تَزُوجَ فِي الْعَرَبِ
أَنْجَبَ أَطْفَالَ، قَرَأَ مَجَالَاتٍ وَصُحُفَ الْعَالَمِ
فِي الْعَرَبِ
اعْتَقَلُوهُ... سَجَنُوهُ فِي صِنْدُوقِ الْعَرَبِ
جُنْدًا وَاسْتَشْهَدَ خَلْفَ شَبَابِيكِ الْعَرَبِ
دَفَنُوهُ تَحْتَ دَوَالِيِبِ الْعَرَبِ
وَالْعَرَبِ مَا زَالَتْ فِي الشَّارِعِ
تَنْتَظِرُ النُّورَ الْأَخْضَرَ
تَنْتَظِرُ النُّورَ الْأَصْفَرَ
النُّورَ الْأَحْمَرَ
قِفْ
النُّورَ الْأَخْضَرَ
سِرْ
النُّورَ الْأَحْمَرَ... وَالنُّورَ الْأَخْضَرَ

يوميات ملقن مسرح

الاثنين:

وارتفع الستارُ
واختلطَ المشاهدونَ بالمثلينَ،
ضاعَ فوقَ المسرحِ البطلُ
واختطفوا ثيابهُ
تَقاسَموا ثيابهُ
مَنْ خَطَفَ السروالَ صاحَ:
إنَّهُ البطلُ
مَنْ صارَ في يديه زرٌّ مَنْ قميصه
قدَّ صاحَ إنَّهُ البطلُ
مَنْ خَطَفَ الحذاءَ والجواربَ الطويلةَ الملونةَ
قدَّ صاحَ
إنَّهُ البطلُ
أينَ هو البطلُ؟
كيفَ ألقنَ الأدوارَ
لم يَهبطِ الستارُ
ولم يزلْ مِنْ فوقِ رأسي الستارُ

مُعلِّقاً في السقفِ مثلَ المقصلةِ

متى سيَهبطُ السُّتارُ...؟

الثلاثاء:

عطيلُ مرَّ من هنا وصاحَ بي:

حذارُ

من ديدمونةِ اللَّيلِ،

وديدمونةِ النهارِ

فلَمْ أزلْ أحمَلُ غيرَتي

من مسرحِ لمسرحِ

وديدمونةِ

أخنقُها في كلِّ ليلةٍ

أصبحتُ قاتلُ...

أنا الذي هَوَّيتي جمعُ البلابلِ

الأربعاء:

ماريانا بنيدا:

أيامي زهبتُ وأنا أحلُمُ

أن يُعطيني البركانُ نشيدا

والزَّلزالُ ورودا

والإعصارُ شهيدا

زهبتُ أيامي لم يُعطِ البركانُ نشيدا

لم يُعطِ الإعصارُ شهيدا

قَتَّلُونِي، يَا مَارِيَانَا بَنِيْدَا
لَكِنِّي أَرْفُضُ أَنْ أُدْفَنَ،
أَنْ أَصْبَحَ فِي مَقْبَرَةِ الْكَذَّابِينَ شَهِيدَا

الخميس:

السندبادُ إنَّني أَعْرِفُهُ
يَخَافُ حِينَ يَسْقُطُ الْمَطْرُ،
يَسْحَبُ وَجْهَهُ حِينَ تَهْبُ الْعَاصِفَةُ
يُغْمِي عَلَيْهِ حِينَ تَسْقُطُ الصَّوَاعِقُ
وَصَدَّقُونِي قَدْ عَرَفْتُهُ
شَبَاكُهُ قَدْ كَانَ بَحْرَهُ،
وَبَابُهُ الْمِينَاءُ...

تَحْتَ قَوَائِمِ السَّرِيرِ كَانَتْ الْجُرُزُ...
لَكِنَّهُ لَا بَدَّ أَنْ تَكُونَ فِي حَيَاتِنَا سَفِينَةً
وَأَنْ نَكُونَ فَوْقَ سَطْحِهَا الْبَحَّارَةَ
وَأَنْ نَقُولَ: كَانَ يَا مَا كَانَ...
كَانَ بَحْرٌ فَوْقَ كَفِّنَا وَكَانَ سَنْدِبَادُ...

الجمعة:

كَانَ مُمْتَلَأً فِي كُلِّ لَيْلَةٍ لَهُ دَوْرُ الشَّهِيدِ
وَكَنْتُمْ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ تُلْقَوْنَ فَوْقَ جُرْحِهِ الْأَزْهَارُ
وَتَخْرَجُونَ تَصْرَخُونَ
تَطْلِبُونَ رَأْسَ قَاتِلِهِ...

لكنه في كل ليلة وبعد أن تبتلع الطريق
ظلالكم،

يخرج من بين الزهور
يركلها، يدوس فوقها،
يلقي بثوبه المصبوغ بالدماء،
في دولا بقاتلة...

ويمضيان يشربان حتى الفجر
وأنتم هناك في الشوارع الخلفية
تورمت أقدامكم،
تمزقت أصواتكم...
أعناقكم، على صدوركم ممددة...
وعندما يلوح الفجر
تمضون تكدهون
كي تشتروا تذكرة جديدة...
وزهرة جديدة

السبت:

أحببها،
كانت وصيفة الأميرة
وحين كان يسدل الستار
كنا معاً نمضي لحجرتي فوق السطوح...
كانت تحبني،

تُحِبُّ خَمْرِي الرديئةُ
تَهْوِي فَرَاشِي المُرَّقُ...
وَكَبِرْتُ وَصَارَ لِلوَصِيفَةِ الفَقِيرَةُ
صَارَ لَهَا دَوْرُ الأَمِيرَةِ
وَلَمْ تَعُدْ تُحِبُّنِي، تُحِبُّ خَمْرِي الرديئةُ
وَلَمْ تَعُدْ تَهْوِي فَرَاشِي المُرَّقُ
وَحِينَ كَانَ يُسَدِّلُ السِتَارُ
كَانَتِ الأَمِيرَةُ،
تَمْضِي مَعَ الأَمِيرِ

الأحد:

تَلْعَنُ البَطْلَ...
تَوْسَلُ البَطْلَ...
رَفَضْتُ أَنْ أَلْقَنَ البَطْلَ...
لَا لَمْ أَعُدْ أَقْوَى عَلَى الكَذِبِ
عَشْرُونَ عَاماً، كُنْتُ ذَلِكَ الَّذِي يَلْقَنُ الكَذِبَ...

الاثنين:

طُرِدْتُ....

قصيدة من فصل واحد

المنظر الأول

الجوقة: كان يُصليّ دائماً خلف "علي" ...
ويسأل الطعام من يديّ "معاوية" ...
خلف - علي - الصلاة مُجزية.
صلّوا وراءه وبعدها،
خذوا الطعام والشراب من يديّ "معاوية".

المنظر الثاني

الشاعر على الريابة:

"طارق" في الزنزانة
"طارق" فتح الأندلس
وفتح خليفتنا الزنزانة
والزير".
ساق على "ناقته الزرقاء" "يمامتنا".
لمضارب "جساس" ...
وأبو الطيب".
كان عليّ "سيف الدولة" عيناً للروم ...
"عبلتنا" فوق سرير "أنوشروان"،

"وعنترنا" يشحذُ سكينَ قوافيه

تحتَ سريرِ "أنو شروان" ...

قالَ الراويُ...

وتدحرجُ رأسُ الراوي.

رأسُ الراوي فوقَ ربابته

كانَ الراوي جاسوسَ المستقبلِ...

المنظر الثالث

طابع بريد إلى ميكروفون:

"ما يطلبه المستمعون" ...

إوزةٌ تصيحُ في بحيرةٍ من الأفيون

أغنيةٌ على قشورِ البيضِ والبطيخِ والليمونِ...

قصيدةٌ...

يزارُ فيها المنجنيقُ، تصهلُ الحجاره...

ويرقدُ المذيعُ...

طبلتُه سريرهُ وبوقُه الوساده...

لم تسقطِ "القدس" ولا "طرواده"...

المنظر الرابع

توقيع على أتوجراف بيروقراطي:

- موافقون...؟

وارتفعت أيديهمُ كأنها البيارقُ المنكسة

- موافقون...

– موافقون..

ووقّع البيان

وقرئ البيان في الإذاعة

ونُشرَ البيانُ في الجريدة

ووزّعَ البيانُ في الشوارع السعيدة

وانتشرت قصيده...

المنظر الخامس

توزيع موسيقي جديد لموال قديم:

بعدَ بساطِ الريح

أصبحت وراءَ ألفِ بابٍ...

سجينةَ السردابِ

ريحانةَ النساءِ خدّها على الترابِ

بعدَ وسادةِ الحريرِ خدّها على الصّوّانِ

أو يا زمان...

تُطعمُها جاريةً مقطوعةَ الكفينِ

تُطعمُها رمانة

وبعدَها تجلدُها بخيزرانه

هذا زمانٌ فيه ابنةُ الخاقانِ

يوضعُ نهدُها في كفةٍ

وبيضةُ النعامِ

توضعُ في الكفةِ الأخرى من الميزانِ...

أو يا زمان...

المنظر السادس

افتح يا سمسم:

وقع القمقم في الشبكه

وفتحت القمقم...

أطلقت سراح المارد

فوهبني خمسة عيدان ثقاب

أشعلت العود الأول والثاني والثالث والرابع

ها أنذا أشعل آخر عود

ظهري للحائط...

وجهي للحائط...

وأنا أكتب بالعيدان المحترقة

فوق الحائط...

المنظر السابع

رسالة في زجاجة:

لن يبتلعك، لن يلفظك

على الشاطئ حوت...

"يونس" قد مات ومات الحوت

ووحيد أنت على سطح المركب

والمركب يفرق...

بقيت فوق المائدة زجاجة خمر

وزجاجة حبر...

ماذا تفعل؟
إني أسألك الآن
والركبُ يغرقُ...
ماذا تفعل؟
هل تشرب،
أم تكتبُ...؟

(ستار)

أربع قصائد على أوراق زهرة اصطناعية

الورقة الأولى

لا تسمعي أسطوانة،
لا تفتحي كتاب...
لا تقرأي جريدة...
هذا زمانٌ فيه يا حبيبتى القصيدة
"كبرمكيّة"، يتبعها بسيفه "مسرور"
رؤوسنا على موائد الجريمة...
كانها الأقمارُ في صحونهم تدورُ
كأنه يُولدُ من رقابنا
في كلِّ عصرٍ، يا حبيبتى "مسرور"

الورقة الثانية

الرُّعبُ والكذبُ
صاحبانِ كانا دائماً هناك...
وراءَ هذه الأسلاكِ
الرُّعبُ والكذبُ
على سريرٍ واحدٍ تمدداً
وأنشداً وعربداً...

الرُّعْبُ وَالكَذِبُ
قَدْ سَكِرَا مِنَ الطَّرْبِ...

الورقة الثالثة

كَانَ يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ،
كُلَّ مَا فِي صَدْرِهِ
لَكِنَّهَا طَوِيلَةٌ طَوِيلَةٌ أَنْيَابُ هَذَا الْغَوْلِ
فَادَّعَى الْجَنُونَ...
وَقَالَ كُلَّ مَا يُرِيدُ أَنْ يَقُولَ
وَحِينَمَا أَرَادَ أَنْ يَعُودَ عَاقِلًا
أُصِيبَ بِالْجَنُونَ...

الورقة الرابعة

لَا تَهْرَبُوا مِنَ الْمَحَابِرِ...
اغْرَقُوا مَعَ الْمَحَابِرِ...
فَسَوْفَ تَطْفُو بَعْدَكُمْ قَصِيدَةٌ،
تَسْبِغُ حَتَّى الضَّفِيفَةِ الْجَدِيدَةِ...

إلى سائحة

معذرة سيدتي إن جئت إلينا في يوم
تقطع فيه أيدي الشعراء
ماذا في الشرق يُباع؟
بعنا لعجوز سائحة قبلك قبر صلاح الدين
وحطين
وحدائق بابل بعناها في أسواق العالم
أزهاراً وبراعم
بعنا الإصبع والخاتم
لم يبق سوى الأهرام
وما أثقل أحجار الأهرام
وأبو الهول طعين
سيموت إذا ما فارق هذي الأرض
إذا ما انتزعت من جبهته السكين
معذرة سيدتي آخر تابوت بعناه
وأخر محبرة ألقيناها في النهر
وأخر ديك قد صاح دبحناه
لم يبق سوى الله

يعدو كغزالٍ أخضرٍ تتبعهُ كلُّ كلابِ الصيدِ
ويتبعهُ الكذبُ على فرسٍ شهباءُ
سنُطارِدُهُ، سنُصيدُ لكِ اللهُ
مَنْ باعوا الشاعرَ يا سيدتي
سيبيعونَ اللهُ

أسد الدين

أسد الدين...

شمس الدين...

قمر الدين...

نجم الدين...

اخلع عنك رداء الملك الجبار

اخلع سيفك...

اخلع درعك وكجامك

دعنا نتحدث

لو كنا نملك أن نتحدث،

كصديقين، وليس كسلطانٍ ونديمٍ

هل تقدر أن تصبح رجلاً وصديقاً...

يا أسد الدين

يا شمس الدين

أي حوارٍ بين السلطانٍ وبين الشاعر؟

ستكون نديمي

في هذي الليلة يا أسد الدين

أنت السلطانُ على مائدة الشاعر

في هذي الليلة أنت نديمي

أنت السلطانُ على مائدة الشاعر...

حينَ غدا رامبو نخاساً،
ومضى يرمي الشبكة
فوق الحبشة
يصطادُ الأسدَ الأسودَ
والبجعَ الأسودَ
هَجَرَ الشعرَ...
كم كانَ أميناً هذا الطفلُ...
لكنْ ما أكثرَ من كانوا شعراءَ،
وصاروا نخاسينَ،
مُرابينَ،
وما هَجَرُوا الشُّعْرَ...
مندوبي شركاتِ الإعلاناتِ
وتُجَارَ اللوحاتِ الزائفةِ
وما هَجَرُوا الشُّعْرَ.
صارتْ في قصرِ الخاقانِ قصائدُهُمْ
أبواباً وشبابيكَ
موائدَ وسجاجيدَ

وما هَجَرُوا الشَّعْرُ...

مَدَحُوا،

نالوا أوسمةً وألقابَ جميعِ أباطرةِ العالمِ

والكأسَ الذهبيةَ والفضيةَ والحجريةَ.

ما هَجَرُوا الشَّعْرُ...

أختامُ الجنْدِرمَةِ،

بصماتُ نِعالِ الجنْدِرمَةِ فوقَ قصائِدِهِمْ

ما هَجَرُوا الشَّعْرُ...

كَمْ كانَ شَريفاً رامبو...

كَمْ كانَ أميناً ذاكَ الطِفْلُ...

كان زمانا يكذب يا مولاتي

كان زماناً قد ضاعت فيه كلمات الحق
أكثر من عدد النمل على السنبلة الملقاة على الأرض
شهود السلطان
أكثر من عدد بعوض المستنقع كان الشعراء
كان زماناً يكذب يا مولاتي
كان زماناً سلمت الشاعر فيه للزنزانه
من أعطته أول رمانة...
من أعطته الليل الأول
وسرير الحب الأول
كان زماناً لم تغرس فيه
إبرتها نحلته
كان زماناً قد دس السم - المتنبي -
فيه، إلى سيف الدولة
كان زمان الزنزانه وزمان السكين
كان زماناً من غير جبين...
كان زماناً يغرق
يكره يا مولاتي الزنبق...
كان بلاطاً خارج بوابته
يعطي العاج ويعطي الأقمار
وطعام الناس وراء البوابة

يا مولاتي الأحجارُ
كانَ زماناً لمَ تحملُ فيه أشجارُ الرمانِ
كيفَ أحبُّكُ وجوادُ أميرِكُ
يصهلُ تحتَ النافذةِ
وخنجرهُ فوقَ سريرِكُ
خاتمهُ في قدَمِكُ خلخالُ
كيفَ أحبُّكُ وجناحُ الحدأةِ
في لحمي
بيتكُ كانَ حَقيبَتِكُ
فأينَ حَقيبَتِكُ الملعونةُ؟
املاها بمناديلِ الشوكِ
املاها بقصائِدِكِ الملعونةِ
واحملُ بردى جُرْحاً في صدركَ وارحلُ
فلعلَّ يُضمدُ جُرْحَكَ،
من أنهارِ العالمِ جدولُ
بردى يا بردى يا بردى...
لو كُنْتَ تَمُدُّ يَدَا
لو تنسجُ من خُصَلِ المائِ شِراعا
أو تنحتُ مجدافا من زَبَرِ يا بردى
لكنَّكَ مثلَ الأنهارِ الأخرى...
مثلَ الأنهارِ الأخرى يا بردى...
وأحبُّكُ، وأحبُّ الأعشابَ على صدركَ
وأحبُّ الموتَ على صدركَ يا بردى...

الطبل

الأرضُ ضاعتُ،
لمْ يَعُدْ لنا في وتَدُ لجامُ
والسيفُ ضاعَ لمْ تعدْ لنا طاحونةُ
ولا برجٌ من الحمامِ...
لمْ يبقَ غيرَ هذا الطبلِ...
أوصيكمُ بالطبلِ أولاً،
وثانياً بالطبلِ...
وثالثاً بالطبلِ...
وألفَ مرّةً أوصيكمُ بالطبلِ
لو كَفَّ طولَ يومِهِ وليلِهِ يدقُ...
لو كَفَّ لحظةً واحدةً يدقُ
قلوبكمُ ستستحيلُ في صدوركمُ حجارةُ
وسوفَ تسقطونُ
وانطلقوا بالعصيِّ يقرعونَ الطبلِ
تكسرتُ،
وبالأكفِّ يقرعونَ الطبلِ...

تَشَقَّقَتْ، تَمَرَّقَتْ،

وبالرؤوسِ يقرعونَ الطبلُ...

وبالرؤوسِ يقرعونَ الطبلُ...

وبالرؤوسِ يقرعونَ الطبلُ...

تَدَخَّرَجَتْ حِجَارَةٌ وَلَمْ تَزَلْ تَدُقُّ

لَمْ تَزَلْ تَدُقُّ

لَمْ تَزَلْ تَدُقُّ

بَادَا دَامُ

بَادَا دَامُ

بَادَا دَامُ...

هو الكلام

هُوَ الْكَلَامُ
بِضَاعَةٌ رَدِيئَةٌ يَا سَيِّدِي،
بِضَاعَةٌ الْكَلَامُ.
وَالوَرَقُ الَّذِي يَضَاجِعُ الْأَقْلَامُ.
وَالشَّاعِرُ الَّذِي رَأَيْتُهُ،
فِي كُلِّ مَخْدَعٍ يَنَامُ.
وَأَنْتَ صَادِقٌ يَا سَيِّدِي،
وَكَيْفَ لَا تَكُونُ صَادِقًا،
وَأَنْتَ حَامِلُ الْأَخْتَامِ...
فَكُلُّ شَيْءٍ كَانَ فِي مَكَانِهِ،
وَكَانَ فِي خَنْدَقِهِ يُقَاتِلُ...
أَحْلَفُ أَلْفَ مَرَّةٍ،
بَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ كَانَ فِي مَكَانِهِ
وَكَانَ فِي خَنْدَقِهِ يُقَاتِلُ...
وَالدِيكَ فَوْقَ السُّطْحِ كَانَ شَاهِدًا
وَالْحَبْرُ فِي الْمَطَابِعِ...
وَتَاجِرُ الضَّفَادِعِ

والنصرُ كانَ قابَ خطوتينِ.

وأه لولا طعنةُ القصائدُ...

لولا خيانةُ القصائدُ...

لولا تجسسُ القصائدُ...

* * *

محكمةُ...

وَلْتَمَثِّلِ الْقَصَائِدُ الْمَتَّهَمَةَ

جاسوسةُ معصوبةُ العينينِ

زانيةُ مقطوعةُ اليدينِ

سارقةُ مقطوعةُ الكفينِ...

هي القصائدُ...

أسلحةُ فاسدةُ يا سيدي

قدَ كانتِ القصائدُ...

* * *

حَضْرَاتِ السَّادَةِ...

السَّمَكَةُ صَارَتْ زَنْبِقَةً،

وَالسَّنْبِلَةُ جَرَادَةٌ

وَالشَّاعِرُ مَطْلُوبٌ حَيًّا أَوْ مَيِّتًا

لِلنَّقَادِ

حَضْرَاتِ النَّقَادِ

حَضْرَاتِ الْحَدَّادِينَ

حَضْرَاتِ النَّجَّارِينَ
لَمْ يَخْطِئِ شَرْطِيَّ وَاحِدٌ
وَسِيَاسِيٌّ وَاحِدٌ...
مَا غَشَّ وَمَا قَالَ عَنِ اللَّحْمِ الْأَخْضِرِ
لِحْمًا أَشْقَرُ
قَوَادُّ وَاحِدٌ...
أَمَّا الشَّعْرَاءُ
مَا أَرْخَصَ لِحْمَ الشَّعْرَاءِ...
فَلَقَدْ غَشُّوا الرَّمْلَ،
وَقَدْ غَشُّوا الْمَاءَ...

* * *

هُوَ الْكَلَامُ...
بِضَاعَةٌ رَدِيئَةٌ بِضَاعَةُ الْكَلَامِ
لَكِنَّهُ يَا سَيِّدِي لَوْلَا بِضَاعَةُ الْكَلَامِ
مَا كُنْتَ فِينَا الْيَوْمَ،
صَاحِبَ الْكَلَامِ...

تحت المصاييح الزرقاء

الكلمة تحت مصاييح الشارع
الكلمة ذات الثدين من المطاط
ذات العينين من الزلف
ذات القلب من الخرف
عبثاً تكسبر في الصدف
أخر لؤلؤة قد صارت
قطرة رمل في الصدف
لا تقرا في كفي

الكلمة تحت مصاييح الشارع
أغلق نافذة الماخور كفاك تطل
وكفاك تبيع النرجس للمومس
والفل

وكفاك تبيع قصائدك
لمن دفع المهز...

الكلمة تحت مصاييح الشارع
الشاعر تحت مصاييح الأرصفة الزرقاء
يبيع قصائده الزرقاء....

والكلمة... كم مرت فوق الكلمة
سرر وشبابيك
كم نام وكم قام ممالك
وممالك...
كم فوق الصدر انكسرت...
أجنحة ومناقير...
كم سقطت فوق الثديين
من المطاط عصافير...
أهرب من نافذة المومس
يا عصفور...
أهرب يا عصفور...

من برنامج الألعاب الرياضية

لمدرسة ابن بطوطة الثانوية للذكور والإناث

إلى اليمين سرُ

إلى اليسار سرُ

للشرق سرُ

للغرب سرُ

إلى الشمال والجنوب سرُ

وخطوة إلى الأمام

عشرون خطوة إلى الوراء سرُ

وبالشراع والمجداف في بحيرة اليمين،

بالطبول والبيارق الحمراء،

في شوارع اليسار سرُ

سرُ

سرُ

خلفاً دُرُ

خلفاً دُرُ

خلفاً دُرُ

اجتماع فوق العادة

منهُ مكبرٍ صوت،
والسَّماعاتُ على الأذانِ...
خُطبٌ وقصائدُ ويكلُّ لغاتِ العالمِ...
النجدة...
النجدة...
صفارةُ عرباتِ الإسعافِ
صفارةُ عرباتِ الإطفاءِ...
ودُخانٌ يتصاعدُ من كلِّ الأذانِ المحترقة...
والمقعدُ راحٍ يصفقُ بالقدمينِ...

محمد علي الصغير

- إلى سعيد حورانية -

النشيد الأول

بعيدةً مثل يد الصديقِ يا محمدُ
بعيدةً هي الجزائرُ...
بعيدةً، مثل عيونِ المرأةِ الأولى على السريرِ
يا قمراً تحتَ سنانكِ الخيولِ...
يا وشماً على ذراعِ كلِّ حانةٍ...
يا خنجراً يبكي على رمّانةٍ...
يا عندليباً قد هوى مقامراً بالريشةِ الأخيرةِ
أو عليكِ مثل ملكٍ مهاجرٍ تموتُ
لا ريشَ طائرٍ يلقى عليكِ
لا خيوطَ عنكبوتٍ
الآنَ تبدأ الطريقُ
الآنَ صارَ الموتُ، ذلكَ العدوُّ والصديقُ
ينسجُ من حريرِ العوسجِ الوسادةَ...
يدودُ عن جبينِ القمرِ الجرادَ...
الآنَ جاءَ دورُ القبرَاتِ أيها الصديقُ

والقُبْرَاتُ يَا مُحَمَّدٌ،
صَدِيقَةٌ وَفِيَّةٌ لَكِنَّهَا مِنْ غَيْرِ ذَاكِرِهِ...
تَظَلُّ طَوْلَ عَمْرِهَا مُهَاجِرَةً...
تَبِيْتُ فِي عُشِّ بِنَاهُ غَيْرِهَا
تَرْقَدُ فِي كَفْنٍ...
مِنْ نَسِجِ غَيْرِهَا بَعِيدَةً عَنِ الْوَطَنِ...

* * *

لَا تَشْرَبُوا نَخْبَ الْغَرِيبِ،
وَاقْلِبُوا عَلَى تَابُوتِهِ الْكُؤُوسَ...
فَشَهْرَزَادُ مَاتَتْ قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ الدِّيكُ...
أَيُّهَا الرَّفَاقُ...
مَاتَتْ وَعُنُقُهَا قَدْ كَانَ شَمْعِدَانِهَا،
وَلَيْسَ لِلَّذِينَ يَهْجُرُونَ أَرْضَهُمْ أَعْنَاقُ
أَعْنَاقُهُمْ أَقْدَامُ...
يَرْفُضُ فِي الْأَحْذِيَةِ الَّتِي تُلْقَى عَلَى الطَّرِيقِ.
أَنْ يَعِشَّ الْحَمَامُ...

* * *

عَلَى الْغَرِيبِ أَنْ يَمُوتَ فَوْقَ أَرْضِهِ
عَلَيْهِ أَنْ يَمُوتَ فِي بَدَايَةِ الطَّرِيقِ
فِي نِهَآيَةِ الطَّرِيقِ...
وَلَيْسَ فِي مَنْتَصَفِ الطَّرِيقِ...

* * *

لم يبقَ يا محمد...
لم يبقَ في بلادنا عذارى
نحنُ المقاتلونَ والسكّارى
لم يبقَ في اغصاننا براعمُ
نحنُ الأصابعُ التي تبحثُ عن خواتم...
لم يبقَ في بحارنا حوريّة...
لم يبقَ في غاباتنا جنّية...
لم يبقَ في الطاحون...
غير العوسجِ الملعونِ والصُّبَّار...
والمسرحُ المنهارُ

يرفعُ عن مرآتهِ المكسورةِ الستارُ

* * *

ضاجعتَ حتى الحوتَ في البحار...
وكنتَ في بلاطِ شهريارُ
تطعنُ شهرزادَ مرّةً و ألفَ مرّةً
تبكي على جراحِ شهرزاد...
طعنتَ بالسونكي القمرُ
طعنتَ بالسونكي الحجَر...
طعنتَ حتى شابَ رأسُ السيفِ يا محمد...
وفي الحياةِ صوتٌ غيرُ صوتِ طلقةِ الرصاص...
صوتُ اسمه الوطن...
صوتُ اسمه الوطن...

والآن لا وطن...

والآن لا كفن...

والآن لا جزائر...

وكل ما تملكه سحابة تحت الأظافر...

أيتها الجنية المحلولة الضفائر...

أه لو يعود للجزائر...

يعود ساحباً جناحه على الطريق...

أين هي الطريق...؟

ونحن حينما نموت يا محمد...

نود لو تطول لحظة احتضارنا على الطريق...

نود لو نعود نمشي مرة ثانية على الطريق...

نود لو نغير الطريق...

أو نواصل السير على الطريق...

ما أقصر الطريق...

ما أطول الطريق...

أين هي الطريق...؟

النشيد الثاني

إنني أسألك الآن...

أسألك وأبكي...

وجبيني معصوب بقصاصات الأوراق...

وبالطين وبالشوك...

ما جدوى ان نُعطيَ للعالم
للشلالاتِ الأجنحةَ ونحنُ نَضنُّ على المستنقعِ...
بالريشةِ والإصبعِ...؟

* * *

أعطِ المستنقعَ قَدَميكَ
فقدَ يصبحُ نطفةَ حُلمٍ في رَحْمِ بحيره...
هل تسمعُني الآنَ؟...
موتكَ علمنا كيفَ نموتُ
لو كنا نعرفُ كيفَ نموتُ
ما انتحرَ الشلالُ بقطرةِ ماءٍ...
ما سلخَ الشعراءُ...
جلدَ العنقاءِ...
كي يعطوا للبلبلِ وئراً
أو قافيةً بيضاءَ...
ما اتعسَ موتَ الغُرباءِ...
ما اتعسَ موتَ الغُرباءِ...
كقصيدةِ شعرٍ في القائمةِ السوداء...
كقصيدةِ شعرٍ في القائمةِ السوداء...

أغنية على النوتة الموسيقية لأوركسترا مطعم أوروبا بلينغراد

الحب حينَ يا صديقتي يجيءُ خاطفاً كالبرقِ
يُضيءُ وجهنا،
بومضة أو ومضتين
يرعشنا وبعدها،
يتركنا لليلِ
ثم نعودُ يا صديقتي نيكى على تابوتِ شمعداننا
القديمِ
الحبُّ يا صديقتي حينَ يهبُّ مثلَ العاصفةِ
يهزُّنا، يكسِّرُنَا،
يخلعنا من الجذورِ
يطرحنا في السيلِ
نطفو وبعدها يصيرُ السيلُ
الفَ جدولٍ،
نرسو،
ويصنعونَ من جذوعنا
باباً.

ورُبما صليبٌ

* * *

الحبُّ حينَ يا صديقتي يجيءُ كالزَّلزالِ
يضربُنا، يشقُّنا نصفينِ
يهدمُ كلَّ حُبِّنا القديمِ
ثمَّ نعودُ نقضي العمرَ كلَّهُ،
نرممُ التمثال...
* * *

وانتِ جنتِ يا صديقتي كالبرقِ
وجنتِ مثلَ العاصفةِ
كسرتيني، خلعتيني من الجذورِ
وجنتِ كالزَّلزالِ
ضربتيني،
تحطمتُ مرأتِي القديمةِ
تناثرتُ شظايا
ولمَّ يَعدْ لي وجهُ
مِنْ يومِها سقطتُ فوقَ الأرضِ أجمعُ الشُّظايا
أجمعُ في يدي شظايا وجهي الذي انكسرَ
أحبُّ يا صديقتي وجهي القديمِ
أحبُّه ممرِّقاً مكسراً،
وأكرهُ الأربطةَ البيضاءَ
والقناعَ...

أغنية إله سمرقند

"... وبينما تيمورلنك في إحدى غزواته بعيداً عن سمرقند، دعت الهانم - امرأته - كل مهندسي سمرقند، لكي يقيموا لها معبداً ضخماً تفاجئ به تيمور، وأن يقام المعبد في بضعة أيام... ولم يقبل بهذا العرض غير شاب مهندس لقاء شيء واحد: لقاء قبلة يطبعها على شفتي الهانم. وحاولت الهانم إغراء المهندس ولكنه صمد ورفض الذهب وتمسك بالقبلة... وأخيراً وضعت الهانم كفها فوق خدها وقبلها فوق الكف الراحشة على الخد وتم بناء المعبد... وحينما عاد تيمور وأراد الفتك بالمهندس، كان قد اختفى.."

- مولاتي

لستُ بصاحبِ عرشٍ، لستُ بفتاحٍ...
لكنني أملكُ أن أعطي لك،
ما لم يُعطِ السيفُ أو الخنجرُ
وجميعُ عروشِ الأرضِ...
ما أسهلُ أن يُذبحَ بالكفِّ العالمُ
ما أصعبُ أن يولدَ من شفتينا العالمُ
ما أصعبُ أن يكسرَ قشرَ البيضةِ ويرفرفَ عصفورُ
أو تنبتَ شجرةٌ وردٍ تحتَ وسادةِ تيمورُ

فالعالمُ طفلٌ يتزعزعُ، يكبرُ فينا حينَ نحبُّ
يصبحُ يا مولاتي القلبُ
ويموتُ الحبُّ
حينَ يحلُّ السيفُ مكانَ القلبِ...

* * *

مولاتي:

حرسكُ تحتَ الأسوارِ، وشرفتكُ بعيدةً
لكنني املكُ شرياني حبلاً،
والعاشقُ يدهُ تمتدُّ إلى الشمسِ
هذي هيَ يا مولاتي مُعجزةُ الحبِّ
لا يُلقي بعصاهُ فتصبحُ أفعى
لا يخرجُ من فمه حبلاً مناديلُ
لا يخرجُ هابيلُ،
من جثةِ قابيلُ...

فالساحرُ لنَ يصبحَ يا مولاتي عاشقُ

* * *

ما أجملَ أنَ تعشقَ قيصره،
وتخونَ القيصرُ
ما أجملَ أنَ يُطعنَ بجناحِ البلبلِ
بينَ العينينِ القيصرُ
- اطعني بالوردة

اطعني بالخنجر...

- مولاتي:

تيمورُ على أبوابِ سمرقندَ، وتيمورُ هو اللهُ،
ملائكةُ الله، شياطينُ الله،
بطانتهُ، عسكره، ماذا أفعلُ؟
القيصرُ مولاي،

ولكني من أجلك سأخونُ القيصرُ
فعناقيدُ البرقِ ضفائرُ شعركِ،
ووميضُ البرقِ الخاطفُ من شفطيكِ،
يساوي كلَّ شموعِ الليلِ، وكلَّ نجومِ الليلِ،
وكلَّ ضياءِ الشمسِ...

- قبلني فوقَ الكفِ الراعشةِ على الخدِ

قبلني باسمِ سمرقندِ

- مولاتي قبلتكِ هي الموتُ

لونُ الفودكا هو لونُ الماءِ

ولكنَّ الشاعرَ لا يولدُ من نهرٍ يجري

بل من صاعقةٍ تهوي وتموتُ

هذا هو يا مولاتي قدرُ الشاعرِ

يرفضُ نيشانَ القيصرِ

يرفضُ خبزَ القيصرِ

يرفضُ خمرَ القيصرِ...

ويعربدُ سكرانَ ومن جرعةِ برقٍ
يقتلهُ البرقُ، ويحييه البرقُ،
مولاتي إن كانت قبلكِ ستبني كوناً وحضاره...
أيُّ الأكوانِ ستولدُ تحتَ وساتك،
وفوقَ سريرك؟
فسيأتي زمنٌ ستطارِدُ فيه
حتى الموتِ القبلةُ
وتطارِدُ فيه سرُّ العشاقِ
ويطارِدُ كأسُ الخمرِ
وبيتُ الشعرِ
وسيقطعُ رأسُ العصفورِ
ويعلقُ فوقَ السورِ
لكن هودا تيمورُ
حجرٌ مغروسٌ في الأرضِ
مهما نبتتِ يا مولاتي للحجرِ سرايينُ
فلنَ يصبحُ شجرةُ
مهما جاعَ الليلُ،
فلنَ ياكلَ قمره...
وعصافيرُ سمرقندُ
لنَ تلتقطَ سنابلها،
من تحتِ اظافرِ تيمورِ

ماذا يا مولاتي بقي من التَّينِ...؟
ماذا بقي سوى أنقاضِ مخالفه المكسوره
وبقايا أسطوره
ما أشقى العالم حين يكون له
وجه العصفور،
وقلب التَّينِ...

تانيا

(خلال الحصار النازي لمدينة لينغراد، كانت الطفلة
تانيا سافيشفا - ٩ سنوات - تكتب فوق كراسيها
المدرسية يوميات الحصار...
وسقطت تانيا فوق الورقة التاسعة، فلم يمهلها
النازيون لكي تكتب الورقة العاشرة، لكي تعيش اليوم
العاشر).

تانيا ...

انا اعلمُ نهرُ النيفا

سيواصلُ جريانهُ

والعالمُ سيواصلُ دورانهُ

سيلمعُ جنرالُ نيشانهُ...

ويُنظفُ جرسونُ،

في مطعمِ بيروتَ ملاعقَ وصحونَ

ستُبدلُ في حماماتِ استانبولَ،

مناديلَ،

وستوضعُ بدلَ القِطَعِ الذائبةِ من الصابونِ

عصافيرُ

وستكتبُ فوقَ زجاجِ شبابيكِ دمشقِ قصيدةُ

والقردةُ ستُبدلُ في السيركِ معاطفها ...
وستبكي حتى الموتِ على أسوارِ القدسِ يمامةً
وتنوحُ غمامةً ...
لكني منذُ رأيتك،
وقراتُ الأيامِ التسعةَ في دفترِ يومياتك ...
فاليومُ العاشرُ من عمرك لا يعرفهُ
نهرُ النيلِ أو النيفا
صارتُ كالكنسِ المكسورةِ في حلقي الأغنية،
وكلُّ أناشيدِ العالمِ
غرستُ كخناجرَ في صدري،
كلُّ بيارقِ هذا العالمِ
دمك على وجهِ العالمِ
كيفَ أرى العالمَ؟
يا كلُّ صبايا العالمِ؟
يا مَنْ يولدُ من سرِّتكُنَّ
وتحتَ السرِّ السريّةِ
كلُّ الأطفالِ الشرعيّينُ
تانيا لن تصبحَ أمّاً
مَنْ منكنَّ ستصبحُ أمّاً ...؟
في اليومِ الأوّلِ ماتَ أبوها ...
في اليومِ الثاني ماتَ أخوها ...

ماتتُ في اليوم الثالث يا تانيا الأم
ماتَ الشباكُ، تكسرتِ المرأةُ
وماتَ البيتُ كطفلٍ في حِضنِ الشارعِ...
"أصبحتِ وحيدةً"
مليونُ حصانٍ خشبيٌّ، لكنَّ مدينتك المولوده
من قبلة دُميتك المكسورة
لم تصبحِ طرواده

* * *

تانيا...
العالمُ لم يصبحِ بعدُ حديقه
والخوذةُ لم تصبحِ أنية زهورُ
فالقنبلَةُ ما زالوا مختبئينَ هنالكَ
في الثلاجاتِ...
كعُلبِ البارودِ المحفوظة...
فالقائلُ حنطُ يا تانيا...
ما زالَ يراقصُ في التابوتِ جميعَ القنبلِ
للقائلِ ألفُ امرأةٍ،
وقصورُ حريمٍ
مَنْ مَنَّا لا يُلقى في النارِ قصائدهُ،
ما زالتِ يا تانيا القنبلةُ هيَ التفاحةُ
ما زالَ هنالكَ مدنٌ في العالمِ

دَمُهَا فَوْقَ وَجْهِهِ الْجَلَادِينَ
مَا زَالَ هُنَاكَ تَانِيَا أُخْرَى
فِي إِحْدَى مَدِينِ الْعَالَمِ،
تَنْتَظِرُ الْقَتْلَةَ

مَا زَالَ هُنَاكَ تَانِيَا أُخْرَى
تَكْتَبُ فِي كِرَاسَتِهَا
فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ...
فِي الْيَوْمِ الثَّانِي...
تَانِيَا...

مَنْ يُعْطِي تِلْكَ الْطِفْلَةَ يَوْمًا ثَالِثًا...؟
مَنْ يُعْطِيهَا يَوْمًا ثَالِثًا...؟

الغجربة

نهرُ خواتم
نهرُ أصابع
ويحيرةُ أحجارُ
وعيونُ قد غرستُ فيها عيدانُ ثقابُ
والقمرُ المقطوعُ النهدينِ يدورُ
كلُّ يَمْضَعُ خاتمه، يَمْضَعُ إصبعه ويسيرُ
والشاعرُ يبحثُ عن سرجِ جوادهُ
ويفتشُ عن عصفورٍ تحتَ الأنقاضِ
* * *

ضَعُ قمرَكَ في مخلّاةِ جوادك وارحلُ
ضاعَ العصفورُ وبقيَ الخاتمُ
فبسبعةِ أقراطٍ من خشبِ
وبعشرينَ قصيدةُ
ويحبةُ رمانٍ وبمراةٍ مكسورةُ
باعتهُ الغجربةُ لي
أعطتني قدميها فمضيتُ
أينَ سأمضي وبقدمي غجربة؟...
* * *

لَوْ كُنْتَ تَقُولِينَ تَعَالُ
لَوْ كُنْتُ رَأَيْتُكَ قَبْلَ الزَّلْزَالِ
يَا ذَاتَ الشَّامَةِ وَالْخِلْخَالِ
لَوْ كُنْتُ رَأَيْتُكَ قَبْلَ الْمَوْتِ
لَكُنِّي جِئْتُكَ بَعْدَ فَوَاتِ الْوَقْتِ
جِئْتُكَ وَالْخَنْجَرُ قَدْ أَصْبَحَ فَوْقَ سَرِيرِكَ بَدْرًا
وَاكْتَمَلَ الْمَوْتُ
فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وُلِدَتْ مِنْ قَدَمَيْكَ الزَّهْرَةُ وَالْمَصْبَاحُ
وَوُلِدَتْ كَفَائِي
وُلِدَتْ مِنَ الْمَرَاةِ الْعَصْفُورُ وَوُلِدَتْ عَيْنَايَ
كَانَ الْعِشَاقُ يَبِيعُونَ خَوَاتِمَهُمْ،
يَلْقُونَ أَصَابِعَهُمْ،
حَوْلَ سَرِيرِكَ وَيَمُوتُونَ
كَانَ النِّعْشُ عَلَى الْاِكْتِافِ
كَانَتْ تِلْكَ الْعَجْرِيَّةُ تَكْسِرُ حَوْلَ النَّارِ الْأَصْدَافِ
تَقْرَأُ فِي كَفِّ الْمَيْتِ وَتَنُوحُ
لَوْ لَمْ تَكْسِرْ تِلْكَ الصَّدْفَةَ
لَوْ لَمْ تَخْرُجْ مِنْ بَطْنِ الْحَوْتِ
لَوْ أَبْقَيْتَ بِيَدِكَ وَلَوْ وَرَقَةً تَوْتُ
تَحْجِبُ وَجْهَكَ فِي التَّابُوتِ
كَيْفَ سَتَمُضِي لِلْمَوْتِ بِغَيْرِ قِنَاعٍ؟

مَنْ مِنْ تِلْكَ السَّمَكَاتِ الْمُلقَاةِ عَلَى الشَّاطِئِ،
ضَاجِعَهَا حَتَّى الْمَوْتِ الصِّيَانُ
يُعْطِيكَ شَهَادَةَ مَوْتٍ أَوْ مِيلَادٍ؟

* * *

أَنَا تِلْكَ الْعَجْرِيَّةُ مَنْ شَقَّتْ خِيْمَتَهَا لَكَ
مَنْ أَعْطَتْ لِلذَّنْبِ ضِفَائِرَهَا
كَيْ يُلقِي فِي تَابُوتِكَ زَهْرَةَ
أَفْتَحْ عَيْنِيكَ لِآخِرِ مَرَّةٍ
فَاللَّيْلَةَ سَتَدُوسُ عَلَى جَسَدِي
كُلُّ خِيُولِ السُّلْطَانِ
قُلْ لِي أَيْنَ هُوَ الْخَاتَمُ؟
وَلِمَنْ أَعْطَيْتَهُ؟
أَيْنَ وَضَعْتَهُ؟
تَحْتَ وَسَادَةٍ مَنْ؟
فِي إصْبَعِ مَنْ؟

قصيدة على أوراق البردي

إن صدقَ العرافُ
لفرعونَ زهورَ اللوتسِ
والتاريخُ على ورقةِ بردي
والتاريخُ ككباشٍ يُسحبُ من قرنيه
والتاريخُ على المذبحِ قربانُ
ولقد صدقَ العرافُ مئاتَ المراتِ
وانتصرتُ حكمةُ فرعونَ مئاتَ المراتِ
صارتُ عيناهُ تلمأَنِ العالمَ،
أسرارَ العالمِ في رمشٍ واحدٍ
تحتَ الجفنينِ وفوقَ الجفنينِ
صحارىَ وجنائنُ... ورياحُ وخلجانُ العالمِ
لكنَّ العرافَ الصادقَ لم يصدقْ هذي المرةُ
أخطأ،

أخطأ فرعونُ
كيفَ الحكمةُ تُخطئُ...؟
ما عادتْ أسرارُ العالمِ في مكحلتِهِ
ما عادَ ملوكُ الأرضِ حفاةً يجرونَ

يحيطونَ بمركبته...

هربتُ جزرُ وخلقجانُ العالمُ من تحتِ الجفنينُ
ما عادَ التاريخُ هو الكبشُ المسحوبُ من القرنينُ
أصبحَ نسراً

لا تبلغُهُ عينُ العرَّافِ

ولا تصلُ إليه حربةُ فرعونُ

كانَ على العرَّافِ بأنْ يُسحبَ من قرنيه

انْ يَدْفَعْ لخرزينةِ فرعونَ المفتوحةِ عينيه

* * *

زهرةُ لوتسٍ...

ورقةُ بردى تُلقى في الماءِ

كبشٌ يُلقى في الماءِ

حجرٌ يُلقى في الماءِ

جرحَ الحجرُ جبينَ الماءِ

سالَ دمُ النيلِ

فاضَ النيلِ

قلعَ العرَّافُ بيدهِ عينيه،

لقى عيناً للتمساحِ

والتى العينَ الأخرى في النيلِ

جرحتُ عينُ العرَّافِ جبينَ النيلِ

سالَ دمُ النيلِ

فاضَ النيلُ

الحاوي ألقى بعصاهُ فلمَ تبتلعِ الطوفانُ
كيفَ يَضْمَدُ جُرْحُ النيلِ

– النيلُ وحيدٌ، أعطوا للنيلِ عروسَ...
ليهبنا ذريةَ أنهارٍ وجداولٍ..."

صاحتُ أزهارُ اللوتسِ
صاحتُ أوراقُ البرديِ
صرختُ حُبلى وانشقَّ البطنُ

أصبحَ للنيلِ عروسُ
أصبحَ عرساً للموتِ

أصبحَ للنيلِ سريرِ لكنَّ النيلَ العاشقُ
لا تكفيهِ امرأةٌ واحدةٌ طولَ العمرِ

كيفَ سينجبُ ذريةَ أنهارٍ وجداولٍ...؟
إنْ أعطيناها امرأةً واحدةً طولَ العمرِ
إنْ أعطيناها قرباناً واحداً...؟

* * *

– فلنبنِ السدَّ

أعطينا للنيلِ نساءً وبعدهُ تماسيحهُ
أعطيناها نساءً وبعدهُ زهورِ اللوتسِ

وطيورِ النورسِ
ما كفَّ يفيضُ

تختُ النيلِ هو الهودجُ نحملهُ،
صرنا تحتَ قوائمه نولدُ ونموتُ
فلنبنِ السدَّ،

– خائنُ

صرخَ الكاهنُ وهو يضمُّ إليه قربانه
– خائنُ

صرخَ الحاوي وهو يضاجعُ ثعبانه
حُبلى راحتُ تتَحَسَّسُ بالكفِّ البطنَ،
وتحلُمُ أن تعطي للنيلِ عروسا،
تصرخُ: خائنُ

– خائنُ

بانعةُ زهورِ اللوتسِ تصرخُ: خائنُ
وعروسُ النيلِ الموعودة تصرخُ: خائنُ
والحائكُ يغرسُ إبرتهُ في ثوبِ عروسِ النيلِ،
ويصرخُ: خائنُ

– خائنُ

– خائنُ

– خائنُ

– كيف نُقيمُ جداراً في وجهِ النيلِ؟
كيف يعيشُ النيلُ بغيرِ نساءٍ وقرابينِ...؟
كيف يعيشُ الناسُ بغيرِ قرابينِ...؟

كيف يعيشُ التاريخُ بغيرِ قرابينٍ...؟

أصبحَ للموتِ كتابٌ...

تقرأهُ غزلانٌ وذئابٌ...

– القوهُ في النيلِ...

ويحنجرهٌ واحدةٌ صرخوا: القوهُ في النيلِ

القوهُ في النيلِ...

* * *

القوهُ في النيلِ

وطفا الجسدُ على وجهِ النيلِ

راحتْ جثتهُ تكبرُ... تكبرُ... تكبرُ

تكبرُ...

صارتْ في طولِ النيلِ،

وفي عرضِ النيلِ...

قصيدة فوق الجدار

.... أنا لا أعلم أين متى

في أيّ زمانٍ ومكانٍ

قد حدثَ وَقَتَّلُوا الشاعرَ...؟

لكني أعلمُ أنهم جاءوا

والقتلةُ جاءوا ويجينون...

كانوا بالأمسِ هنا،

وهمُ اليومَ هناكُ

وغداً همُ في كلِّ مكانٍ

فالشاعرُ دمه مهذورٌ في كلِّ زمانٍ...

* * *

انظرْ إن بقيتْ في وجهك عينانُ

خمسةُ فرسانٍ بينهمُ الشاعرُ

وقصيدةُ غضبٍ حُفرتْ فوقَ الجدرانِ

ضدَ لويسِ الأولِ، ولويسِ الحادي والعشرينِ...

— "امسحها بيديك..."

أبياتُ قصيدتكِ الملعونةِ والمحفورةِ فوقَ الجدرانِ...

* * *

ومضى الشاعرُ يمسحُ أبيات قصيدته بيديه
وغبارُ الأحرفِ يتساقطُ
والأحرفُ تتساقطُ في عينيه...

عند البيتِ الخامسِ، ذابتُ يدهُ اليمنى...
عند "البيتِ العاشرِ"، ذابتُ يدهُ اليسرى....
بقي لسانُ ووجهُ الشاعرِ...

— امسحْ بلسانك ما بقيَ على الجدرانِ...
ذابَ لسانُ الشاعرِ...

بقيَ من الشاعرِ وجهٌ،

بقي من الشاعرِ عينانُ

— "امسحْ وبوجهك آخر بيت..."

وكمروحةٍ راحَ الوجهُ يدور...

راحَ الوجهُ يذوب...

راحَ الوجهُ يذوب...

سقطَ الشاعرُ...

سَقَطَ وبقيتُ فوقَ الجدرانِ المفروشةِ

كالنطمِ الأسودِ كلمةً لا

لاَ للويسِ الأولِ، ولويسِ الحادي والعشرين

لاَ للزنزانيةِ، لمقصٍ رقيبِ السلطانِ

وللسكينِ

* * *

... والآن

أين وجوهكم؟ نرفضُ هذي الأوجهُ،

كلُّ مرايا العالم...

أين أياديكم؟

ترفضُ هذي الأيدي القفزاتُ

ويرفضُ إصبعها الخاتم...

ترفضُ أن تسقطَ فوقَ أكفكم،

كي تلتقطَ الحبَّ عسافير...

ما دامَ دمُ الشاعرِ مهدور...

نحنُ جيعاً من غير أيار،

نحنُ جميعاً من غير وجوه...

في أوتوجراف ساعة حائط

رائجة كانت تجارة الرموش والأظافر
تجارة الضفائر...
فصار وجهه وساده...
فوقها تُراقصُ الفراشة الجراة...
وصار وجهه سجادة...
ولم تعد رائج تجارة الأظفار والضفائر...
فصار وجهه ستار مسرح
وصار شاشة بيضاء...
وزغردت بنادق المقاومة...
وامتلأت خوذتنا بالدم
وصار أعذب الأصوات،
صوت الدم...
فصار وجهه حجر...
وضاجعوا الحجر...
فصار ذلك الجدار...
عليه تُكتبُ القصائد المقطوعة الأتداء
وساعة الحائط: ببقاء

(١)

انا ابنُ جلا وطلاغُ الثنايا متى اضعِ العِمامةَ تُعرفوني
زوبعةٌ هبَّتْ وطارَتِ العمامةُ
وصاحَ لاعقو حوافرِ الجوارِ،
لم تكنْ سوى حمامةُ
طارَتِ، وصاحَ آخرونَ،
بلْ غمامةٌ...

امّا الذي راى فوقَ الذي راوا،
فصاحَ:

لم تكنْ سوى علامةٌ...

وبَعَدَها القِيامةُ

لكنّها هناكَ كانتِ العمامةُ

في سلةِ القمامةِ

(ب)

أعطيكَ كلَّ ما اعرفهُ،

منَ الأوزانِ والقوافي...

وكيفَ باعَ صانعُ السيوفِ نارَهُ،

وصارَ ذلكَ الإسكافي...

مسمارُهُ، يسرقُهُ من كَفِّ مصلوبِ

ومن تابوتِ

أسيرُ فوقَ رأسي،

يَسْتوي في ناظريِّ الوحلُ والياقوتُ

أقولُها بلا حَجَلِ

بقِطَةِ مِيتَةِ أبيعكَ القمرُ

والعُربُ أشرفُ أمةِ

مَنْ شكَّ في قولي كَفَرَ

الرخصة الأولى

المقطع الأول

جُمجمة فلسطينَ "المحبرة"
لنغمسَ اغصانَ الليمون...
ولنكتبَ يا شعراءَ التينِ وشعراءَ الزيتونِ
وعلى أوراقِ الموزِ وفوقَ زجاجِ نوافذنا
اشعاراً لفلسطين...
جمجمة فلسطينَ هي الخوذةُ
فوقَ الرأسِ...
وهي الكأسُ...
فلنشربَ في جمجمة فلسطينِ
نخبَ فلسطين...
* * *

وشربنا القدحَ الأولَ والقدحَ الخمسينِ
وفلسطين...
غائبةً عن تلك المائدة الملعونة...
كانت - قيس المجنون - على - جبل التوباد -
وكانت ليلي المجنونة...

كانت تحتَ شبابيكِ العالم
تحلبُ ثدييها،
وتبيعُ حليبَ الثديينِ الأسودَ لجميعِ اللُّقطاءِ...
كانت من أكفانِ الشهداءِ
تصنع - أقماطاً للشعراءِ - ...
كان سرادقُها مفتوحاً
كان سريراً مفتوحاً
يتتابع كلُّ الخطباءِ على جسدِ فلسطينِ
فوقَ سريرِ فلسطينِ
مملوكٌ يتبعُه مملوكٌ...
مِهراجا يتبعُه مِهراجا...
- عظمُ فلسطينِ الأسودُ - أصبحَ - عاجا - ...
زنبقةٌ في - عروةِ معطفِ مشنقةٍ -،
كانَ اسمُ فلسطينِ
والمشنقةُ تدورُ...

* * *

سيركِ فلسطينِ سيُفتتحُ الليلة...
هاتوا مربوطاً بالأغلالِ - المعتصمَ -،
وهاتوا في - قفصِ خالدٍ -
هاتوا ملفوفاً في النطعِ «المتنبي»
محمولاً فوقَ بيارقهِ - سيفَ الدولة -

- سيرك فلسطين - سيُفتتحُ الليلة...

* * *

... وانفجرت - قُبعة الحاوي - في تلك الليلة

لم يبقَ هناك في السيركِ مشاهدٌ...

هربَ - المعتصمُ - وامسكَ بصفائِرِ - غزّة - خالد -

واختلطَ الحابلُ بالنابلِ...

وانطلقَ قطعِ الثيرانِ يدوس "حديقةَ بابل"...

أينَ فلسطينُ...؟

لم يبقَ هناك في "قفصِ السيرك" فلسطينُ...

فلترقصُ تحتَ مصابيحِ الأرصفةِ فلسطينُ

كي نشربَ نخبَ فلسطينُ...

ما زالَ هناك في الكرمِ عناقيدُ

ستُعصرُ باسمِ فلسطينُ

ما زالَ هناك فوقَ حبالِ الشعراءِ

قصائدُ تتدلى ترشحُ باسمِ فلسطينُ

ما زالَ هناك فوقَ السندانِ

حديدٌ يُطرقُ،

خوذاتٌ، حدواتٌ، "أوسمةٌ ونياشين"...

ما زالَ هناك في الثلاجةِ

لحمُ "صلاح الدين"...

المقطع الثاني

سقطت غزّة في الفخ...

انكسرت بيضة طير الرخ...

تلك الحرباء...

عارضه الأزياء...

سرقته وجه الخنساء

* * *

وصنعنا من علب السردين الخوذة

وغرسنا في الخوذة غصن الليمون

وحشونا بعيون الشهداء بناقنا

واخجل بناقنا...

ومضينا...

نطلق نيران قصائدنا

واخجل قصائدنا...

واخجل حناجرنا...

ضاقت ذراعاً بقصائدنا

أشجار الليمون وأشجار الزيتون...

فامتدت كالأيدي تصفعنا اغصان الليمون

وامتدت تلتف حبالاً حول الأعناق

جذور الزيتون

وأطل حزيران ومد الكفين

بأقراصِ العسلِ المسمومة...
مدَّ الكفينِ بتلكَ القافيةِ المشؤومة...
صارَ حزيرانُ "براقاً"
صارتْ أقدامُ الشعراءِ الأعناقاً
ركبوا، كلهمُ ركَبَ براقَ حزيرانِ،
فجمعَ والقاهم عن صهوتهِ
تحتَ قوائمهِ وانتفضَ وطارا...
ماذا نفعلُ...؟

"والفرس عقيمٌ"، لن تلدَ براقاً آخرَ...
فلنضربُ في الرملِ...
هبتْ زوبعةٌ، القتْ في أعيننا الرملِ
ومددنا للعرَّافِ الكفَّ...
سقطتْ عينُ العرَّافِ،
انكسرتْ كالبيضةِ في الكفِّ
حتى حين يكونُ لنا عرَّافٌ
لا يجرؤُ أن يتنبأ،
إذ يتحسَّسُ أبدأ عينيه...
وجهُ حزيرانَ هو "الحجرُ الأسودُ"
نلمسه، نتحسسه، ونحجُّ إليه...

المقطع الثالث

في ليلٍ لا يَعرفُ فيه الضاربُ

في الليلِ خلاصة...
انطلقتُ يا فتحةً رصاصه...
سالَ الدّم...
دَمْنَا سالَ، عَرَفْنَا ما هو لونُ الدّم
أَنسَوْنَا ما هو لونُ الدّم...
كنا لا نعرفُ هل في الشريانِ
دماءٌ أم ماءٌ...

كنا نعرفُ كلَّ الألوان...
لونَ عيونِ رجالِ جوازاتِ السفرِ،
ولونَ الدينارِ، ولونَ القائمةِ السوداءِ
إلا لونَ الدّم...
والآنَ الدّمُ سالَ عَرَفْنَاهُ،
وأمسكنا بالدمِ خيطاً...

* * *

فلننزفُ يا فتحةً
سنموتُ إذا ضَمَدْنَا الجرحُ...
وليصبغُ دَمْنَا كل زجاجِ شبابيكِ العالم...
وليصبغُ وجهَ العالم...
هذا العالم...
فلنغرسُ تحتَ وسادتهِ إصبعَ ديناميت...
ما دُمْنَا يا فتحةً على الأسلاكِ الشائكةِ نبيت...

لن يتمدد هذا العالم فوق سرير...

هذا العالم أكل طويلا،

لحم فلسطين...

بالشوكية والسكين...

اذن العالم...

عين العالم...

قلب العالم...

حنجرة العالم...

تفاحات مسلوقة

تفاحات مسروقة

في سلة فاكهة المحتلين...

يا رجل ويا امرأة العالم...

دَمْنَا يصبغ دُمِيَةَ طفلك...

دمننا يتبعك كظلك...

كوني معنا الآن...

كن معنا الآن...

كونوا معنا الآن...

يا سودَ ويا بيضَ ويا حمراً ويا صفراً العالم

كونوا معنا الآن...

نحنُ سنعطيكُم شرفَ الإنسانِ

وشهادةَ ميلادِ الإنسانِ

نحن سنعطيكُم اسمَ الإنسانِ

* * *

يا فتحّ ...

هذا الخيطُ من الدّم ...

هذا السلكُ الذهبيّ ...

تليفونُ الثوره ...

— هي ذي السماعه يا فتحّ

— ألو ... ألو ...

— العالم يسمعنا الآن ...

— كلُّ عناقيدِ الداليةِ رصاصٍ يا فتحّ ...

— كلُّ رؤوسِ الأطفالِ، وكلُّ التفاحِ

على شجرِ التفاحِ قنابلٍ يا فتحّ ...

دا ... دا ... دا ... دا ... دادادا ...

بادادم ... بادادم ... بادادم ...

العالمُ يسمعنا الآن ...

— كلُّ عناقيدِ الداليةِ رصاصٍ يا فتحّ

— كلُّ رؤوسِ الأطفالِ، وكلُّ التفاحِ

على شجرِ التفاحِ قنابلٍ يا فتحّ

دا ... دا ... دا ... دا ... دادادا ...

بادادم ... بادادم ... بادادم ...

العالمُ يسمعنا الآن ...

– كلُّ عناقيدِ الداليةِ رصاصِ يا "فتح"

– كلُّ رؤوسِ الأطفالِ وكلُّ التفاحِ

على شجرِ التفاحِ قنابلِ يا "فتح"

دا... دا... دا... دا... دادادا...

بادادم... بادادم... بادادم....

دم... دم... دم...

ثلاثة جدران لمجرة التعذيب

عند طلوع الفجر

سأقاوم...
ما زالَ في الجدارِ صفحةً بيضاءَ
ولم تذبْ أصابعُ الكفينِ بعدُ...
هناكَ من يدقُ
برقيةً عبرَ الجدارِ
قد أصبحتُ أسلاكنا عروقنا
عروقُ هذهِ الجدرانِ...
دماؤنا تصبُّ كلُّها،
تصبُّ في عروقِ هذهِ الجدرانِ...
برقيةً عبرَ الجدارِ
قد اغلقوا زنزانةً جديدةً
قد قتلوا سجيناً...
قد فتَّحوا زنزانةً جديدةً
قد احضروا سجيناً...

عندما ينتصف النهار

قد وضعوا أمامي الورق،

قد وضعوا أمامي القلم

قد وضعوا مفتاح بيتي في يدي

الورق الذي أرادوا أن يلطّخوه

قال: قاوم

والقلم الذي أرادوا أن يمرّغوا جبينه في الوحل

قال: قاوم

مفتاح بيتي قال: باسم كل حجر

في بيتك الصغير قاوم

ونقرة على الجدار

برقية عبر الجدار من يد محطّمة

تقول: قاوم

والمطر الذي يسقط

يضرب سقّف حجرة التعذيب

كل قطرة،

تصيح: قاوم

بعد غروب الشمس

لا أحدٌ معي
لا أحدٌ يسمعُ صوتَ ذلك الرجلِ
لا أحدٌ يراهُ
في كلِّ ليلةٍ وحينما الجدرانُ
تُغلقُ والأبوابُ...
يخرجُ من جراحيَ التي تسيلُ
وفي زنزانتني يسيرُ
كانَ أنا،
وكانَ مثلما كنتُ أنا...
فمرةً أراهُ طفلاً
ومرةً أراهُ في العشرينِ
كانَ عزائيَ الوحيدُ
وحبيَ الوحيدُ
كانَ رسالتي التي اكتبها في كلِّ ليلةٍ
وكانَ طابعَ البريدِ
للعالم الكبيرِ
للوطنِ الصغيرِ
في هذه الليلةِ قد رأيتُهُ
يخرجُ من جراحي، ساهماً معذباً حزيناً

يسيرُ صامتاً ولا يقولُ
شيئاً كأنه يقولُ:
لن تراني مرةً ثانيةً لو اعترفتُ
لو كتبتُ....

الحبر الأبيض

كم كُتِبَتْ بالحبرِ الأسودِ أغنيةً وقصيدةً
كم كُتِبَ وكم طُبِعَ وبالحبرِ الأسودِ والأحمرِ
إعلانٌ وبلاغٌ وجريدةٌ
فالحبرُ الأسودُ والأحمرُ والأزرقُ... إلخ
حبرُ السلطانِ...
حبرُ صديقي وصديقكم يا شعراءَ وكتّابَ السلطانِ...
حبرُ رقيبِ السلطانِ

* * *

يا وطني كُتِبَ علينا أن نكتبَ بالحبرِ الأبيضِ...
كُتِبَ عليك بأن تقرأ ما نكتبُ بالحبرِ الأبيضِ...
كُتِبَ علينا الحبرُ الأبيضُ
كُتِبَ عليك الحبرُ الأبيضُ

* * *

مكتوبٌ يا وطني مكتوبٌ
مكتوبٌ في قاموسٍ وفوقَ جبينِ
وفوقَ حذاءِ رقيبِ السلطانِ
أن تصرخَ بالحبرِ الأسودِ
وتُغنيَ بالحبرِ الأبيضِ...

أغنية الرجل والجواد

برميلُ حبرٍ فوقَ ظهره،
ورقٌ ومطبعة
وبندقيَّةٌ ومكتبة
أيتها الحوافرُ المعدِّبة
والقدمُ المعدِّبة
أمامنا مستنقعٌ مطوَّقٌ،
وقريَّةٌ مطوَّقةٌ
كلماتُ السرِّ للنجوم سقطتُ،
وثقبتُ جبينها رصاصه...
والشمسُ كلُّ خيطِ ضوءٍ صارَ سيلكاً شائكا
أيتها الحوافرُ المسهَّدةُ
والقدمُ المسهَّدةُ...
القمرُ الذي قد كان شهرزادَ كلِّ ليلةٍ،
ممددٌ على سريرٍ
مخدرٌ في غرفةِ الجراحةِ
ومبضعٌ يشقُّ صدره،
قد تمتِ المؤامرةُ

لكنه لا بدّ أن توصلَ الأعناقُ سيرَها،

على حبالِ المشنقةِ

أيتها الحوافر الممرّقةِ

والقدمُ الممرّقةِ

* * *

- يا أيها المطاردونُ

لو تقدرونَ فاقلّعوا،

أسنانَ كلِّ نجمةِ،

لا بدّ أن نواصلَ المسيرَ

وأن نواصلَ النزيفَ

نموتُ إن توقفتُ أقدامنا،

وإن توقفَ النزيفُ

فالمستحيلُ،

يصبحُ مرةً جرحاً

ومرةً سكينُ

* * *

برميلُ حبرٍ فوقَ ظهره

وورقٌ ومطبعةُ

وبندقيةُ ومكتبةُ

أيتها البنادقُ التي رصاصها عيوننا

لا تطلقِي الرصاصُ

مأساتنا أكبرُ من جراحنا،
أكبرُ من عذابنا،
لا تُطلقِي الرصاصُ
قد سقطَ الجوادُ في نهايةِ المطافِ
وفوقهُ سقطتُ
سقطتُ فوقَ الحبرِ والورقِ
فوقَ حروفِ المطبعةِ
على الحوافِرِ الممزقةِ
وجاءتِ النسورُ
تنهشُ لحمي مرةً، ومرةً لحمَ الجوادِ
تنهشُ الورقِ
قد صبغتُ مِخلبَها بالحبرِ،
صارَ في المنقارِ حرفُ المطبعةِ...
ايتها البنادقُ التي رصاصُها عيوننا
لا تُطلقِي الرصاصُ

* * *

قريئنا التي جننا لها بالحبرِ والورقِ
بسلةِ الحروفِ والكتابِ
قريئنا لا تعرفُ القراءةُ
قريئنا ما قرأتُ كتابُ
وما رأتُ جريدةً...

قريننا التي جننا لها بالحبر والورق
تحلم بالسنابل الخضراء والطاحونة
وحيثما يضربها الزلزال بالحرية
صار لها أغنية جديدة حزينه
أغنية الجوار والرجل
أغنية تظهر كل ليلة عريانه
تنهشها النسور فوق قمة الجبل...

القمر المحنط

السارياتُ في رؤوسها البيارقُ

كأنها البنادقُ

في رؤوسها السناكي...

فاليومَ يومَ الافتتاحِ،

يومَ السيرِ

يومَ المعرضِ الكبيرِ

وكلُّ مَنْ لَهُ وطنُ

كانَ لَهُ عَلمٌ

يا وطني

يا قمرأ محنطاً صغيراً

بلا وسادة ولا سرير

أحملة في حقيبة السفر

مهاجراً من حجرة فوق السطوح

من زنزانية إلى زنزانية

من حانة لحانة

أخاف أن أسيرَ تحت الساريات،

فالرياحُ عاصفة

أخشى سقوط سارية
تقتلني، أخاف أن أموت
تحت علم غريب
أخاف أن أموت تحت علم أرفض،
كلّ خيط فيه،
يا إلهي الكبير
يا وطني،
يا قمراً محنطاً صغيراً
أحملة في حقيبة السفر
مهاجراً على جوارٍ من خشب
أبحث عن طروادة العرب
مهاجراً شريد
أبيع للنجوم خمره مفضوشة
أبيعها طوابع البريد
مهاجراً أحارب
بالنرجس الذئاب،
بالعنقود هذه الثعالب
سلاحي القصيدة
تبحث عن جريدة
تبحث عن جريدة...

جراحه كانت تقول:

لا

اغلاله كانت تقول:

لا

وفوق صدره يمامة اعطته

كل ريشها

ضفيرة لجرجه، كانت تقول:

لا

لا للذين باعوا واشتروا

خلخال غزة.

لا للذين حطموا مرآة غزة

باعوا الشظايا واشتروا اوزة

ايتها الاوزة

كفي عن الصياح لحظة،

ولتسمعي مرة يقول:

لا

او عليه لم يمت تحت

أشعة - النيون -

بين الشمعدان والقمر...

أو عليه لا بلاغ في جريدة

لا جنازة ولا قصيدة

أيتها الحجارة

لو تسمحين لي ببيت شعرٍ واحدٍ

أقوله لكلّ حيةٍ طويلةٍ ومستعارةٍ

كفي عن الصياح لحظةً

ولتسمعيه مرةً، يقولُ:

لا

جدارُ بيتي،

يُطعمُ الشبّاكَ من أحشائه

ولا يسافرُ

طيور المنافي

وحطت بنا الطائره...
وصاحت طيور المنافي هي القاهره
طيور المنافي مناقيرها في العظام،
طيور المنافي مناقيرها في دمي...
مطار يسلمني لمطار
أبيع دمي...
على جبهتي الف تأشيره
وفي بطن حوت جواز السفر
وأرض الوطن...

* * *

حقائب مثل ذئب الثلج،
يطاردُها البابُ والنافذه...
حقائبُ تفقسُ فيها الأسود،
حقائبُ تحلبُ فيها العناكبُ
ونخاسنا عبر كل القرون،
يبدلُ جلدًا وحافرًا...
ينارمه في ليالي السهارة الطويلة شاعرُ

يطاردُ شاعرٌ...
ويملاً مخلّاةً شاعرٌ
ويقتلُ شاعرٌ...
فقصّي الضفائرُ
وبيعي الضفائرُ...
رُجاجةٌ خمرٍ لشاعرٍ
سريراً لشاعرٍ
وكيف يريحُ جناحيه طائرٌ...؟
فيوماً يقيمُ وعاماً يهاجرُ
وكيف يضمُّ جناحيه طائرٌ...
إذا لمسَ القشَ مات،
ويُصعقُ إن لمستهُ الغصونُ...

* * *

كفى تَلدينَ، كفى تجهضينُ
فنحنُ بغيرِ إلهِ،
ونحنُ بغيرِ جبينِ
ولكننا مثلما قال شاعرٌ
رَهْنَا البيارقَ بعنا الخناجرُ
وعُدنا بهذي الحناجرُ...

* * *

أليسَ هنا في بلادِ النجومِ

وأرضِ الخرافاتِ ساحرٌ...؟
أليسَ هنا بطلٌ أو مقامرٌ...؟
أكلُ بطونِ الحبالِ طبولُ
تدقُّ فلا صيحةٌ أو نشيدُ
لميلادِ طفلٍ جديدٍ...؟
هو الرعدُ لا تسمعي...
هو الموتُ لا تفزعِي...
فنحنُ شَحَدْنَا الأظافرُ
على صدرِ شاعرٍ...
يقولُ رهنا البيارقُ، بعنا الخناجرُ...
وعدنا بهذي الحناجرُ...
وعادَ حزيرانُ طفلاً
حَلِيبيكُ قد صارَ وحلاً
وطفلُكُ جانعُ

أنا وأنت وهو...

لم تكن الأشجارُ في قاموسه،
ولا الزهورُ...
ولم تكن هناك في قاموسه طيورُ
فكل ما يعرفه ما علموه،
أن يقتل الطيورَ أولاً،
فَقَتَلَ الطيورُ
أن يكره القمرُ
فكره القمرُ...
وان يكون قلبه حجرُ
فكان قلبه حجرُ...
وان يصيحَ "عاش أيُّ شيء"
تسقط أيُّ شيء
يموت أيُّ شيء

* * *

لم تكن الأشجارُ في قاموسه،
ولم يكن هناك في قاموسه،
أنا وأنتُ

كانَ عليه أن يقتلني،
أنا وأنتُ
فكل ما يعرفهُ،
ما علّموه،
أن يقتلني أنا وأنتُ...

الطاهونة

دجاجةٌ تبيضُ في جمجمة
وامرأةٌ ذابلهُ،
في أنيةٍ محطمةٍ
خلفَ المتاريسِ، يذبحُ الجياغُ
كلَّ ليلةٍ،
نجمةً،
وطفلةً، تلقي بعرائسِ الطينِ
إلى الكبشِ،
الذي شدَّ إلى السلسلةِ
طائرٌ يطلقُ الرصاصَ،
على الحوصلةِ...
انفجرتُ سنبله

جئتُ لأدعوكِ باسمكِ

أقدم أوراق اعتمادي كسفير

فوق العادة لبلاط الأميرة (سين) في قصر الملكة (جيم)

أحتجُّ يا مَليكتي
ففي المطارِ فَتَّشُوا حَقِيبَتِي
وصادروا غزاةً مذبوحَةً من الوريدِ للوريدِ
وكانت الغزاةُ...
شهادة اعتمادي
غزاةً مذبوحَةً مصادرةً...
تَصوُّري مَليكتي...
تَصوُّري المؤامرة...؟!
* * *

الحوث...
خبأ يونسَ وحماه...
الحوثُ حمى يونس...
لكننا نبحثُ في هذا الوطنِ الواسعِ
في هذا البحرِ الواسعِ،
نبحثُ عن حوث...
نبحثُ عن ورقة توت...
* * *

اعترفُ ...

وشاهدي على الذي اقول،

وجهي الملفوفُ بالصحفُ ...

اعترفُ ...

بأنَّ وَجْهِي الجَدِيدَ كانَ من خِزْفِ

وَحِينِما سَقَطْتُ فَوْقَ الأَرْضِ،

وَجْهِي انكسرُ ...

* * *

مَلِيكَتِي تَقْبَلِي أو ارفضِي،

أوراقَ الاعتمارِ ...

فَلَسْتُ أَطْلُبُ البِراءَةَ

وَلَسْتُ أَتَهَمُ

أنا الذي رَقَعْتُ بِالزجاجِ مِعْطَفي

أنا الذي رَصَفْتُ بِالفِسيْفِساءِ خُوذَتي

أنا الذي شَرِبْتُ خَمْرَةً مَغشُوشَةً،

فِي كُلِّ دارٍ ...

أصابني الدُّوارُ ...

مَلِيكَتِي تَقْبَلِي أو ارفضِي

أوراقَ الاعتمارِ ...

فَعِنْدَ بابِ القِصرِ يا مَلِيكَتِي

أَطَلَقْتُ نارَ بُنْدُقيتِي

أطلقتها على يدي
فحينما تكونُ يا ملكتي القصيدةُ
كسيحةً لا تستطيعُ أن تصونَ
رأسَ ثائرٍ....

يموتُ بين النابِ والأظافرِ
فما مبررُ الحياة،
ما مبررُ الوجودِ كله لشاعرٍ

بطاقة شخصية

... ورَقَصْتُ عَلَى كُلِّ سَقُوفٍ،
عَلَى كُلِّ شَبَابِيكٍ،
عَلَى كُلِّ سَطُوحِ الزَّنَازَاتِ
وَآكَلْتُ الرِّعْدَ الْأَسْوَدَ
بِالشُّوْكَةِ وَالسَّكِينِ...
فِي أَطْبَاقِ جَمِيعِ السَّجَّانِينَ...
يَا وَطَنِي كُنْتُ مَغْنِيكَ وَشَاعِرَكَ الْمَقْطُوعِ الرَّأْسِ
كُنْتُ بَغِيرَ يَدَيْنِ
أَتَسَلَّقُ كُلَّ جِبَالِ الْعَالَمِ
وَشَتَمُ جَمِيعِ سَجُونَ الْأَرْضِ عَلَى صَدْرِي
وَطَرَقْتُ جَمِيعَ الْأَبْوَابِ
أَخَفَّتَنِي عَاهِرَةٌ،
وَوَشَى بِي قَدَيْسُ
كَانَ اللَّهُ مَعِي...
لَكِنَّ اللَّهَ هُنَاكَ يُدَلِّي بِشَهَادَتِهِ
فِي مَرَكِزِ بُولِيْسَ
— فَتَحَ الْمُحَضَّرُ... —

- ما اسمُكَ؟

- كمُ عُمُرُكَ...؟

- ما عُنُوتُكَ...؟

- مِهْنَتُكَ... وكانت مهنته الله

صَبَّغُوا بِالْحَبْرِ أَصَابِعَهُ،

أَخَذُوا بِصِمَاتِ اللَّهِ...

والتقطوا صورته...

كان الله معي...

لكن الله ورائي كان هو المخبر...

أله تسجيلٍ قد غرست في قلبي

أله تسجيلٍ قد غرست في قلب الله...

* * *

يا وطني منذُ رأيتك تترنحُ سكرانُ

في كلِّ الحاناتِ السريةِ والعلنيةِ

أصبحتُ مديناً ولكلِّ مرابي العالمِ

ورهنْتُ جراحَ الجبهةِ

وجراحَ الأُغنيةِ

كي اعطيك، أنا المقطوعَ الرأسِ

الحريةِ

لكن مصباحَ علاء الدينِ

قد نضبَ به الزيتُ

وأشجارُ الزيتون...
لم تُعطِ لنا زيتاً منذُ سنينِ
أعطاني شمشونُ ضفائره،
لكنَّ دليلهُ

كانت يا وطني تتبعني
كانت فوق سريري
كانت تحت سريري
وعشائي في تلك الليلة كان
كأساً من ريشِ العنقاء

* * *

جرسُ التليفون يرنُ
ألو، ألو، ألو...
لكنَّ الأسلاك تُقهقه
في وجهي يا وطني
محرومٌ من صوتك
محرومٌ من صرخة ميلادك
محرومٌ من صرخة موتك

* * *

ها أنذا الآن على المسرح
لم أحفظ دوري
ومُلقني الملعونُ المخموذُ

أعطاني دورَ اللصِّ

ولي دورُ الشاعرِ

* * *

ها أنذا في السيرِ

أضحكُ من فيلٍ يقفزُ فوقَ كُرَاتِ المطاطِ

أضحكُ من فيلٍ قد وَضَعُوا المنشارَ

على جبهتهِ

نشروا عاَجَهُ

أضحكُ، من يضحكُ يا وطني

يضحكُ شاعرُكَ المَقْطُوعُ الرَّأْسِ...؟!

* * *

يا كلَّ عشيقَاتِ قراصِنَةِ العَالَمِ

أنتنَّ شُهودي

القيتُ القُفَّازَ بوجهِ "الشاة"

فكنَّ شُهودي

أنا أعرفُ أني سأموتُ

لم أحملُ سيفاً طوَلَ حياتي

أنا أعرفُ أني سأموتُ

لكني سبارزُ وأقاتلُ...

وأنا أعرفُ أني سأموتُ

عزف منفرد على القانون

راسُ "أبيكَ" لم يزل مُعلّقاً في السورِ
تَنهشه الطيورُ
راسُ "أبيكَ" يا تفاعلةً تحتَ حوافرِ الخيولِ...
وانت من يقولُ
وانت لم تزلِ تعاقرُ المُداما
وترتمي تصيحُ تحتَ أرجلِ النّدامى
اليومَ خمراً فاشربوا
وفي غدٍ يكونُ امرُ
وفي غدٍ يكونُ خمراً
يكونُ خمراً
يكونُ خمراً

* * *

لو أنّهُ يَنزلُ عن صليبه لو انه يُفيقُ
من سكرة الردى
لأنكرَ الصوتَ وأنكرَ الصدى
وأنكرَ الحوارى
وأنكرَ الجوارى

وربما سُنيقُ
وربما احترقُ
وربما بصقُ
في وَجْهنا جميعاً...

* * *

اللهُ... ثلاثة شعراءُ
الأولُ ماتَ يدافعُ عن "سيفر" الدولة
والثاني ماتَ يدافعُ عن "طبل" الدولة
والثالثُ عاشَ يدافعُ عن "أحذية" الدولة
والرابعُ من...؟!!

* * *

والذي كانَ وطنٌ...
أصبحَ اليومَ قضيةً...
لا تلومُوا البندقيةَ...
حينما ماتتْ ولم تتركْ وصيةً

* * *

على سحابةٍ...
كُتبتُ تسقطُ الرقابةُ...
فصداروا السماءَ...

ثلاثية

وَرِثْتُ عَنْ أَبِي لَهَبٍ
وَزَوْجِهِ، حَمَالَةَ الْحَطْبِ
وَرِثْتُ جَمْرَةً وَحَبْلًا مِنْ مَسَدٍ...
الْحَبْلُ فِي أَيْدِيكُمْ
وَالْجَمْرُ فِي يَدِي

* * *

كَانَ بِلَالٌ يُوذِّنُ فِي جَرَّةٍ
كَانَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ يَمْلِكُ فَمَهُ...
لَكِنَّ مَنْ يَمْلِكُ مِنَّا فَمَهُ الْآنَ
وَيُوذِّنُ فِي إِبْرِيْقٍ أَوْ جَرَّةٍ
أَوْ فِي ثُقْبِ الْإِبْرَةِ

* * *

أَجْرَاسُنَا مُحَطَّمَةٌ...
وَالْجُمُجْمَةُ...
وَقَارِعُ الْأَجْرَاسِ لَمْ يَزَلْ
يَهْرُ حَبْلَهُ،
لَكِي تَدَقُّ تِلْكَ الْجُمُجْمَةُ...

تك... تك... تك

... حتى النطفة كانت من خوفٍ تتحجّرُ

في الرحم وتخشى أن تكبرُ...

تخشى الوأدا

وإذا النطفة راحت تتحدّى

ومضت تكبرُ...

طاردها في الرحم المخبرُ...

* * *

تَكُ... تَكُ... تَكُ...

لا...

ليست دقة ساعة حائط...

ليست دقة قلب...

تَكُ... تَكُ... تَكُ...

دقة قلبٍ آخر...

انتزعوا القلب...

أله تسجيل زرعها،

في صدرك، في صدري،

في صدر مدينتنا، بدل القلب

تَكُ... تَكُ... تَكُ...

* * *

نتكلمُ أكثرَ مما نكتبُ

ما نتكلمهُ،

لا نكتبهُ،

ما نكتبهُ ليس سوى القشرِ...

يا ناقدَ هذا العصرِ

لا تبحثَ عنَّا فوقَ الأوراقِ العَلَنِيَّةِ

أجملُ... أصدقُ... ما قلناه... همسناهُ

هنالكَ فوقَ الأشرطةِ السريَّةِ...

* * *

تلكَ الأشرطةُ السريَّةِ...

لا تحرقُها...

ابقِ عليها

هذي الأشرطةُ السريَّةِ

دعني أسمعُها

نخبَ الرعبِ

نیشاناً للرعبِ...

* * *

حملَ الجنِّيُّ الشاعرَ فوقَ جناحيهِ وطارَ...

- كيفَ ترى الأرضَ...

- في حجمِ الغرْبالِ...

- طَارَ الْجَنِيُّ وَطَارَ
- كَيْفَ تَرَى الْأَرْضَ؟
- فِي حَجْمِ الْكَفِّ...
- طَارَ الْجَنِيُّ وَطَارَ
- كَيْفَ تَرَى الْأَرْضَ...؟
- فِي حَجْمِ الْعَيْنِ...
- كَيْفَ تَرَى الْأَرْضَ...؟
- أَصْفَرَ مِنْ ثَقْبِ الْإِبْرَةِ...
- طَارَ الْجَنِيُّ وَطَارَ...
- كَيْفَ تَرَى الْأَرْضَ...؟
- أَعْطَى الْجَنِيُّ مِظْلَتَهُ لِلشَّاعِرِ
هَبَطَ الشَّاعِرُ
سَقَطَ عَلَى كَتْفِي مَخْبِرٌ...!

لعن للموسيقار ميكيس ثيودراكيس

لأغنية شاعر يوناني كان اسمه "نعم"

"نعم"

"نخب نعم"

"هورا لنعم"

الرجل الذي قد كان اسمه "نعم"

يطحنها بكوعه ملحاً وسكراً "نعم"

تسقط من جبينه كقطرة العرق

فوق الورق

"نعم"

الرجل المزوق... الورق

الرجل الذي بلا عنق

الرجل الذي كلامه،

قد كان كله "نعم"

ومرة واحدة قد قال: "لا"

ورأسه تحت الوسادة

ولم يكن هناك غير "بطنِ زوجته المنتفخ الكبير"

تحت ملاءة السرير

ذاك "الجنين" كان "المخبر الصغير"

وشى به "وأوأ باسمه"

لحظة "ان وُلِدَ"

* * *

الوردة الصغيرة...

في غابة البلوط والجدوع الضخمة الكبيرة

في "الأكروبول" في حديقة الأحجار،

والأعمدة الكسيرة

تقول: إنَّ الرجلَ الذي قدْ كانَ

اسمه "نعم"

الرجلُ الذي كلامه قدْ كانَ

"كله نعم"

ومرة واحدة قدْ قال: "لا"

لكي يذوقَ مرةً وفي الحياةِ خمرَ "لا"

قد قالها وما درى

وبعدَها اختفى...

المطاردة

جاسوسٌ يتعقبُ جاسوسا
والجاسوسانُ
خلفهما جاسوسانُ
والأربعةُ جواسيسٍ
خلفهمو أربعةُ جواسيسٍ
حتى ظل الإنسانُ
هذا المنديلُ من الورقِ
هو الجاسوسُ عليه
حين يسيرُ ويفتحُ للشمسِ
ذراعيه وعينه...
فالأذنُ اليمنى تتجسسُ وتسجِّلُ،
ما تسمعه الأذنُ اليسرى
والأذنُ اليسرى
تتجسسُ، ترصدُ،
ما تسمعه الأذنُ اليمنى
والعينُ اليمنى
والعينُ اليسرى

والأذنانِ هما العينانِ على العينينِ
والعينانِ هما الأذنانِ على الأذنينِ
والقلبُ هو الأذنُ هو العينُ
أينَ يفرُّ الإنسانُ بجلدهُ
وعيونُ المخبرِ
كطوابعٍ قد لُصقتْ فوقَ الجلدِ

الإسكندر المقدوني وزهرة عباد الشمس

وابتداً المزا...
وحملت على محفة لخيمة الإسكندر المقدوني
واحتلبوا لها غزاةً ولبوءة...
واغتسلت
وبخرت وعطرت
ونفخوا في البوق...
وجيء بالسريز
واقبل الإسكندر
يا قمر الإسكندر
ضاجعها الإسكندر
ضاجعها حتى صياح الديك
ثم عافها،
ووهبت إلى ملك
وبعد ليلتين عافها وحملت في هودج
وأهديت إلى أمير...
واحترقت حديقة البخور
ثم اهديت إلى وزير

للرجلِ الأولِ والخمسينِ في بطانةِ الوزيرِ
وحينما قد طُعنَتْ غزاةُ البحرِ...
وأصبحَ القمرُ
عيناً من الزجاجِ
تحوّلتْ سرَّتْها إلى قدْحٍ...
ونخبَها قد شربَ الملوكُ والثوارُ
تعلمتْ كيفَ تضاجعُ الملوكَ والثوارُ
هذا الشتاءُ لا تمرُّ في سمائنا،
ألوانكُ الحمراءُ والزرقاءُ والخضراءُ،
كالوحوْلِ فوقَ وجهنا،
كالصمغِ يا قوسَ قزحِ
فمسرْحُ الليمونِ والزيتونِ،
لم يعدْ له ستارُ
والديكُ صاحَ ينعى شهریارُ
ومرةً خامسةً يبتدئُ المزادُ
وشهرزادُ
مقطوعةُ اللسانِ في شباكِها مصباحُها،
مقصوفةُ الضفائرِ
تقولُ: إنها قد حُمِلتْ على محفّةٍ،
لخيمةِ الإسكندرِ المقدونيِ
وبعدَها قد وُهبتْ إلى ملكِ

ثم إلى أمير...
ودارت دورة السرير
فحملت إلى وزير
وألقيت من بعده لأمر الجنود
ضاجعها... ضاجعها... ضاجعها
ثم رمى إلى العسس
ثم إلى العسس...
ثم إلى العسس...

قصيدة إلى بريد القراء في جريدة المقاومة

لا تَغضبوا
إن لم أجنكم في مواسم البارود والزلازل
بسلة من الرصاص والقنابل...
إن لم أعلق فوق هذه الجدران
قصيدي إعلان...
إن لم تُزاحم الأيدي التي تمتد نحوكم يدي
أسالكم بطاقة
تركت للذين يحملون هذه البطاقة
ما أكثر الذين يحملونها
ويسرقون كل ليلة جيبها
أن يكتبوا عن الجراح فوق جبهة الطاحونة
وكلما أرادوا يكتبون عن بطولة الزيتونة
فحينما قد كنتم الشرارة...
وكنتم البشارة...
أحببتكم،
أحببتُ ضعف ذلك المبشر الصغير
ووجهه المليء بالطهارة...
يحمل مثل شمعة في يده

سؤاله الكبير...
كان المشرُ الصغيرُ
يكره الإعلانَ والجرائدُ
والريشةَ الزرقاءَ في قبعةِ القصائدُ...
وحينما استبدلتمُ بهمسةَ الضياءِ
صرخةَ الصواعقِ...
وحينما استبدلتمُ "بألةِ الرونيو" المطابعُ
وقفرتُ في "بركةِ الحبرِ" الضفادعُ
وأصبحَ الولاءُ
قصيدةً شمطاءً
تقطرُ بالدماءِ...
تركتُ للضفادعُ
مستنقعَ المطابعِ
وجئتُ سائلاً عن ذلكَ المشرُ الصغيرِ...
وجدتهُ قتيلاً تحتَ حائطِ الإعلانِ...
وحولهَ مقاولو الورودِ
وهمُ هناكَ يجمعونُ في خوذتهِ النقودُ
يا أيها الذينَ يكتبونَ جرحنا خبرُ
ويقرأونه خبرُ
ونحنُ في "البومهم" موتى لهمُ صور
لو تكُتبونَ مرةً واحدةً عن الكذبِ
وأنَّ سارياتِ هذهِ البيارقُ

أعوادُ غابيةٍ من المشانقُ
وأنَّ تحنَّنا زنزانةُ
وفوقنا زنزانةُ
وأن ألفَ مخبرٍ يسقطهمُ
فوقَ جبالنا القمرُ
وأن كلبَ البحرِ في "بحيرة المرايا"
ينتظرُ الضحايا...
يا سادتي، الذينَ رأسنا في يدهمُ رمانةُ
يا فاتحي الزنزانة...
يا سادتي النُّجُبُ
لا تقتلوا الإوزةَ التي تبيضُ في عيونكمُ
تبيضُ في أذانكمُ
وفي جيوبكم ذهبٌ...

* * *

يا جلدنا يا ورقَ المطابع الخشنِ
به تُلفُ في جرائد الصباح والمساء يا وطن...
يا جلدنا حذارُ...
يا وجهنا حذارُ...
يا وجهنا الذي أراه كلما استدارُ
وكلما أوشك أن يصيرَ بدرا
أطلقوا عليه النارُ...

النقش بالإنزيم والرسم بالطباشير على "جلد غزاة"

لا - مانيكان -

تعرضُ أحدثَ أزياءِ الموتِ

لا "أوركسترا للموت" ...

يا "ملكة عصر الصمت"

في "منفضة التبغ" ...

كلُّ الأوزانِ، وكلُّ قوافيها،

في منفضة التبغ وفي صندوق قمامة

كلَّ الأوزانِ وكلَّ قوافيها

لم تملأ يوماً حوصلة حمامة

تبحثُ عن وزنٍ، عن قافيةٍ للموتِ

تبحثُ عن صندوق بريدك

يا ملكة عصر الصمتِ

الشاعرُ "كالجرسون" ...

يكتبُ بالشوكة فوقَ الصحنِ ...

يكتبُ ويحطّمُ فوقَ الأرصفةِ صحونه ...

ماذا نكتبُ نحنُ عصافيرَ الشمعِ، المربوطة بالصمغِ،

والواقفة على أسلاك التليفون...؟
لم يبقَ لنا غيرُ الأرصفةِ وغيرُ الجدرانِ،
وَإصْبَعُ فحْمٌ ...
لم يبقَ سوى الإبرة والخيطِ ومنديلِ
والنقش على جلدك بالإزميلِ...
في المكتبة تُباعُ تدينارٍ من خشبٍ،
محبرةُ الدمِ ...
وعلى الأرصفةِ - الجرحى - جرحاك .
يبيعون رُجاجاتِ الدمِ ...

* * *

ليسَ لها تليفونٌ ...
لم تصرف يوماً شيكاً،
من مصرفِ حطينِ ...
وقعهُ بالسيفِ صلاحُ الدينِ ...
لم تصرخُ يوماً وامعتصماه ...
ولم ترقصُ فوقَ دنانيرِ المأمونِ ...
* * *

انتهت اللعبةُ والعصفورُ الجائعُ
مَنْ مدَّ المنقارَ، لحبةِ قمحٍ في الطاحونِ
يسقطُ في الطاحونِ ...
انا لا اهتمُ المرأةَ الصلعاءَ وأمشاطَ العاجِ

زَيَّفْنَا البرقَ وزَيَّفْنَا الرعدَ...
وطَبَعْنَا فوقَ الأربطةِ على جُرْحِكِ
أوراقَ النقدِ...
القينا بجميعِ رسائلنا،
بجميعِ قصائِدنا،
في صندوقِ بريدِ إوزةٍ...
ونسينا عنوانك يا "غزّة" ...
يا مَلِكَةَ عصرِ الصمتِ...
لا وزنٌ، لا قافيةٌ للموتِ...

نلقاكم في كشوف القتل على جبهة السويس

(كتب بعض طلاب الجامعة العبرية الإسرائيلية
على شهادات تخرجهم «إبان حرب الاستنزاف».
لبعضهم البعض: نلقاكم على جبهة السويس).

يائيل دايان الرحالة
فوق النقالة...

ألتها الكاتبة على ركبته،
ستظل روائية...

يكتب عنها نقاد وكالات الأنباء الأمريكية
ما دام هنالك فوق كشوف القتل الإسرائيليين
ما بين اسم قتيل وقتيل...

ما بين اسمي شاوول و راحيل
يمكن أن يكتب عنوان رواية...

أو سطر في قصة...

تلك اللصة...

تظهر فوق غلاف كتاب...

حين يهال على وجهك يا ميريام تراب
وتوقع بالشوكة فوق كؤوس المدعوين.

إلى حفلة كوكتيل...

حين رُجَّاجُ النافذة بييتك...

يتكسرُ يا "راشيل"...

* * *

"يانيل دايان"...

ستظلُّ روائية

يكتبُ عنها نُقادُ وكالاتِ الأنباءِ الأمريكية

لكن أنتَ هنالكَ في سيناءَ

أو في المرتفعاتِ السورية

أو في أحدِ شوارعِ غزةَ تنتظرُ الموتَ...

خلفَ جدارِ الدبابَةِ أو كيسِ الرملِ

مَنْ يكتبُ عنكَ...؟

أنتَ، وأنتَ تحلقُ بالفانتوم من يكتبُ عنكَ...؟

بعد ثوانٍ أو بعدَ دقائقَ ستموتُ...

محترقاً، أو تهبطُ بالباراشوتِ...

وستظهرُ صورتُكَ على صفحاتِ جريدةٍ...

طيَّارُ الفانتوم: "دانيال"...

اسمُكَ لا يظهرُ إلا في قائمةِ القتلى

أما صورتُكَ فلا تظهرُ إلا في "البومِ الأسرى"...

إما إن تُقتلَ أو تؤسَّرَ

هذا هو قدرُكَ...

ليس هنالك قدرٌ ثالثٌ...

ليس هنالك نخبٌ ثالثٌ...

يمكن أن يشربه الجنرال

أن يشربَ نخبك مأسوراً...

أو يشربَ نخبك مقتولاً

* * *

طيارُ الفانتوم: "دانيال"

أنا أعرفُ وجهك...

فالأضواءُ الكاشفةُ على وجهك...

أذكرُ وجهك حينَ تسلَّلتَ على ظهرِ سفينة

ورستَ بكَ في منتصفِ الليلِ على شاطئِ حيفا...

لم تتجاوزَ بعدُ الخامسةَ من العمرِ...

حينَ تسلَّلتَ إلى - الكيبوتز - ...

هرباً من "أوشفتز"...

وهناكَ تعلَّمتَ الحقدَ على كلِّ اسمِ فلسطيني

أعطتكَ فلسطينُ الأقماطَ الأولى

من ورقِ الداليةِ ومن ورقِ الزيتونِ...

لكنْ ماذا أعطيتَ فلسطينَ...؟

بدلَ الزيتونِ يا دانيالُ رصاصه...

في صدرِ الشجرةِ...

بدلَ ضياءِ الزيتِ...

لهيبَ البارود...

بدلَ القُبْعَة من القش

صارَ على رأسك خوذته...

* * *

دانيال... الطيارُ وجنديُّ الباراشوت

يائيلُ الرحّالة...

فوقَ النقاله...

ألتها الكاتبةُ على ركبته تكتبُ عنك...

أنك في طائرة الفانتوم،

ومظلتك على ظهرك،

أقربُ من أجدادك لله...

أجدادك لم يرتفعوا أكثرَ من ناطحةِ سحاب؟

كي يقتربوا يا دانيالُ من الله...

لكنك في طائرة الفانتوم...

أقربُ من أجدادك لله...؟!

أنا لا أعرفُ حرفاً في اللغة العبرية...

كي تقرا ما اكتبُ عنك...

لو قدرَ لك...

أن تحيا بضع ثوانٍ أو بضع دقائقٍ أخرى...

لكنَّ الجنرالَ سيقراً في الحمام

وهو يدندنُ في - البانيو - تحت الماء

اسمك في كشف القتلى في سيناء...

أو في المرتفعات السورية...

أو في أحد شوارع غزة...

وسيغتسل الجنرال...

وسيسقط اسمك يا دانيال...

في البانيو رغوة صابون...

على قبر كليب

اطعنه في الخاصرة اليسرى

بجناح حمامة

اطعنه بين العينين

بغصن الزيتون

هذا عصرك يا جساس

هذا عصر يشرب فيه،

نخب السيف الأحدب،

يا جساس الكاس

شق بجرس صدر كليب

وانتزع القلب...

ضع بدلاً منه زجاجة...

أو رأس دجاجة...

أو علبه كبريت...

أو قطعة صابون...

أو مقبض سكين

أوليس المقذوع الرأس

هو الشاعر؟

مأساة الدبّ "مراد"

الجوقة: ضُبِطَتْ فِي حوزته أنيابٌ ومخالبٌ...

الدمُّ فوقَ النَّابِ...

والدمُّ فوقَ المِخْلَبِ...

والدمُّ فوقَ الكُرباجِ...

الدمُّ فوقَ الكُرباجِ...

اسمك...؟

المحقق:

الدبُّ مرادٌ...

الدب:

عمرِك...؟

المحقق:

خمسةُ أعوامٍ...

الدب:

مهنتك...؟

المحقق:

مُهْرَجٌ...

الدب:

في السيرك، المفتوحٌ...

انتَ القاتلُ...

المحقق:

أنا...؟!

الدب:

(كانه يحدث نفسه)

كنتُ أموءُ، ازغردُ، كنتُ أصفقُ

لا أخفي من العابي فوقَ الحلبةِ

أية لُعبة...

العبُ أحسن، كي يقبضَ أكثر...

جاوبُ في كلمه...

المحقق:

أنت القاتل...

(يواصل حديثه لنفسه وكأنه لا يسمع)

الدب:

كنتُ أجوعُ وأعطشُ،

حينَ يَجيءُ إليّ...

يشكو لي فقره...

ويُحدِّثني عن أطفاله...

كنتُ أقولُ له خذْ لبني...

اعطِ اللبنَ لأطفالك...

(يسكتُ لحظةً ثم يواصل حديثه لنفسه)

الدبُّ مراد...

كانَ يقدِّمُ عسلةَ

كانَ يقدِّمُ لبنهَ

كي يسمعَ ضحكةَ طفلٍ

لكنْ من منكم سوفَ يصدقني

لا أحدٌ منكم...؟

ما زال سؤالي...

المحقق:

أنتَ القاتلُ

أنا لم أقتله...

الدب:

أنا كنتُ أمثلُ حين قَتَلْتُهُ

طلبوا مني أن أقتله...

فوقَ الحلبَةِ...

طلبوا منك...!

من هم...؟

من حرَّضَكَ عليه...؟

كلُّ الحيواناتِ بهذا السيرِ...

إني أسألكَ الآن...

من منها يلعبُ فوقَ الحلبَةِ دورة؟

فالكلبُ يدخنُ غليوننا...

هل هذا هو دورُ الكلبِ...؟

والذئبُ يولفُ الموسيقى

هل هذا هو دورُ الذئبِ...؟

والفيلُ يهزُّ البطنَ...

هل هذا هو دورُ الفيلِ...؟

والأسدُ بمخلبهِ يبصمُ...

هل هذا هو دورة...؟

لو كلُّ الحيواناتِ بهذا السيرِ

يلعبُ دورة...

ما طلبوا مني أن أقتله...

(يسكتُ لحظةً ثم يواصلُ الحديثَ)

المحقق:

الدب:

من منا يلعبُ دورة...؟

جئتَ الآنَ تحققْ...

هل هذا هو دورك...؟

هذي هي مناساتي

مناسبةُ جميع الحيوانات هنا وهناكُ

في هذا السيرك وفي ذاك السيركُ

هذي هي مناسبةُ الدبِّ مرادُ...

لو كلُّ يلعبُ دورة...

في السيرك المفتوح...

لم يقتلَ أحدٌ أحداً

أنا أعلمُ أنني ساموت...

مشطُ رصاصٍ ينتظرُ الدبَّ مرادُ

لكن أوصي

أنا أعطي جلدي لهمو...

أعطي اثنانَ ما يملكهُ الدبُّ...

أعطي الجلدَ لأطفاله...

(ستار)

دفاع الأسد عننرة

(في حديقة الحيوان بالقاهرة، نسي المروض باب
القفس مفتوحاً، وحينما رأى الأسد وكان اسمه عننرة
أمامه، سقط على وجهه ميتاً، وظل الأسد يدور حوله
دون أن يمسه...).

أنا شاعرٌ...

الشجرةُ كانت قافيتي...

والشلالُ الهادرُ وِزني...

كلماتي كانت طَلقاتُ رصاصِ الصيادينِ

حتى اختطفوني شبلاً...

حتى أصبحَ قفصي وطني...

وكبرتُ...

عاماً بعد الآخر وعرفتُ...

انهمو سمّوني "عننرة العبسي"...

أولُ ما اعترضُ عليه: هو اسمي...

فأنا أكره حنجرته...

أكره قافيته...

أكره صوتَ الطبلِ ولا حربٍ...

وصرختُ:

أعترضُ على اسمي...

وزارتُ...

وزارتُ...

حتى خَافوا...

دَسَّوْا قِطْعَةً أَفْيُونٍ...

فِي جَوْفِ شَرِيحَةِ لَحْمٍ...

وَآكَلْتُ...

وَتَخَدَّرْتُ...

قَطَعُوا حَنْجَرَتِي قَالُوا: زَائِدَةٌ دُودِيَّةٌ...

الْحَنْجَرَةُ هِيَ الزَائِدَةُ الدُودِيَّةُ...

لَكِنَّ الْحَيَوَانَاتِ احْتَجَّتْ...

أَعْلَنْتِ الْإِضْرَابَ...

مَا عَادَ هُنَاكَ شِبَاكَ تُذَاكِرُ...

وَأَتُوا وَأَنَا نَائِمٌ...

حَقَنَةُ أَفْيُونٍ فِي عُنُقِي وَتَخَدَّرْتُ...

وَصَحَوْتُ...

وَصَرَخْتُ...

زَرَعُوا بَدَلَ الْحَنْجَرَةِ الْمَقْطُوعَةِ،

تَسْجِيلًا لَصَهْلٍ جَوَادٍ...

صَارَ زَنْبِيرُ الْأَسَدِ صَهِيلًا...

وَصَهَلْتُ...

وبكيت...

ما أعظم مأساتي...

اسمي عنتره العبسي

وزئيري صار سهيل جواد

وتمر الأيام وضوء الشمس بعيني رماد

وأنا أنتظر السجانا...

جعلوا مني مانيكانا...

حتى واجهته...

أول ما واجهني...

سقط على وجهه...

أنا لم اقتله...

أول ما واجهني صرخ،

ومات من الرعب...

أول ما واجهني

وقفت دقات القلب...

كلاكيند أول مرة من فيلم قرص أسبرين لأبي الهول

ذات صباحٍ فَتَحَتْ زهرةُ لوتسٍ
في أذنه اليمنى،
وخرَجَتْ من أذنه اليسرى يمامة...
وظهرتُ على جبينه علامة...
وقالَ تُرجمانُ: إنها العذراءُ جاءتُ
وقبَلتُهُ في الجبين...
وهتفتُ كأنها الورقاءُ في الضُّحى،
يا ولدي الحزين...
وظهرتُ من بعد تلك القبلة الرُّموزُ والعلامة
وترجمانٌ آخرُ قد قال: إنها الحمى التي تصيبهُ
من زمنٍ إلى زمنٍ...
وكلما انكوتُ بسيفِ نارٍ جبهةَ الوطنِ
وترجمانٌ ثالثٌ قد قال: إنه مصدِّعُ حزين...
من فرط ما قد صوروه مرةً على أوراقِ نقدنا
ومرةً على طوابع البريد...
أعطوه قرصَ أسبرين...
وترجمانٌ رابعٌ قد قال: إنه السَّامُ
وهو يريدُ أن يهاجر...

وترجمانٌ خامسٌ حدَّقَ في الرموزِ والعلامةِ
وصاحَ: إنها بدايةُ الكلامِ أو بشارَةُ القيامةِ...
وزحفتُ مكبراتُ الصوتِ والمصورونُ...
وكلَّ مَنْ يكتبُ بالمسماز والوتدُ...
وجاء هودجُ الذي يقيسُ طولَ الحرفِ،
عَرَضَ الحرفِ، عُمقَ الحرفِ، كاشفُ الغطاءِ
عن كلِّ ما تحت وفوقَ الحرفِ من كلامٍ...
* * *

وصمَّتَ الجميعُ...
وانتظرَ الجميعُ...
من فرطِ ما يُحسُّهُ من الآلامِ...
سوفَ يقولُ شيئاً، سوفَ يبدأ الكلامُ...
وفجأةً تصبَّبَ الجبينُ بالعرقِ...
ودراخُ يرتعشُ...
وجحظتُ وارتفعتُ كأنها الأشرعةُ الآذانُ...
وصاحَ تُرجمانُ: دثروهُ...
وصاحَ تُرجمانُ: صوروه...
- كلاكيت
وأبو الهولَ نظرُ...
ونظرُ...
ثم ادارَ وجهَهُ ولم يزلُ...
ولم يزلُ...

مالك الحزين

المهْرَجُونُ...
عيونُهُمْ مطرُزَاتٌ فَوْقَ مِقْبِضِ السَّكِينِ
وانت صرتَ كَالغَزَالِ
قد مضوا يطاردونه يا مالكَ الحزينِ
حذارِ كلِّ هذه "البلابل" التي تُرى،
مصفوفةً هناكَ فَوْقَ الأَرْضِ فَه...
منظمةً في خيطِ عقبرِ واحدٍ،
تصيحُ كُلَّهَا مزيفةً...
وليسَ فيها بلبلٌ أمينٌ...
يا مالكُ الحزينِ
وأبي تاجٍ فَوْقَ راسنا
واكبرُ الأزرارِ فيه تبيضةُ النعامةِ
وتبيضةُ اليمامةِ
مكسورةً في كَفِّنا،
ونحنُ طولَ عُمرنا،
نظنُّ أن تحتَ الظفرِ جوهرةً
ونحنُ طولَ عُمرنا،

نَهَرَ بطنَ الحنجره...

وأنتَ وحدكَ الذي لم يَغرسِ المنقارَ،

ذاتَ يومٍ واحدٍ في محبره...

* * *

يا مالكُ الحزينُ...

وقبَعائنا كؤوسنا،

رؤوسنا "مراوح"...

تدورُ أينما يديرُ وجههُ الكذبُ

يا صاحبَ الجلالةِ الكذبِ...

هناكَ في منقارِ مالكِ الحزينِ جوهرة

من أجلها تراه صامتاً حزيناً...

يصونها بصمته،

ويصطلي بريقها بقلبه،

لتُبْقَها له،

فتاجكُ المزدانُ فيه الفُ جوهرة...

لتُبْقَهِ لنا،

ففي الحديقةِ الغناءِ الفُ طائرِ جناحهُ

سجادهُ

مرة، ومرةً جناحهُ وسادهُ

لتُبْقَهِ لنا، يا صاحبَ الجلالةِ الكذبِ

لتبِقِ مالكَ الحزينِ

العن أحفادك يا جدي

العن أحفادك يا جدي...
واحمل كل جذورك وارحل يا شجر الزيتون
وتعالوا يا شعراء النكبة والخيمة والليمون...
لموا خرق قصائدكم
وافترشوها تحت السور...
مدوا ايديكم للقمر وللعصفور
بيعوا في اسواق الأقسام العود
شبكة صيار من يافا،
حجراً من عكا...
دالية في الكرمل
بيعوا عبد القادر
فوق صخور القسطل
ولتنسج تلك المومس، أستار نوافذها
من كفني...
طوبى للبائع والشاري،
اخر خيط في علمك يا وطني،
طوبى للشعراء وللقوادين وللزعماء

البرقُ الأسودُ قد طَفَحَ من الكاسِ

حَمَلتْ جَارِيَةُ الشَّعْرِ الشَّمْعَةَ،

لَتَقْوَدَ لِمَخْدَعِهَا النَّخَاسُ

والضَّفدُعُ قد قَفَزتْ في قَبْعَةِ الشَّاعِرِ

وَأَتَمَّ السَّاحِرُ

لَعِبَتُهُ،

مَضَعَّ جَنَاحِيهِ الكُرْوَانَ...

ابصُقْ فَوْقَ بِيَارِقِ أَحْفَادِكَ يَا جَدِّي...

اطْرُدْ أَضْرَاسَ حَنَاجِرِهِمْ

أَضْرَاسَ قَصَائِدِهِمْ عَن قَبْرِكَ يَا عَبْدَ القَادِرِ

مَاذَا بَقِيَ مِنَ الثَّائِرِ؟...

مَاذَا بَقِيَ مِنَ الشَّاعِرِ؟...

عرض حال

السادة: أحذية... قباقيب... وحيطان سقوف
شبابيك وأركان الحرب...
واكاسرة... قياصرة الشعب...
سفراء لويس العشرين
في مملكة صلاح الدين...
المستدعي: عوض ابن خديجة من قرية أذن البغل...
المهنة: جندي سابق...
سُرَّحَ في أعقاب العدوان...
أما العنوان...
فليُسال عنه حَلَّاقُ القرية...
مصباح الدين...
لو حدث ولم تجدوه... وكان يمثلنا
في مؤتمرٍ تحتي أو فوقِي
للصحفيين...
أو للرسامين التجريديين...
فليُسال عوضاً عنه الإسكافي...
ابن بطوطة...

لو حدث ولم تجدوه وكان يمثلنا

في مؤتمر فوق العادة

يُعقدُ في طروادة...

في ذكرى حتشبسوت العربية

فأمامكمو كلُّ كلاب القوادين

بكل الأندية الليلية...

أما الطلبُ الآنُ

الطلبُ وفي كلماتٍ عاريةٍ شمطاء كوجه المومس

تحتَ المطرِ اختلطت فيه الألوان...

الطلبُ وفي كلماتِ كرؤوسِ البصلِ المسلوقِ

وكالببيضِ الفاسدِ

وكراسِ الخنزيرِ...

الطلبُ ومن غيرِ مساحيقٍ ولا تصويرِ

تَعويضي... عن تسريحِ ظلماً بعد العدوانِ

قالوا اصرخِ فصرختُ...

ازحفِ فزحفتُ...

اهربِ فهربتُ...

أنا العرنَدِسُ
أتيتُكم على جناحِ نورسٍ
ما دامَ هذا العصرُ، عصركم
يا أيها الدُّبابُ
عصرَ الدفوفِ والطبولِ والأبواقِ
أبوكمو أنا العرنَدِسُ
أتيتكم على جناحِ نورسٍ

* * *

فرسانُكم دَقُوا قوائمَ الجيادِ
كالأوتارِ في الترابِ...
وكلهم يصيحُ بالجوارِ طرّاً،
يا أيها البُراقُ...
أكلُكم اعناقُ...
أكلُكم قِمَمَ
فليس فيكم ذَنبٌ ولا قدمٌ...
أكبرُ من صدوركم دروعُكم...
أطولُ من قاماتكم

سِيُوفُكُمْ

إِنْ كَانَ هَذَا حَالَكُمْ

أَبُوكُمْ، أَنَا الْعَرْنَدِسُ...

وَرَأَعُمْ أَنَا الْعَرْنَدِسُ

وَرَأَعُمْ بِالنَّعْلِ وَالْقَصِيدَةِ الشَّمْطَاءِ

وَرَأَعُمْ عَلَى جَنَاحِ بَغْلَةٍ عَرَجَاءُ...

الخبذة... أنبة زهور مرثبة لعبد المنعم رباب

لجهنم...

بالكمة ذات القرط وذات الخخال

بالشاعر وربابته، بالموال...

وبسيرة فرسان بني "عبس وهلال"

لجهنم...

يا أوزان بحور الشعر العلنية

ووقوفاً في الصف

صفاً واحداً...

بالخبذة والسونكي،

يا كل الكلمات الهاربة من القاموس...

يا كلمات ما طافت حول الكعبة

أو رجمت إبليس

صفاً واحداً

للمتراس الأول، أعلامك فوق رؤوسك

أجراًساً وفوانيس

صفاً واحداً

للمتراسِ الأولِ، أعلامك فوق رؤوسك
يا أوزانَ بحورِ الشعرِ العَلنيةِ
ووقوفاً في الصفِّ
صفاً واحداً...

بالخوذةِ والسُّونكي،
يا كلَّ الكلماتِ الهاربةِ من القاموسِ...
يا كلماتٍ ما طافتُ حولَ الكعبةِ
أو رجمتُ إبليسُ
صفاً واحداً

يا كلَّ قوافي الشعرِ الخارجةِ على القانونِ،
بجبينِ الشاعرِ، بجناحِ البَجعةِ والتَّنينِ...
طعنناً في كلِّ الأبوابِ المسدودةِ...
نهشاً في كلِّ الأسلاكِ الشائكةِ الممدودةِ
تمزيقاً لجميعِ الأستارِ
* * *

لجهنمِ...
يا زهرَ حزيرانِ الذابلِ،
ذي الأعناقِ المقطوعةِ،
والراكمِ في تلكَ الجمجمةِ المكسورةِ...
اعطانا عبدَ المنعمِ خُونتهُ
أنيةَ زهورِ...

* * *

سقطتُ قافيةُ الميمِ وقافيةُ الهمزةُ

فلتتقدّم...

قافيةُ أخرى فلتتقدّم...

حيثُ هوى "عبد المنعم"

برعمُ زلزالٍ فتَّحَ

قافيةُ أخرى تتقدّم

لقاء مع الرجل الذي كان اسمه هو

هو: ما هي أخبار الأرض...؟

- معذرةً فالأرضُ تدورُ،

ومصرُ تدورُ هي الأخرى

لكن...

هو: لكن ماذا؟..

لا تدفنُ في صدرك سرا

- هل أرفعُ صوتَ المذياغِ..؟

هو: لا... أنت هنا آمنُ

قل ما شئت...

- تُوشكُ أن تصبحَ أسطورةً

هو: هذا لا يُفرحُ قلبي أبدا...

ينكرني من يجعلُ مني أسطورةً

فأنا لستُ على الحائطِ صورةً

يكفي مصرَ من الأهرامِ ثلاثة

لن ينفعها أن أصبحَ فيها الهرمِ الرابعُ

أفضلُ أن أصبحَ نافذةً في بيتي

من أن أصبحَ تمثالاً في شارعُ

- وضريحك...

هو: (مقاطعاً)

هذا ما أصبح يُشغلني
فأنا أرفض أن يصبح مصباح علاء الدين
يفرّكه العاجز...

أو طائر رخ يتعلق بجناحيه
المتكل على غير يديه...

فأنا لست البوابة...

تُفتح بشعار...

أو تُغلق بشعار...

من علّقتني في عروة معطفه،

أو حنّطني في فمه،

لا يؤمن بي

وأنا لست جداراً إن يلمسه الأبرص

والأجرب يبرأ

أنا من هذا أتبرأ...

أهنالك شيء آخر...

- أخشى أن تصبح شيئاً

فوق الإنسان...

هو: حين يحبُّ الله ملاكاً،

يجعلُ منه إنساناً

- موتك فاجأنا،

كانَ عذابَ العُمُرُ

هو: بل كانَ هو الثورَةُ...

يوليو آخرَ

ثورةُ إنسانٍ ضدَّ الأسطورةِ

(ستار)

أَخِرُ الْقُرْآنِ صِنَةٌ مِنَ الْعَصَافِيرِ

عيون مليكة المراكشيّة...

كُتِبْتُ ما كُتِبْتُ عن بطولةِ الأشياءِ
وبعدَ أن كُتِبْتُ ما كُتِبْتُ، اشتقتُ للبكاءِ...
والشعرُ لم يكنْ سوى مؤامرةً
ونحنُ لم نكنْ سوى سماسرةً
وأنتِ لم تكوني غيرَ جثةٍ في قاعِ أنيهِ
كُتِبْتُ ما كُتِبْتُ كي أراكِ طافيةً
أحاصرُ السماءَ كُلَّها بوردةً، لكي أراكِ عائمةً
ما كانَ في يدي مسدسٌ، ولم أكنْ أنا المقاومةً
وكنْتُ في دَمِكُ
غزاةً مطعونةً بشمعدانٍ، كنتُ في دمكُ
مُمدداً، يدُ البحارِ في يدي
وكانوا في دَمِكُ
ذباباً تطنُّ في الشَّريانِ، نملةٌ تجرُّ للسماءِ
فخذِ امراهُ...
وأعلنوا عن افتتاحِ حانةٍ جديدةً
وأعلنوا عن اكتشافِ خمرٍ جديدةً
وكنْتُ في دَمِكُ
غزاةً تجرُّ ساقيةً

وكانوا يَغْطِسونَ في دَمِكُ
ويخرُجونَ من عَينِكَ، كانوا يَغْطِسونَ
في عَينِكَ، يَخرُجونَ، من نَهِدِكَ...
يَغْطِسونَ في يدِكَ
واللهُ كان يَلعَبُ الشَطرُنجَ
كُلَ لَيلَةٍ مَعَ الملائِكةِ...
عَينِي على المَلِكِ
واللهُ كانت عَينُهُ عَلَيَّ...
وكان حينَ يَسقُطُ المَلِكُ...
أَمضي إلى يَدِكَ، كي اصطادَ يا حَبِيبَتِي الطَيورَ
من يَدِكَ والسَمَكِ
أصغِي إلى خَريِرِ الكَهْرَباءِ في دَمِكِ
أدورُ في عَينِكَ دَورَةً، وكانتِ السَماءُ
في دَمِي تَدورُ دَورَتَينِ...
وخطِ الاستِواءِ لم يَكُنْ يَشقُني نَصفينِ
وكنتُ حينَ يَنضِجُ العَينِبُ
من هَولِ قَصفِ الرَعدِ، كنتُ أنتَحبُ...
وكنتُ أنتَحرُ...
بضوءِ نَجمَةٍ بَعيدَةٍ هَناكَ في السَماءِ
ومضُها يَحرُ عَنقِي، يَقطَعُ الشَريانَ، كنتُ أنتَحرُ...
وكان ذلكَ العَصفورُ واقفاً على أصابِعِي...
واقفاً على دَمِي

والكأسُ كانَ في يدي
قلبتُ الكأسَ فوقهُ، والكأسُ صارَ مصيدهُ...
وظلَ ذلكَ العصفورُ، تحتَ الكأسِ، ينقرُ الزجاجَ بالمنقارِ
والجناحَ وهو يرتجفُ...
وظلَ ينقرُ الزجاجَ وهو يرتجفُ
وماتَ تحتَ الكأسِ وهو يرتجفُ...
من يومها عرفتُ أنني ابتعدتُ عن دمي
وأنني ابتعدتُ عن يدي
وأنني ابتعدتُ عن فمي
وأنني قد ضعتُ...
وصارَ خطُ الاستواءِ يا حبيبتِي يشقني نصفين...
ووجهُ كلِ امرأةٍ...
يشقني نصفين...
وكفُّ كلِّ صاحبِ قديمٍ، حينما تمتدُّ لي
تشقني نصفين
أخافُ كلما أرى هناكَ طائراً يطيرُ فوقَ رأسي
أن يشقني جناحهُ نصفين
النفخُ في الهواءِ...
ما عادَ نفخي في الهواءِ، يُعطي للسماءِ نجمةً
ولا سحابةً جديدةً...
والنفخُ في المرايا، ينبتُ الهواءُ في المرايا...
ما جرى وسوفَ لن يجري هناكَ نهرٌ في المرايا

اعترفُ بأنك انهزمتَ...
اللهُ لا إلهَ إلا اللهُ إنني انهزمتُ
ولم تعدْ على أصابعي تُعششُ الطيورُ...
دَمي على أصابعي قد صارَ صَمَفا
اسقطني على أصابعي وموتي...
فالقَمحُ تحتَ الظفرِ لا ينمو، وجُرْحُ الميتينِ لا ينمو
وكل الميتينِ لا يهاجرونَ من قبورهمْ
ولا يُترجمونَ الوردَ والتُّرابَ فوقَ وجههمْ
إلى لغةٍ...
اعلنُ بأنك انهزمتَ: قد أعلنتُ
اعلنُ بأنك انكسرتَ: قد أعلنتُ
اعلنُ بأعلى الصوتِ
اعلنُ بأعلى الصوتِ
قد أعلنتُ. قد أعلنتُ، قد أعلنتُ...
اللهُ لا إلهَ إلا اللهُ يا يَدَيِ المَقطوعَةَ المُعلَّقةَ
في عُنقي
تُرجلي عن سهوةِ الجوارِ الميتِ
لا تكوني الشاهدَ المُحايدا
اللهُ... لا تُحرضوا الصحافةَ الشرعيةَ...
وانتمو... تُمارسونَ العادةَ السريةَ
اللهُ لستُ طالباً منكم وطنُ
اعطتني الوطنُ...

هي الوطن...

أجل هي الوطن

فحاكموا ضفيرةً من شعرها

وبعدها اشنقوا السماء...

* * *

الله لا إله إلا الله، كيف جئت

كيف قد مشيت فوق الماء...

كيف قد زوجتني السماء

وكيف فوق نهد كل نجمة قد صار لي إمضاء...

الله... كيف فوق ساق هذه السماء...

الصقت كل ما جمعت من طوابع البريد

أو لا تقولي

حينما يصير الرعد ثلجاً

حينما يصير البرق وردةً في كأسنا

الله لا تقولي النهر واقف بطوله وعرضه في كأسنا

فأوقف الأسماك كلها على ذيولها في قاع كأسنا

وكل نهر، كل كأس

لم يكن ولن يكون يا حبيبتي،

سوى قميصك

الذي يجره إلى عرينه الأسد

* * *

هم يقرأون الشعر باسمي في كتاب الغزو

والتاريخ والجغرافيا

ويزرعون جُنتي زيتونةً وتينةً في كل هاوية
وكلما نَعَضُّني أسنانهم، يحسُّ بالأمان
كل من يَعَضُّني، كأنه يستلُّ سيفاً
أو يضيءُ شمعداناً...
الآن أيها الوطن...
الآن كن بلا وطن...
الآن خذْ باروكةَ الزلزالِ، مشطَ الصاعقة...
وأعطني حذاءً عاشقة...
الآن خطَّ الاستواءِ لم يعدْ يشقني نصفين...
وصارَ عُنقي يا حبيبتي الحديقةَ المعلقة...
والنملُ صارَ في حذائي...
كان صاعداً ساقِي، صدري...
ثم عادَ ساحباً على الفخدينِ زنبقة...
الله لا إلهَ إلا الله رَغَمَ الموتُ
رَغَمَ كل ما كتبتُ
لم أعدْ للموتِ، قد نجوتُ
حشوتُ يا حبيبتي مُسدسي بوردة
أطلقته...
تمرقتُ سفينةُ القراصنة...
وانشقتُ البحارُ الأسنة...
عن ألفِ نهرٍ...

* * *

قد نجوتُ يا حبيبتِي، نجوتُ من سفينةِ القراصنة
فهلُ سأنجو من يدك...؟

نجوتُ يا حبيبتِي من الصواعقِ المفاجئةِ
فهلُ سأنجو من دمك...؟

* * *

اللهُ لا إلهَ إلا اللهُ، كيفَ جئتُ...

كيفَ قد مشيتُ فوقَ الماءِ...

كيفَ قد زوجتني البحارُ...

اللهُ حينما أصابني كانت تعومُ في أصابعكُ

تعلو بنا الأمواجُ ثم تهوي كلها على أصابعكُ

شواطئُ البحارِ، كلها أصابعكُ...

وبينَ كلِّ إصبعينِ يا حبيبتِي جزيرةُ

اللهُ... لو أكونُ بينَ الإصبعينِ يا حبيبتِي السفينةُ الأخيرةُ

اللهُ... اخلطي في كأسِي الأعشابَ بالرمالِ

اخلطي السماءَ بالبحارِ

اخلطي الطيورَ بالأشجارِ، ناوليني كأسِي الأخيرةُ

أهدتني الأنهارُ يا حبيبتِي قمصاتها البنفسجيةُ

رايتُ نصفَ مجنونٍ، رايتُ يا حبيبتِي

ملايسَ السماءِ الداخليةُ

جننتُ أكثرُ...

رايتُ قرصَ الشمسِ في دمي يَستلُ خنجرُ

يداكِ يا حبيبتِي مجنونتانِ تطعمانِ قرصَ الشمسِ

كُلُّ لَيْلَةٍ غَزَالَا

تُرْضَعَانِ الْحَوْتَ بِرْتَقَالَةً وَسَكْرًا...

يَدَاكَ يَا حَبِيبَتِي مَجْنُونَتَانِ، قَشْرِي السَّمَاءَ بِرْتَقَالَةً

وَأَوْقَفِي الْأَمْوَاجَ مَرَّةً عَلَى أَصَابِعِي

لَكِي أَجْنٌ أَكْثَرُ

الآن صار جلدي غيمةً، قميصي موجةً،

يَدَايَ تِيَارَانِ يَجْرِفَانِنِي

أَبْحَرْتُ بَيْنَ إِصْبَعَيْكَ، كَانَتْ الْجَزِيرَةُ...

اللَّهُ يَا طَيُورَ الْبَحْرِ لَا تَنْقَرِي الْأَصَابِعَا...

فَجَانَعُ أَنَا وَأَنْتِ جَانَعَةٌ...

قَفِي عَلَى أَصَابِعِي، تَمِيلُ كَالْأَغْصَانِ، كُونِي أَمْنَةً...

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، هَذَا صَوْتُهَا...

اللَّهُ لَوْ تَقُولُ لِي تَعَالُ...

خَطُ الْإِسْتِوَاءِ لَمْ يَعْذُ عَلَى سَرِيرِي

لَمْ يَعْذُ يَشْقُهُ نَصْفَيْنِ

هَنَّاكَ أَنْتِ

وَأَنَا

هَنَا...

الغزاة

(الى ريتا بلنزار)

أموتُ مَيِّتَةً الغزاة
ليسَ جرحي وردةً،
وليسَ وَجْهي برتقاله
لنعترفُ قبلَ انفجارِ هذه الرسالة
حتى يكونَ صوتُ الانفجارِ عادلاً
بأنَّ شيئاً ما، يميّزُ الفراشَ
عن طوابع البريدِ
وأن من خلالِ حرقِ شاعرٍ قديمٍ
يصعدُ الدخان من ديوانِ شاعرٍ جديدٍ
لنعترفُ قبلَ انفجارِ هذه الرسالة
بأن نطفةَ السفينةِ التي تحطمتْ على طوابع البريدِ
ليستَ غيرَ هذه الجزيرةِ
وأن هذي الشامةَ التي ترينَ فوقَ خدِ
هذه الأميرةِ
كانت هي الرصاصةُ الأخيرةُ
في يدِ الفقيرِ والفقيرةِ...

لنعترف بأن شيئاً ما يكون،
كان بين الصولجانِ يا ريتا
وبين الشمعدانِ
تغرقُ النساءُ في الأشجارِ
تغرقُ الأشجارُ في النساءِ
تغرقُ النساءُ في الأسماكِ
تغرقُ الأسماكُ في النساءِ
أه إن بين الصوتِ والصدى مسافةً،
وبين الماءِ والندى مسافةً
وحين يغرقُ الوطنُ
تظهرُ السفنُ
وحين تغرقُ السفنُ
يظهرُ الوطنُ
وانت في رسالةٍ مسافرةٍ
لو تفقدينَ الذاكرةَ
لو تفقدينَ الذاكرةَ
الآن تعطي الأرضُ صوتها لطائرةٍ
لنعترف بأن بين ضربةِ الجدافِ والسكينِ
يا ريتا مسافةً،
وبين هذه الفراشةِ التي قد لونتُ أصابعي
وبين طابعِ البريدِ في يدي

وطابع البريد في يدك.
لنعترف بأننا تعبنا من كتابة الرسائل
أنا وأنت مثل طائرين،
يلمسان الماء ثم يصعدان
ما الذي تحاولين،
تم يا ريتا اختراع الماء والهواء،
تم يا ريتا اختراع الياسمين
والمرأة التي أحب
دعيني أرتمي سكران فوق العشب
أنا وأنت مثل طائرين،
يلمسان الماء ثم يصعدان
فوق الماء دائرة
وفي الهواء دائرة
محاصران بين الماء والهواء
تمت المؤامرة
وأنت في رسالة مسافرة
لنعترف بأن شيئاً ما يميز العصفور
يا ريتا عن الرصاصه
وحين تُصبح الرصاصه
نجمه،
فأي شيء يصبح الوطن؟

تسافرينَ في الوطنِ

رصاصَةً،

وترجعينَ صورةً على جدارِ

تسافرينَ في الزَمَنِ

قصيدةً وترجعينَ في السفنِ

صندوقَ برتقالِ

وحينَ يَسْقُطُ الندى،

يستيقظُ الغزالُ...

لنعترفُ قبلَ انفجارِ هذه الرسالةِ

بأنَّ جرحي ليسَ وردةً

وليسَ وجهي برتقاله

ملغومةٌ كلُّ الرسائلِ التي تجيءُ منك،

من يُحذِرُ الفراشةَ التي تطيرُ فوقَ الثلجِ

من يُحذِرُ الغزالةَ التي تسيرُ فوقَ الموجِ

ما زلتِ تكتبينَ...

أما تعبتِ من كتابةِ الرسائلِ؟

لو تفقدينَ الذاكرةَ

أنقذتني...

لو تفقدينَ الذاكرةَ

قتلتني...

اكتبي لي.. اكتبي،

هذا زمانُ الموتِ في الكتابة
ما زلتِ تكتبينُ
ها هم يقطعون أرزةً،
لكي يُقيموا حاجزاً،
الآن يبدأ الأطفالُ في اختراع
كيسِ رملٍ
ما زلتِ تكتبينُ
ها هم يقطعونَ رأسَ نجمةٍ،
يُعلقونها في رأسِ حربةٍ،
ويطفنونَ في فم القمرِ
سيجارةً،
ويقطعونَ قلبَ سنديانه
وعندَ حاجزٍ قد أوقفوا فراشةً،
أعطتْ إلى جريحٍ لونها وماتتْ
قبلَ أن يصيرَ اللونُ يا ريتا دماً
وقبلَ أن يصيرَ اللونُ يا ريتا فماً
الآنَ تعبرُ القناةُ يا ريتا البواخرُ
وانتِ مثلي في طوابع البريدِ
في مراكبِ الورقِ
تخشينَ يا ريتا الورقِ...
الآنَ تعبرُ القناةُ باخرةً...

يا طائرَ البجعِ...
إنَّ سِعْرَ الماءِ يرتفعُ...
عادَ الخديوي، عادَ يا ريتا،
إلى سريرِ مصرِ
قد نظفوا القناةَ من أصابعِ الجنودِ،
من دموعِ مصرِ،
من تُرابِ مصرِ،
من ديوانِ شعرٍ...
الآنَ يرفعونَ وجهَ مصرِ
لغما،
يرفعونَ قلبَ مصرَ قنبلةً...
ما زلتِ تكتبينِ
لا تملكينِ باخرةً
لا تملكينِ طائرةً
لا تملكينِ غيرَ الذاكرةِ
وانتِ تعشقينِ الموتَ في الورقِ
وتكرهينِ يا ريتا الغرقِ
لنعترفِ بأننا التقينا
لم تكنِ تأشيرةُ المرورِ في يدي،
ولا تأشيرةُ المرورِ في يدكِ
ولم اكنُ أريدُ منكِ قطرةً من حبرِ

ولم أكنُ أريدُ منك بيتَ شعرٍ...
مسافرٌ ضدَّ الجدارِ يا ريتا،
وضدَّ كل هذه الصورِ...
لقد تعبتُ من كتابةِ الأشعارِ،
من كتابةِ الأشجارِ
من كتابةِ الأنهارِ
فوقَ ذلكَ الجدارِ...
تعبتُ من كتابةِ الصورِ
ومن قراءةِ الصورِ
تعبتُ من كتابةِ الوطنِ
ومن قراءةِ الوطنِ...
هناكَ شيءٌ ما يميّزُ الجدارَ
يا ريتا عن الوطنِ...
هناكَ شيءٌ ما يميّزُ الكؤوسَ
يا ريتا عن السفنِ
وانتِ حينَ جنتِ،
جنتِ كالوطنِ...
بعيدةً على طوابعِ البريدِ جنتِ،
مثلَ نهرٍ في زجاجةٍ،
لنعترفُ بأننا تعبنا من كتابةِ الرسائلِ...
لنعترفُ بأن هذا العصرَ

هذا الفندقَ المحجوزَ طولَ العامِ،

ليسَ عَصْرَنَا ...

وإن هذا الشعرَ، ليسَ شِعْرَنَا

وكلُّ ما قدْ جاءَ في كتابِ الماءِ،

من أسماء... لا تخصَّنَا ...

ونشرةُ الأخبارِ ضدَّنَا ...

وليسَ في دليلِ أيِّ سائحِ

عنواننا ...

وهذه الجرائدُ التي ارتدَّتْنا

والتي مشتُ بنا،

والتي القتْ بنا على جميعِ الأرصفةِ ...

لنعترفَ قبلَ انفجارِ هذهِ الرسالةِ

فالشمعدانُ يجمعُ الفراشَ في كُتُبِ

والبحرُ يجمعُ الأسماكَ في كُتُبِ

وانتِ قد الصقتِ كلَّ ما جمعتِ،

من طوابعِ البريدِ،

يا ريتا على الجسدِ ...

من كراسة رسم لساعة حائط

هكذا التَّقِينَا،
لم يكنْ لِقَاؤُنَا مَصَادِفَةً...
كنتُ خَائِفًا، وكنتِ خَائِفَةً...
والخوفُ يجمعُ النساءَ بالرجالِ،
يصنعونَ الخوفَ طفلًا،
ثم يهربون.. كنتُ هارِبًا،
وكنتِ هارِبَةً...
وقلتُ لي نَبِيْتُ في مِغَارَةٍ،
تكونُ نارٌ بَيْنُنَا،
يكونُ بَيْنُنَا: حجرٌ
وقبل ضوءِ الفجرِ، نبدأ السَّفْرَ...
والنارُ بَيْنُنَا أذابت الشَّجَرَ
فذابت الأغصانُ كلَّها على يدِكَ
حَبَلتِ منها،
الآنَ يَبْدَأُ السَّفْرُ
أَتَسأَلِينِنِي عن اسمي،
إنني القَيْتِه في كف طفلةٍ تبيعُ الوردَ
لم اكنْ بحاجةٍ لوردَةٍ،
ولم تكنْ بحاجةٍ لِاسْمٍ.

* * *

اتسألينني عن الوطن
فراشة مسلوقة في البرق
يا صديقتي الوطن...
ونحن حينما نجوع ناكل الوطن
تحت صواري السفن
ونحن حينما نعطش نشرب الوطن
نافذة وجدولاً نشرب الوطن
اتسألينني عن الوطن...
فراشة سكرانة في الرعد،
يا صديقتي الوطن...

* * *

هكذا التقينا...
لم يكن لقاءنا مصادفة،
قد كنت خائفاً،
وكنت خائفة...
ونحن حينما نخاف نشعل النيران،
هذي يدي،
الآن قد توارى عن دخاننا المطاردون
ها هو الهدير صاعداً من النيران،
مركب هناك في انتظارنا وعاصفة...
خائف أنا...
وانت خائفة...

جوزيف أنيلا

"شاعر هنغاري ولد عام ١٩٠٥ وانتحر تحت عجلات قطار،
عام ١٩٣٧. مطارداً من البيروقراطية والبوليسية، اعتبره
توماس مان، شاعر البروليتاريا العالمية".

جوزيف أنيلاً

أنيلا جوزيف

ها نحنُ الآنَ معاً

نَمْشي بين قطارينُ

ونحبُّ امرأةً واحدةً

ترقصُ فوقَ مياهِ الدانوبِ...

ترقصُ وتذوبُ

تغني وتذوبُ

تبكي وتذوبُ

بين يديها الشمسُ تذوبُ

كقطعةِ صابونِ

كي تغسلَ أقدامَ الشعراءِ

جوزيف أنيلا

أنيلا جوزيف

هذي المرأةُ في كل مساءً...

تشتعلُ يداها بالماءِ

تسلقُ كفيها

لتقدمَ للفقراءِ حساءً

وتعلمُ عصفورين الطيرانُ

من بودابست إلى وارسو...

ما أبعدَ موسكو

ما أقربَ موسكو

* * *

جوزيف أتिला

أتيلا جوزيف

ها نحنُ الآنَ معاً،

في كلِّ محطة

في كلِّ قطارٍ

نسألُ أحدَ الركابِ،

عن امرأةٍ صارت كُرسياً،

عن عصفورٍ كان يبيعُ الصحفَ، وغابُ

سقطَ الثلجُ، فذابُ

جوزيف أتيلا

أتيلا جوزيف

ها نحنُ الآنَ معاً

الدانوبُ صديقُ الفقراءِ
والمطرُ يخبئُ في أجنحةِ
طيورِ النورسِ أصواتَ الشعراءِ...
ها نحنُ الآنَ معاً
مطرودانِ من الماءِ إلى العشبِ
من ليسَ له وطن، ليسَ له ربُّ،
ليسَ له أمُّ، أو أبُّ
هوذا اليومُ الثالثُ قد مرَّ ولم ناكلُ شيئاً
والمستقبلُ فمه مملوءٌ بالشعرِ
* * *

جوزيف أتिला
أتيلاً جوزيف
هوذا اليومُ الرابعُ قد مرَّ ولم ناكلُ شيئاً
وتماثيلُ شوارعنا
فمها مملوءٌ بالزهرِ

إلى ماياكوفسكي

يا ماياكوفسكي...
أين هي الآن...؟
السمكة ذات القبعة من الريش،
وأين هي الضفدع ذات اللحية...؟
أين القومسير الأول والعاشر...؟
أين هو الناقد ذو المخلاة وذو الحافر...
كلبُ القاموسِ الخشبي النابح،
في وجه قوافي الشعرِ وأوزان الشعرِ،
الخارجة على القانون...
هذا الطاووسُ الأصلعُ يكرهنا،
يكرهُ يا "تاتيانا" عينيك،
ويكرهُ شعركِ يا جاكلين...
باسم القيصِر يُقتلُ بوشكين...
باسم الثلج الأسود يُقتلُ "يسنين"
باسم الثيرانِ الخشبيةِ والمدهونةِ بالورنيشِ الأحمرِ،
فليسقطُ ماياكوفسكي...
وليحي البرسيم...

سنبله البارودُ ضفيرةُ شعرٍ فوقَ جبينك،
والقافيةُ هي السكينُ...

* * *

الآن لتقرأ أشعارك يا بوشكينُ
ضمّدْ جرحك بقصيدة شعرٍ،
وانهضْ يا "يسنين" ...
ارفعْ يا ماياكوفسكي حاجبَ "تاتيانا" علماً
ارفعه علماً،

شعركُ يا جاكلينُ شراعي ...

حنّطني بالصمغِ العالقِ بجناحِ البلبلِ،
واطعني بالسكينُ ...

نخبكُ يا بوشكينُ ...

نخبكُ يا يسنينُ ...

نخبكُ يا ماياكوفسكي

لترفرِفْ في لحمي السكينُ ...

ثلاثية

(١)

... وأشعلوا النيرانَ في الزهورِ الطازجةِ
كان الدُخانُ ساخناً،
كان اللهبُ مشبعاً بالعطرِ،
كان الدفءُ باهظَ الثمنِ...

(٢)

رسمتُ الفَ خطٍ مستقيمٍ...
كتبتُ الف بيتَ شعرٍ مستقيمٍ...
لعلَّ كلَّ خطٍ مستقيمٍ،
كُلُّ بيتِ شعرٍ مستقيمٍ...
يدلني على عنوانِ بيتك القديمِ...
وكنتِ يا حبيبتي محاصرةً
في دائرةٍ
لو أنني كسرتُ تلك الدائرةَ

(٣)

قطعتُ ذاتَ يومٍ جدولاً
خبأته وراءَ وجهي
في المطارِ أوقفوني

جندياً كان الله

وراء متاريس دمشق

(١)

أعطى الله عصاه لموسى، ليشق البحر ويهرب
لم يعط الله عصاه لموسى،
كي يضرب
حين "عصا موسى" صارت طائرة،
كان الله

يحمل أكياس الرمل على ظهره
يرفع بيديه الأحجار، ويعجن بيديه الإسمنت
ويقيم متاريس دمشق
جندياً كان وراء متاريس دمشق
ومأذنها الأموية تنطلق صواريخ...

(٢)

"عصا موسى"،
انكسرت فوق المرتفعات السورية
جندي سوري نحت عصا موسى المكسورة
غليوناً...

تبغك زهر الأرض فدخنُ
اصنع لدمشق سماء أخرى
فدخانك قد صار سماء...

(٣)

كان يموتُ بصمتُ
ما كان بيده كاميرا، وعلى فمه
ما كان مكبر صوت،
كان يموت وراءَ خطوطِ الضوء،
وراءَ خطوطِ الصوتِ
قلبي قنبلةٌ لدمشق...
وأصابعُ كفي العشرة...
عشرُ رصاصاتٍ لدمشق...
كان يموتُ وراءَ خطوطِ الضوء،
وراءَ خطوطِ الصوتِ
كان يموتُ بصمتُ
ما كان بيده كاميرا، وعلى فمه،
ما كان مُكَبِّرَ صوتِ

(٤)

بردى، كان رباطاً أبيضَ خصلةً ماءً فوقَ الجرحِ
بردى عربة إسعافٍ
تنتقلُ بين متاريس دمشق

بردى طائر...

يحملُ في المنقارِ، زجاجةَ دمٍ
وأنا صبغُ الحبرِ يدي، وصبغُ الفمِ
ودمشقُ على مرمى قطرةَ دمٍ...

(٥)

حينَ الأربطةُ البيضاءُ
سقطتُ عن قَدَمِكَ، ومشيتَ على وجهِ الصخرِ
على وجهِ الماءِ...

كان اللهُ على شاطئِ حيفا
يصطادُ السمكَ لأطفالِ فلسطينَ،
ويصرخُ من هولِ العشقِ
ستجبي، الآنَ دمشقُ...

(٦)

الآنَ دمشقُ...

لن أصبغَ باللونِ الأزرقِ عينيَ
لن أصبغَ باللونِ الأزرقِ كفيَّ وقدمي...
لن أصبغَ باللونِ الأزرقِ جلدي...
يكفيننا موتا، بين اللونِ الأبيضِ
واللونِ الأزرقِ

(٧)

عيناى طابعا بريد
للعالم الجديد...
على دمشق تسقطُ القنابلُ
ساعي البريد في دمشق،
لم يزل يوزعُ الرسائل،

(٨)

على سطوحك الأطفال...
قد أقسموا على رغبة الخبزِ
أن يواصلوا القتالَ

ثلاث أغنيات على أنقاض بئر

(١)

كُتبتُ للحجارة...
لهذه الأعمدة المنهارة...
كُتبتُ للؤلؤة التي تنتظرُ الغواصَ
في المحارة...
كُتبتُ للذين يولدون من طوابع البريد
ملاعق الأخشاب،
في أفواههم بشاره...
أين الطريقُ يا حبيبتي...
والشمسُ جثةٌ تسدُّ بابَ هذه المغارة ..

(٢)

لو كانَ لي وطنُ
لكانَ لي كفنُ
لو كانَ عندكم دموعُ
لكنكم بلا دموع...
فليبدأ الحصارُ
ولتبدأ المطاردة...
ولتضربوا بالمنجنيقِ وجهَ هذه القصيدة...

ايتها الصواعقُ الشريدهُ...
برعمَ الزلزالِ أين أنتَ...
من سيشتري بوردة الطوفانِ
هذه القصيدة...؟

(٣)

عبثاً تزرعُ أجنحةً للأحجارُ
عبثاً تنتظرُ الجنيّة،
أن تخرجَ من هذي النارِ...
شُدْ على عنقك هذي الأوتارُ
فالنجمُ تدحرجُ من فوقِ الصخرة،
والجبلُ انهارُ.
قلتُ لك احذرُ،
من قرعوا الأجراسُ...
باعوكَ وباعوا المتراسُ
شهدُهُم وحلُ،
وسنابلُهُم أرجلُ فيرانُ...
لم يبقَ سوى البركانُ...
لم يبقَ سوى البركانُ...

الخروج....

كَانَ رَحِيلِي مِنْ "غَزَّةَ"،
وَرَحِيلِكَ عَنْ "حَيْفَا"، غَدْرَا...
كَانَ رَحِيلُ "الْمَتْنَبِي"، عَنْ "حَلْبِي" غَدْرَا
هَذَا نَحْنُ الْآنَ هُنَا،
نَبْحَثُ فِي حَوْصَلَةِ الْعُصْفُورِ الْمَيْتِ،
عَنْ قَافِيَةِ حُبْلَى
هَبْهُ صَحِيحاً مَا قَالُوا:
قَدْ لَا نَجِدُ الْحَبْرَ هُنَاكَ بِالتَّلْجِ أَوْ الصُّودَا،
قَدْ لَا نَجِدُ الْحَبْرَ هُنَاكَ كَوَكْتِيلَا،
لَكِنْ لِلْحَبْرِ وَالشَّعْرِ هُنَاكَ،
رَائِحَةٌ أُخْرَى...

* * *

مَنْذُ خَرَجْنَا مِنْ تِلْكَ الزَّنْزَانَةِ
سَقَطَتْ مِنْ يَدِنَا الرَّمَانَةُ...
مَنْذُ خَرَجْنَا مِنْ تِلْكَ الْحَجْرَةِ فَوْقَ السُّطْحِ
سَقَطَ كَحَجْرٍ فَوْقَ الْأَرْضِ الْجُرْحُ...
فَقَدَ الذَّاكِرَةَ وَفَقَدَ حَقِيبَتَهُ الْجُرْحُ...

جلس الجُرْحُ على الكرسيِّ،
وكتبَ الجُرْحُ...؟
صارَ الجُرْحُ على الجُرْحِ رقيباً،
أصبحَ للجُرْحِ...
تليفونٌ، كرسيٌّ، عنوانٌ تلغرافيٌّ، بيتٌ،
أصبحَ للجُرْحِ...
قميصٌ مكويٌّ...
صارَ الجُرْحُ موظفٌ
أولاً تُرجف...؟
أنا أرجف...
أنا أعرفُ أنك تكتبُ يومياتك،
عن تلك الأرضِ المحتلة...
هل صارتُ ذكريٌّ؟
هل صارتُ حبةً قمعٍ كالجرسِ معلقةً،
في عُنقِ النملة...؟
هل صارتُ يا "محمودُ" لنا ذاكرةً أخرى...؟

* * *

أنا أعرفُ أنك ترفضُ يا "محمودُ"،
رباطَ العُنقِ...
لكنك تقبلُ يا محمودُ الحبلَ على عُنقك...
كنا ندخلُ، نقتحمُ جميعَ الحاناتِ،

بلا رِبْطَةَ عُنُقٍ ...

كنا نفتحها، بقميصٍ مفتوحٍ ...

كنا نُطردُ ونُحبُّ الطردُ ...

كنا طولَ العُمُرِ نحبُّ سقوطَ المطرِ،

ونشربُ نخبَ الرعدِ ...

ونحبُّ الأرصفةَ المهجورةَ، ومصابيحَ الشارعِ

لم نكتبَ يوماً عن ليلي أو هند ...

كانَ "الوطنُ" جميلاً،

والوطنُ يكونُ جميلاً،

حينَ يكونُ الوطنُ بعيداً ...

لكنَ حينَ الوطنُ يصيرُ قريباً،

ويصيرُ نشيداً ...

ويصيرُ الوطنُ مكاتباً ...

ويصيرُ الوطنُ ثعالباً ...

كانَ علينا، أن نرفضَ تلكَ اللعبةَ

ونجرَ العربةَ ...

قالوا: القدسُ

وكتبنا يا محمودُ عن القدسِ،

وزهرةَ عَبارِ الشمسِ ...

قالوا: يافا ...

وكتبنا ... عن يافا ... يافا ... يافا

والآن يقولون لنا: غزّة...؟

ماذا بعد...؟

كسر زجاج نوافذنا الرعد...

تحت أظافرنا تتجمع كل الأمطار...

من بين أصابعنا، تجري كل الأنهار...

اكتب تحت الصور العريانة للشهداء...

وكتبنا،

أو لسنا الآن هنا، راقصة في كباريه،

أو ساقية في بار...؟

كنا نتجسس لحساب الغزلان،

فصرنا يا محمود جواسيس الأبقار...؟

* * *

"ستربتيز"...

صرنا نطبخ يا محمود الوردة ونقدمها،

في فندقنا لجميع النزلاء...

فطوراً وغذاءً وعشاءً...؟

"ستربتيز"....

رجل في ثوب امرأة،

تخلع كل ملابسها تحت الأضواء...

أنا اعرف أنك طيب...

وجناحك أطول من منقارك،

أعرفُ أنكَ عصفورٌ طيبٌ...

والآنَ علينا أن نهربُ

الوطنُ كبيرٌ، أكبرُ من جلدِ الأسدِ

وأكبرُ من جلدِ الذئبِ،

وأكبرُ من جلدِ الثعلبِ...

* * *

ماذا عنا سيقولُ "سميح القاسم"...

لجهنمَ بالإصبعِ والخاتمِ...

ماذا سوفَ يقولُ "البياتي" و "الفيثوري" و "نزار"

"أدونيس"، سيكتبُ شيئاً ما،

لا بد وأن يُلقى بالحجرِ،

ويصنعُ تلكَ الدائرةَ من الأشعارِ...

لكن لجهنمَ بالبياتي والفيثوري ونزار...

وبتلكَ الدائرةَ الواقفةَ من الأشعارِ...

* * *

"كاتب ياسين"...

صديقي المسكينُ...

قال بأنَ ماذننا يا محمودُ،

صواريخٌ، ثابتةٌ في الأرضِ...

لا تنطلقُ، ولا تصعدُ أبداً...

أكبرُ من كُلِّ ماذننا يا محمودُ الله...

ولكن أه...

إن رقيبَ الصُّحفِ الوطني،
الجالسَ، فوقَ العرشِ الوطني،
هنا وهناك أكبرُ من ذاك "الله" ...

* * *

إن علينا أن نهرب...
أعرفُ أنكَ عصفورٌ طيبٌ...
والوطنُ جميلٌ،
والوطنُ يكونُ جميلاً،
حينَ يكونُ الوطنُ بعيداً...
لكنَ حينَ يصيرُ الوطنُ قريباً،
ويصيرُ الوطنُ نشيداً...
ويصيرُ الوطنُ مكاتباً...
ويصيرُ الوطنُ ثعالباً...
ويصيرُ الجُرحُ "موظف" ...
أن علينا أن نرجف...
"محمود" ...

أذنُ الأرنب...
أطولُ من ساقِ الأرنب...
لكني أعرفُ أن جناحك،
أطولُ من منقارك،
أعرفُ أنكَ عصفورٌ طيبٌ...

إلى بوشكين

الشاعرُ يحشو بالحبرِ الأبيضِ غُليونَهُ...
ويدخُنُ في وجهِ القيصِرِ، يا بوشكينُ،
قصائِدَهُ،

ويقلِّمُ في وجهِ الرُقَباءِ أظافِرَهُ...
أو تعبتُ أفتشُ عنكَ فما أصعبُ،
أن يفقدَ الشاعرُ شاعِرَهُ،
أنا لن أجدكَ مختبئاً في محبرةٍ،
أو في داخلِ أيقونَةٍ...

كلصوصِ الشعرِ الكذابينِ
في المتحفِ، في المشرحةِ، وفي أوراقِ النُقَادِ الرسميينِ
لكني يا بوشكين وجدتكِ،

ما بين مسدسِ دانسس^(٢)، ومسدسِ مارتينوف^(٣)

تنهضُ وتعودُ إلينا

ووجدتُ هنالك،

مارتينوفَ مختبئاً ميتاً في جثةِ دانسس

(٢) قاتل بوشكين.

(٣) قاتل ليرمنتوف.

فالقاتل يرثُ القاتلُ

يهديه يا بوشكين القفازَ ويهديه رصاصةً...

والشاعرُ يرثُ الشاعرُ

يهديه الطلقةَ بين العينين،

وخصلةَ شعرُ

أه دعوا الشاعرَ في صمتٍ وسلامٍ

فكفاهُ ترجمةً وكفاهُ كلامُ

حفظوا في المتحفِ يا بوشكين المعطفَ والورقةَ

وقناعَ الجبسِ وآخرَ وجهٍ لك قبلَ الموتِ...

لكن أين دخانُ البارودِ المتطايرُ

من عينِ مسدسِ دانيس

لمَ لم يجمعه أحدٌ منهم يا بوشكين؟

لمَ لم يسكبه أحدٌ منهم في كأسٍ...؟

كي نصنعَ نحنُ الشعراءُ سحابةَ

* * *

في داخلِ أيقونه...

كان هنالك خصلةُ شعرٍ

من رأسك يا بوشكين...

كانت كالبرقِ في حدِ السكينِ...

هذي الخصلةُ من شعركِ...

صارت علمَ الشعراءِ...

هوذا دفتراً أشعارك...

خلفَ المقطعِ والمقطعِ من كلِّ قصيدة...

كان القيصراً يرتجفُ من الرعبِ..

ورقيبُ القيصِرِ

يقلبُ فوقَ المائدةِ حقائبَ أشعارك

ويفتشُ عن تلكِ القافيةِ السريةِ

قطرةَ حبرٍ صادقةً واحدةً تكفي

لتسممَ تمساحاً...

وجميعَ الرقباءِ السريينِ

والعلنينِ

* * *

نحنُ الشعراءُ

قد لا نعرفُ شكلَ السيفِ أو الخنجرِ يا بوشكين...

إنّا لا نطرقُ فوقَ السندانِ قصائدنا،

لكن حينَ يحبُّ الشاعرُ، ويدافعُ عن صوتهِ

ضدَّ الخنزيرِ البري

والكلبِ السري

يصبحُ يا بوشكين الموتُ،

هو الأملُ الرائعُ للإنسانِ

يصبحُ يا بوشكين هو الحبُّ الأولُ

والحلمُ الأولُ

والموتَ الأولُ

موتكَ كانَ دفاعاً عن أصواتِ جميع الشعراءِ

لكن موتكَ علّمنا أن الشعراءِ

عائلتانُ...

عائلةٌ تكتبُ بالحبرِ...

والعائلةُ الأخرى تكتبُ بالدمِ

* * *

بوشكينُ...

ما زالَ هناك في العالمِ

"دانتس" آخر...

"مارتينوف" آخر...

ما زالَ هناك يا بوشكين، الشاعرُ

والقاتلُ...

الوردة والعصفور

لعبَ العصفورُ

(لعبتهُ الكُبرى)،

خَلَقَ الوردَةَ، صَوَّرَهَا، (فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ)

فِي اليَوْمِ (السَّابِعِ نَامٌ)

تَعَبَ العصفورُ مِنَ الخَلْقِ، مِنَ التَّصْوِيرِ، فَنَامَ...

* * *

نَامَ العصفورُ

(وَالوردَةُ) رَاحَتِ حَوْلَ العصفورِ تَدورُ

وَتَدورُ...

اسْتَيْقِظْ يَا عصفورُ...

فَالوردَةُ تَتَرَنِّحُ، تَوْشِكُ أَنْ تَسْقُطَ فِي تَبْرِتِ،

سَمَّوْهَا - أُنِيَّةَ زَهْرٍ - ...

اسْتَيْقِظْ يَا عصفورُ...

* * *

أَوْ عَلَى رِيشِكَ قَدْ دَبَّ السَّوسُ إِلَيْهِ وَطَابورُ...

مِنْ نَمْلِ يَتَجَمَّعُ فَوْقَ جَنَاحِكَ يَوْشِكُ أَنْ يَسْحَبَهُ،

يَا عصفورُ...

والوردَةُ (تترنحُ)، (تترنحُ)، (تترنحُ)،

وهي تدورُ

الدودُ على ساقِ الوردَةِ، والدودُ على

ورقِ الوردَةِ، والوردَةُ توشكُ أن تسقطَ، يا عصفورُ

استيقظُ يا عصفورُ...

استيقظُ يا عصفورُ...

استيقظُ يا عصفورُ...

الدائرة

يُحاولونَ رَسَمَ شيءٍ ما، فيرسمونَ شيئاً
غيرَ قابلٍ للرسم،
إن الماءَ تكسرُ الأحجارُ وَجْهَهُ،
دوائرًا... دوائرًا،
وبَعْدَها تسترجعُ المياهُ وَجْهَهَا،
تسترجعُ الأحجارُ وَجْهَهَا، مُربعاً، مُكعباً،
أو مُستطيلاً، ليسَ أيَ وَجْهِ مستقيمٍ
مميزةً ولا كتابَ توصيةٍ.
يُحاولونَ رَسَمَ شيءٍ غيرِ قابلٍ للرسم،
ليسَ إبرَةً منقارَ طائرِ البجعِ
فلا يرقعُ الجواربَ الممزقةَ
يُحاولونَ أن يُبيضوا أيَ شيءٍ، يشترتونَ
نُطفةً. يحاولونَ أن يقولوا أيَ شيءٍ،
يشترتونَ جملةً مفيدةً. ويشترتونَ شاعراً
قد تمَّ ذبحُهُ على الطريقةِ الشرقيةِ
ويفتحونَ نخبَةً، زجاجةً من المياهِ
المعدنيةِ...

ويأكلونه على الطريقة الشرقية...

أصابع الذين يكتبون في بلادنا،

كانها "الزوائد الدودية"...

يحاولون. كل جرح عندهم موظف في صيدلية

وكل نحلة بريّة يرشونها بقطعة من سكر

لكي تسير يوم الانتخاب، تُعطي صوتها،

لعسكري

كيف استطعنا أن نعيش العمر كله،

كسندبار كاذب مسافر، ما بين أذن مخبر

وعين مخبر...؟

* * *

يحاولون كسر شيء ما، فيكسرون

شيئاً غير قابل للكسر،

إن الماء

تكسر الأحجار وجهه

دوائر... دوائر

وبعدها تسترجع المياه وجهها،

تسترجع الأحجار وجهها،

الماء لم يمت بالسل، والهواء

لم يمت بالسل، واسألوا الرثة...

* * *

في آخر انتخاب كان في بيروت،
لانتخاب ملكة الهزيمة...
فوجئ السياح في الفنادق التي توجرُ
الوطن...

لليلة أو ساعة، بأبخس الثمن...
بأن تلك الوردة المسلوقة المقشرة...
دجاجة مزورة...

* * *

كيف استطعنا أن نعيش كل هذا العمر،
نكتب الرسائل المزورة؟

ساعي البريد لم يكن سوى مهرّب.
طوابع البريد كلها مزورة...
اطفالنا مزورون، كل نطفة مزورة...

* * *

الشاعر الذي ما زال شاعراً، ما زال
يكسرُ الخطوط، ليس أي خط مستقيم
في الهواء، ذيلُ نجمةٍ إلى قصيدة...
الشاعر الذي ما زال شاعراً ولم
يحكموه،

في انتخاب ملكة الهزيمة...
تدعوه للمثول هيئة المحلفين، في إذاعة

وفي جريده...

وهيئة المحلفين، في المطاعم التي تُقدِّمُ
النساءَ والسّمكُ...

وهيئة المحلفين في "البارات" حيثُ
يمزجونَ

شاعراً بالماء، يضربونَ شاعراً بالثلج،
كي يُقدِّموا كنساً من العرق...
ملكة الورق...

* * *

نحنُ على هوامشِ الهواء، صوتُ،
خارجٌ على الهواء...

– أوقفوا الإذاعةَ السرية.

– استأصلوا الحناجرَ، الأصابعَ، الزوائدَ
الدودية.

نحنُ على موائد الجرائد التي تَدْبَحُ،
كلُّ يومٍ شاعراً، على الطريقةَ الشرقية.
وياكلونه على الطريقةَ الشرقية.

نحنُ الذينَ كلما رأنا عسكريُّ،

تُغلقُ الإشارةُ الضوئية،

وتُرفعُ الحواجزُ... المكهربة...

وينزلونَ كلَّ راكبٍ، يفتشونه، ويسألونه

عن بُرْجِهَ وَعَنْ شَهِيدِهِ الْمُفَضَّلِ
وَأَيِّ شَاعِرٍ يُحِبُّ الْآنَ - أَوْ أَحَبَّ -
فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ ...

يَسْتَجُوبُونَهُ، وَيَأْخُذُونَ أَلْفَ بَصْمَةٍ
لصَوْتِهِ، وَيَخْلُطُونَهُ بِالْمَاءِ،
يَضْرِبُونَهُ بِالثَّلْجِ، كَمَا يُقَدِّمُوا
كَأْسًا مِنَ الْعَرَقِ
لِلْمَلِكَةِ الْوَرَقِ ...

* * *

مُكَلَّفُونَ بِاسْمٍ مِنْ؟ -
بِالنَّوْمِ فِي سَرِيرِنَا، بِالنَّوْمِ فِي عُيُونِنَا،
بِالنَّوْمِ فِي آذَانِنَا،
مُكَلَّفُونَ بِاسْمٍ مِنْ؟
مُكَلَّفُونَ بِاسْمِ شَرْطَةِ الْمُرُورِ، بِاسْمِ
شَرْطَةِ الْقِرَاءِ، بِاسْمِ الْبِرْلَمَانِ
وَالْوَطَنِ؟
مُكَلَّفُونَ بِاِحْتِلَالِ الْعَيْنِ وَالْأُذُنِ؟

* * *

الآنَ مِنْ كُرْسِيِّهِ، يَصِيحُ عَضْوُ الْبِرْلَمَانِ،
عَضْوُ لَجْنَةِ التَّحْقِيقِ:
احذفوا، مِنْ دَفْتَرِ التَّحْقِيقِ،

هذه القصيدة المباشرة...

وأغلقوا الملف،

قيدوا على حساب شاعر،

فاتورة المؤامرة...

قصيدة علي سيف البحريني

كانَ يَدْرَبُ القِصائِدُ...
كَيْفَ تَبِيْعُ رَأْسِها عَلى الوَسائِدُ...
وكَيْفَ تَحَلِبُ الثَّديينِ،
فِي نَعليِّ أَميرِ،
كانَ مَخْبِراً وشاعِراً شَريرِياً
وكانَ قَلْبُه دِينارُ...
وكانَ سِيفُه مَسمارُ...
يَسْرِقُه مِن حَدوَّة، أو مِن جِدارُ...
لِكي يَدُقُّه فِي كَنسِ كُلِّ شاعِرٍ، لِقائِ ذلِكَ الدِينارُ...
وكانَ يَغْتَسِلُ...
بِبولٍ - كُلِّ جاريَّة -
وكانَ يَكْتَحِلُ...
بِبِصِقَةِ الأَميرِ قَد - تَجَمَدَتُ عَلى جِبيِنِه -،
لو ضَلتِ الطَّريقَ لِلأَميرِ - قَافِيَه -
قَد كانَ شاعِراً سَمساراً...
يُضاجِعُ الدِينارَ... وَهو واقِفٌ،
أو وَهو راکِعٌ،

أو وهو ينشدُ الأشعارا...
يحلمُ وهو ذلك المخصي،
ان يصيرَ - ماء الوجه - نطفةً -،
في رحم الدينار،
تُعطيه بعدَ ليلةٍ ديناراً...
كان ككلبِ الصيدِ، يتبعُ المحاربين،
يجمعُ الجراحَ في - مخلاته -
يَمجها - قصائدُ -...
كان يدرّبُ القصائدُ...
كيفَ تبيعُ رأسها على الوسائدُ...
وكان حينما تموتُ - تحتَ إبطه -
في جيبه السريّة الأوزان...
كان يبيعُها لقاء دن - ماء -
كان يعتقُ الوحولَ في جراره،
يبيعُها في سوقه السوداء،
خمرةً،
ونحنُ لم نعدُ تُسكرنا سوى الوحولُ
واضيعةُ العنقودُ...
في حانة الكلاب البيضِ،
والكلاب السودُ...

البيانو

نزلت من يدي قصيدة
للبحر أو يا سفينتي الجديدة
والبحرُ عاشقٌ قديمٌ كم تكسرتُ على سريره المراكبُ
والبحرُ شاعرٌ قديمٌ كم تكسرتُ على سريره الكواكبُ
وأنتِ طولَ العمرِ تبحثينَ عن سفينةٍ وعن بطلٍ.
يدي هي السفينةُ التي سترسمينَ ذاتَ ليلةٍ
رموشها الطويلةُ
قصيدتي قصيرةُ
الآن يصطادونَ بالصنارة الفراشةَ الأخيرةَ
وضربةُ المجدافِ ليست طعنةً، ولم تمتَ بالسيفِ موجةً
ولم تمتَ بالسلِّ نجمةً،
ولم يمتَ بالذبحِ الصدريةُ القمرُ
فليمضِ هذا النهرُ في مجراه، هذا العمرُ في مداه
لا يدي غزاةٌ تمشي على يدك
ولا دمي فراشةٌ تطيرُ في دمك...
وأنتِ كلما اقتربتِ تأخذينَ شكلَ البحرِ
أيها البحارةُ المكررونَ في البحارِ والموانئِ المكررةِ

في المراكب المكررة
في الشواطئ المكررة
في المراة المكررة
هذا هو اعترافُ الشعرِ بالمؤامرة
هذا هو اعترافُ الشعرِ باسمها
فليمضِ هذا النهرُ في مجراه
إنهم يكررونَ الصوتَ لا صدى
وإنهم يكررونَ الرملَ والأعشابَ والسفنُ
لا شاطئٌ ولا وطنُ
هذا هو اعترافُ الشعرِ باسمها
فنامي في يدي
فجسمكُ البيانو
في انتظارِ لمسة انفجارِ
قد حطَّ طائرُ السنونو فوقهُ وطارُ
سمعتُ موسيقى دَمِكُ
تبعثها.. أتاني الصوتُ،
اصعد الجبلُ
وانت تبحثينَ عن سفينةٍ وعن بطلِ
حفيفُ كلِّ هذه الغصونِ في دمي
يقودني للانتحارُ
سمعتُ موسيقى دمكُ

تَبِعْتُهَا .. أَتَانِي الصَّوْتُ
حِينَ تَسْقُطُ الْأَمْطَارُ
تَشْهَقُ الْأَشْجَارُ
أَنْكَ الَّتِي تَعَلَّمِينَ النُّجْمَةَ الْكِتَابَةَ
وَأَنْكَ السَّمَاءَ كُلُّ مَنْ قَدْ مَرَّ قَبْلَ أَنْ أُرَاكَ
لَمْ يَكُنْ سِوَى سَحَابَةٍ
أَنْنِي أَتَيْتُ لَمْ تَكُنْ يَدِي قَصِيدَةً،
وَلَمْ تَكُنْ يَدِي سَفِينَةً
وَلَمْ أَكُنْ مَقِيمًا أَوْ مَسَافِرًا،
يَدِي عَلَى يَدِي
فَمِي عَلَى فَمِي ...
سَمِعْتُ مُوسِيقَى دَمَكِ ...
وَكَنتُ أَوَّلَ الَّذِينَ قَدْ رَأَوْكَ،
كَنتَ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّبِيِّ أَوَّلِ النِّسَاءِ
كَيْفَ دَارَتْ كُلُّ هَذِهِ الْخَوَاتِمِ الْمَكْرَرَةَ
فِي الْأَصَابِعِ الْمَكْرَرَةَ
هَذَا هُوَ اعْتِرَافُ الشَّعْرِ بِالْمُوَاطَرَةِ
هَذَا هُوَ اعْتِرَافِي
الآنَ حَاصِرُوا يَدِي،
الآنَ يَصْطَادُونَ بِالصَّنَارَةِ الْفَرَاشَةَ الْآخِرَةَ
قَصِيدَتِي قَصِيرَةً

فليمضِ هذا النهرُ في مجراهُ
ياكلُ البحارةُ الجوعى طيورَ النورسِ الجوعى
وتعلنُ الشواطئُ الإضرابُ
ويقرأُ العصفورُ في كتابُ
وانتِ من يدي إلى دمي قصيدةٌ مهربةُ
وانتِ من دمي للبحرِ تنزليْن كل مرّةُ
سفينةٌ مهربةُ
وجسمك البيانو،
انتِ تبحثين عن يدِ أو شمعدانُ
عن محارةٍ أو صولجانُ
أنا المسافرُ الذي رآك أه
البحرُ قد تكلمتُ يداهُ
لم يبنِ كوخَ ماءٍ طولَ عمرهِ المطرُ
وما تزوجَ المسافرونَ ذاتَ يومِ الشجرُ

للذي بعدي فلسطينُ: امرأةُ
وأنا لي الشهداءُ.
كلما تَنتابُني الحمَى أداوى بالدماءُ
الدمُ الداءُ وما منه شفاءُ.
للذي بعدي السمواتُ: امرأةُ
وأنا لي الأنبياءُ
أو ما أحلى السماءُ
حينما يُطردُ منها الأنبياءُ
يا فلسطينُ اللصوصُ الرقباءُ
أينَ من كأسكِ أهربُ؟
كلُّ مَنْ مَدَّ يداً لك بالعنقودِ،
في زنزانةِ الخمرِ تعذبُ...
اشربي لو مرّةً كأسِي،
فطولَ العمرِ من كأسكِ اشربي.

لماذا تدقُّ البرتقالة...
مثل ساعة الحائط،
والرسالة
تسقط في يد العدو
جربتني بالشعر
تبعثُ صرخة الغزاة...
والنجمُ ذئبٌ والسماءُ عينُ ذئبٍ...
اكتبي اعترافي: ما تَعبتُ... ما تعبتُ
لكنني رأيتُ...
وكنتُ أوَّلَ الذين بَشَرُوا بالنجمِ
مذ كانَ قطرةً من دم...
اكتبي اعترافي: ما تَعبتُ
لكنني رأيتُ
فحينما يصيرُ النهرُ عُنقَ مشنوقٍ،
وحينما تصيرُ البئرُ ذئباً،
كيفَ تشربُ الغزاةُ
تدورُ الفَ دورةً تدورُ البرتقالة

وبعدَ دورتينِ تسقطُ الرسالةُ

في يدِ العدو...
* * *

أيها الوطنُ...

الشمعدانُ ليسَ ديكاً،

إنَّ عينَ الشاعرِ الذي يُطاردونَ،

ليست خاتماً،

أحبُّ كلما ابتعدتُ

أصابُ بالدوارِ كلما اقتربتُ

وكلما حرَّرتُ

كلما حرَّرتُ

كلما حرَّرتُ

فراشةً من شمعدانِ المرأةِ التي أحببتُ

يحتلني شهيداً...

بالزهرِ والرصاصِ والنشيدِ...

فرانك سيناترا

اعرفُ أنّ الشاعرَ يكتبُ
ومسدسُ أحدِ القتلةِ خلفَ الرأسِ
كالقبطانِ على طائرةٍ مخطوفةٍ.
قد يهبطُ في أحدِ مطاراتِ العالمِ.
لكنّ الشاعرَ طائرةً مخطوفةً
لا تهبطُ في أيِّ مطارٍ
اعرفُ أنّ هنالكَ من يكتبُ
ومسدسُ أحدِ القتلةِ خلفَ الرأسِ.
لكنّ هنالكَ من جعلَ حذاءَ الشرطيِّ
له محبرةً،
وهراوتهَ فرشاةً، مضى يكتبُ
قدمُ الشرطيِّ المطبوعةً،
وإصبعهَ الكاميرا...
الآنَ أقدمُ لكمو:
فرانك سيناترا...
فرانك سيناترا...
من لا يعرفُ هذا الاسمَ

بَطَلَ زُجَاجَاتِ الْمَوْسِيقَى
مَنْ قَصَّ أَصَابِعَنَا أَمْشَاطَ بِيَانُو
مَنْ أَلْقَى فِي بَرَكْتِهِ بِأَصَابِعَنَا
تَتَلَوَى سَمَكاً مَذْبُوحاً ...
سَمَكاً يَبْتَلَعُ الْمَاءَ وَيَغْرُقُ
وَفِرَانِكَ سِينَاتِرَا يَضْحَكُ
يَفْتَحُ نَخْبَ الْمَيْسِيسِيِّ الْمَقْطُوعِ الْكَفَيْنِ،
زُجَاجَةَ مَوْسِيقَى
أَوْ عِلْبَةَ أَغْنِيَةٍ مَحْفُوظَةٍ

* * *

فِرَانِكَ سِينَاتِرَا ...
لَيْسَ سَوَى صَوْتِ وَاحِدٍ
فِي أَوْرِكْسْتِرَا الْمَافِيَا
ذَاتِ الْقَبْعَةِ الذَّهَبِيَّةِ
فِرَانِكَ سِينَاتِرَا لَيْسَ سَوَى اسْمِ وَاحِدٍ
فَهِنَاكَ فِرَانِكَ سِينَاتِرَا "الشَّاعِرُ"
وَفِرَانِكَ سِينَاتِرَا "الثَّائِرُ" ...
لَكِنْ صَبَرْنَا نَعْرِفُ كَيْفَ نَفَرَّقُ
بَيْنَ يَدِ الشَّرْطِيِّ وَبَيْنَ الْعَصْفُورِ ...
بَيْنَ حِذَاءِ اللَّصِّ وَبَيْنَ السَّمَكَةِ ...

المحطة

أسافرُ أو لا أسافرُ...
تفرّجتُ حتى بصقتُ جميعَ المناظرِ،
من شرفاتِ المقابرِ...
مشيتُ بكلِ الجنازاتِ،
كانت على قدميَّ الجرائدُ...
تُباعُ، وتُشربُ أغلى الخمرِ،
وما كان لي غيرُ ماءِ القصائدِ...
وكنتُ أموتُ على حافةِ البئرِ،
موتي مناسبةٌ للرصاصِ،
مناسبةٌ لسُعاةِ البريدِ،
مناسبةٌ لهوأةِ التقاطِ الصورِ...
فوقَ رأسي قمرٌ
تحتَ رأسي حجرٌ...

* * *

فليطمئنْ المغني...
فهذا أوانُ سُقوطِ الحجرِ
وهذا أوانُ سُقوطِ المطرِ

وها هو رأسي،
لقد فتحَ النهرُ فخذي،
والأرضُ تمشيُ إليه
وهذي مناسبةٌ للرصاصِ
وهذي مناسبةٌ للزهورِ،
وهذي مناسبةٌ
كي تُضاجعَ غزّةُ يافا،
وهذي مناسبةٌ للمغني...
وهذي مناسبةٌ للوطن...
يبيعُ المجاديفَ فوقَ السفنِ

قصيدة فلسطينية إلى لينين

(١)

كان لينينُ فكانَ الحزبُ
يا فرسَ البحرِ على الصخرة،
تلدُ ملائكةَ الشعبِ
موسكو في القلبِ

(٢)

في نافذةٍ في أحدِ شوارعِ هذا العالمِ
كان لينينُ وكانت فوقَ أصابعه،
تتجمعُ كلُ الأشجارِ السريةِ والعلنيةِ
كانت لحظةً إبداعِ العالمِ.
كانت لحظةً إعطاءِ العالمِ،
اسماً آخرَ.
والثورةُ شاعرُ.
كانت كلُ أصابعنا - أمشاطَ بيانو -
والعالمُ يولدُ من لمسةِ إصبعِ.
من طلقةٍ مدفعِ

(٣)

مليونُ كتاب، ألفُ جريدة...
وهناك رجلٌ، يقرأُ في المكتبة،
قطارٌ يطلقُ صفارتهُ، والقيصرُ يحتفلُ
بقصِ أصابعِ بوشكين،
وإطلاقِ النارِ على وجهِ قصيدة...
مليونُ كتاب، ألفُ جريدة...
وهناك رجلٌ يكتبُ في المطبعة،
ويخترعُ عصافيرَ جديدة...

(٤)

وَحدي الآنَ على مائدةِ الحزبِ
وَحدي الآنَ رُجاجةُ حبرٍ فوقَ المائدة،
وحزمةُ أوراقٍ،
ألهُ رونيو...
بدأت حَرَبُ الشعبِ

(٥)

يا كلَّ فراشاتِ الحبرِ السريةِ والعلنيةِ،
يا آلاتِ الرونيو اتَّحدي...
لك صوتُ يدي...

(٦)

الآن يجيئون...
الشعراء القتلى، والشعراء الجرحى،
والشعراء المعتقلون...
شعراء الكون الخامس والعشرين...
في المؤتمر الخامس والعشرين...
- نخب لينين...
- نخب فلسطين...
- حتى آخر قافية في حوصلة الشاعر
ضد السكين...

(٧)

تلقى - الأشجار المقطوعة - في النهر،
ويسحبها التيار...
والموجة مسمار...
ولينين يدقُّ الموجة، في الشجر،
مسامير، ويصنع للفقراء سفينة...
أعطيك ضفائر هذي الزيتون
قبعة،
يا أول بحار،
يا أول قبطان...
يا أول من دقَّ الموجة مسماراً،
في عنق القرصان...

إحدى عشرة فراشة

في دفتر الماء

(١)

سأقك نافورة...

كيف ستبني عُشاً فوق الماء العصفورة...؟

(٢)

أقطعك كنهر فتحزُّ الموجةُ عنقي،

أحملُ رأسي فوق الماء وأسبحُ،

ضفتك الأخرى أين...؟

(٣)

كلما تقتربُ الأرضُ أخافُ

كلما يقتربُ الشباكُ من مشطِ أخافُ

ذلك الثورُ بحقلِ القمحِ،

من قرأءِ أشعاري: أخافُ

كل قرآني على الحيطانِ،

قد صاروا صوراً...

(٤)

منذُ يد الإنسانِ صارتُ عاشقهُ
وكتبتُ لمن تُحبُّ أولَ الرسائلِ...
قد طرَّقَ الحدَّادُ أولَ السلاسلِ
من يومِها أصبحتُ خارجاً على القانونِ

(٥)

يقتلونَ كلَ ليلةٍ فراشه،
ويكتبونَ عن رصاصه،
قد سافرتُ إلى القمرِ...

(٦)

جناحُها بريشِ كلِّ طائرٍ
مرقَّع،
منقارُها مرقَّع
وصوتُها مرقَّع
ولم تزلْ تعومُ في بحيرةِ البارودِ
هذه الإوزة...

(٧)

يظهرُ المطرُ...
كالطيفِ ثم يختفي
قصيدةٌ مدفونةٌ تحتَ الترابِ
تقومُ بانقلابٍ..

(٨)

نبحثُ عن لغة

نبحثُ عن بطلٍ

وحيثما تُحاصرُ اللغةُ

يَهْرَبُ البطلُ

نَذْبِحُ ألفَ حائِطٍ،

لكي نُؤَلِّفَ الجبلُ.

(٩)

حصانُ البحرِ ذو القرنينِ قادمٌ يبحثُ عن فرسٍ

أيتها العروسُ في مملكةِ العسسِ

(١٠)

الغزاةُ التي كانت على الصخرةِ

تُرضعُ السمكُ

تَسْقُطُ في الشركِ

(١١)

تسافرينَ في كتابِ الماءِ

سورةَ اقرأُ

ترجعينَ في كتابِ النارِ

سورةَ اكتبُ

تكتبينَ سورةَ المقاومةِ

والأرضِ قادمةً...

رسالة في زجاجة إلى جمال عبد الناصر

(١)

سقط شهيداً
كي يستبدل أحد الفقراء
رغيفاً بجريده
كي نكتب نحن الشعراء التعساء
قصيده...

(٢)

الاسم : وطن...
يمضي الزمن
ونحن نلقي زهرة على اسمه
وزهرة على الوطن...

(٣)

خبأت في أنية الزهور دمعتي
خبأتها في الماء...
فجاء بالشباك والصنارة
من فهم الإشارة...

(٤)

ووقف اللصوص كلهم في حضرة
الضريح...

ولم يصدقوا العين التي ترى...

فوضعوا على ضريحه اليدا

ولم يصدقوا اليدا...

فربما يصحو غدا

ووضعوا على ضريحه الإكليل...

وفي الزهورِ ستوا، آلة التسجيل

(٥)

السندباد عاد، بعد رحلة العذاب

والضئى

قد عاد في يديه العشب والحصى

هاجمه القراصنة

السندباد والقراصنة

والمركب الغريق في المياه الآسنة

(٦)

رمال سيناء لم تزل معبأه

في الزجاجات، وفوق رف المكتبة

صورتك المذهبة...

(٧)

وفتشوا عن كنزه طويلاً
وفتشوا الدولاب
وكسروا الأبواب
وفتشوا فوق ضريحه الغمامه
واقفة تنوح كالحمامه
وكنزه أيتها الملاعق السوداء...
كنزه هناك في سيناء

(٨)

نحن كما ترى
والبحر هائج كما ترى...
وخلفنا المطاردون مثلما ترى
نحن بلا عصى
موسى، ولا أسطورة
وسائلوا العصفوره
نحاول السير بلا معجزة على الطريق
بكل ما في قدم الإنسان من بريق...

(٩)

ومر عام...
تاج العذاب زاد جوهره...

(١٠)

ومرَّ عام...
ولم يزل للماء جلدهُ
للخبز لونهُ
وبدلت جلودها السلاحف العمياء
والحيتان
وخلعت جلودها الحيطان
وكان يا ما كان
وأه يا زمان...

(١١)

حملتُ مرةً إلى ضريحك الأزهار
ومرَّ نعش قادم من - الأغوار -
وكان وجهك القديم
لا زهرة عليه أو نوارُ

(١٢)

سوف تظل طافيه
يدفعها التيار...
سمك القرش يحوم حولها
وسوف يأتي فوق لوحه بحار
ينتشل الزجاجه
يَفُضُّ ختمها في الضفة الأخرى من
القناة
ويقرأ الرساله...

آخر القراصنة من العصفير...

(١)

أصبحتُ عاجزاً عن الكتابة

الآخرون كيف يكتبون

يجرّد العصفور من نيشانه،

ويكتبون:

(زور اشعار امرئ القيس،

ونشرة الطقس،

ويكتبون...)

تُصدرُ الورودُ من هوامشِ الكتبِ

ويكتبون: (قد أصابها

الجربُ)

ويُجلدُ التمثالُ في الميدانِ

— عارياً —

ويكتبون: (حاول الهرب؟)

أصبحتُ عاجزاً عن الكتابة...

تموتُ في المحبرة النحلة،

تكبرُ في المحبرة الذبابة...

أصبحتُ عاجزاً عن الكتابة...

قد سقطتُ أصابعي...

ألصقتُها بالصمغ...

لكنني سأدفعُ الثمن...

اكتحلي حبيبتني سأدفعُ الثمن...

ليسَ قصيدةً عن المقاومة...

ليسَ قصيدةً عن الوطن...

لم يبقَ في محفظة

النقود - غيرها -

خارطةُ الوطن.

اكتحلي حبيبتني وأسرعني

قد سقطتُ أصابعي...

وحطمتي الكاسين فوق المائدة

فسوفَ يبدأ الحصارُ تبدأ المطاردة

(٢)

أبحثُ عن مغارةٍ جديدة،

عن قافية...

غارُ حراءٍ أين؟

عنكبوتُ هذا العصر واشية

ثرثارة،

وهذه اليمامةُ البيضاء،

ذاتُ الطوقِ والخلخالِ زانيةُ

تبيعُ بيضَها وعشَّها،

لقاءً ملءِ حوصلةً...

ومن يلومُها اليمامةُ

المطوّقةُ...

زنتُ...

أجل زنتُ

ولكن فوق حبل مشنقةُ.

(٢)

كَرِهْتُ اسْمَ السنبلةِ

كَرِهْتُ اسْمَ القنبلةِ

كَرِهْتُ كُلَّ الكلماتِ السهلةِ

المرتجلةِ

كَرِهْتُ هجرةَ الأسماءِ والمرايا والصورِ

من حانطٍ لحانطٍ

وهجرةَ القصيدةِ...

من جريدةِ إلى جريدةِ...

كَرِهْتُ هجرةَ الطيورِ من مصيدةِ

إلى قفصٍ...

من قفصٍ لمصيدةِ...

كَرِهْتُ هجرةَ الأجراسِ

من كنيسة إلى كنيسة،
كرهت هجرة المسيح بين
كأسِ الخل والصليب،
في طريق الجلجلة...
أيتها الرمانة...
كرهت هجرة البطانة
من قصرِ ملكٍ لقصرِ ملكٍ
كرهت هجرة العنقود
من خمارة إلى خمارة

(٤)

أتعرفيني الآن بالصورة
والتهمة والاسم واللقب
حين الجميع انتسبوا،
رفضت أنتسب...
هذا أنا لا قاتل ولا مقتول
هذا أنا لا سائل ولا مسؤل...
ضدَّ الجرائد التي من المطاط
تكتب بالعصي والسياط

(٥)

اعترف في بفمك المحشو بالماء،
وانت في القاع،

بأنه الغرق...

اعترف في بأنه الغرق...

لو اعترفتَ ربما سنُنقذينَ،

شيئاً ما،

ربما سنُنقذينَ مركباً من الورق

(٦)

تنطفئُ النساءُ مرةً واحدةً

في المدفأة...

تصعدُ من تحتِ الرمادِ كفُ امرأةٍ

تُشعلُ النيرانَ في حبالِ المشنقةِ

يخرجُ حاجبُ السلطانِ،

يدعو الناسَ للجهازِ ضدَّ طفلٍ،

يكتبُ الأشعارَ فوقَ ساقِ زنبقةٍ...

مشنقةً وزنبقةً...

زنبقةً ومشنقةً...

(٧)

هذا أنا...

آخرُ متراسٍ هوى

وآخرُ الأسرى أنا

وآخرُ الجرحى أنا

وآخرُ القتلى أنا،

وآخرُ القراصنة...
لكنَّ بعديَ البحارُ لن تكونَ آمنه...
علّمتُ موجةً صغيرةً هناك
في أعالي البحرِ
أن تكونَ عاصيةً
لا تدفعُ الضريبة...
لحرسِ الشواطئِ
لحرسِ الموانئِ
للحرسِ القديمِ والجديدِ
للحرسِ الذي سوف يجيء...
...

الآن خذي جسدي كيساً

من مرمل

كان يكتب ثم يشطب...

(إلى كمال ناصر)

حينما جاؤوا إليه كان يكتبُ
ثم يشطبُ
كان في دمه يلعبُ...
كان ضدَّ البطل الملقوف بالأوراقِ
والجرح المُلعبُ...
كان يكتبُ...
ثم يشطبُ...
كان في دمه يسبحُ
لم يكن عنتره العبسي أو قيس بن الملوخ...
أجملُ الأكباش يُذبحُ
فمه برعمُ نارٍ،
أطلقوا عشر رصاصاتٍ عليه
والفم البرعمُ فتحُ...
حينما جاؤوا إليه كان يكتبُ
ثم يشطبُ.

من تُرى الآن سيكتبُ

ثم يشطبُ...؟

يا كمال...

أيها الطفلُ الذي كان كعصفورٍ متوجٍّ...

كنتَ شُبَّاكاً على وجه الشجرِ

ثم قد صرتَ حجرٌ...

يا كمال...

الفُ قرصانٍ تزوجُ

فمك الدامي المتوجُّ

نُطفة الثورِ في الجرحِ،

والأفُ القصائدُ...

مثل آلافِ الموائدُ...

مثل آلافِ الجرائدُ...

تولدُ - الآن - وليلى العامرية...

لم تزلُ تمشي على النهدينِ،

في هذي البلادِ العربيةِ

الهجرة رقم : ٤٠٥

سيعودونَ فما زالوا هنا .
أنتِ في قائمةِ القتلى، وفي قائمةِ القتلى أنا .
ما الذي تنتظرين؟
قد تركتُ البابَ مفتوحاً لهم
جسدي الأرضُ،
وهذا الوقتُ، وقتُ الحرثِ،
هذا وقتُ إلقاءِ البذورِ
ما الذي تنتظرين؟
نشرةِ الطقسِ؟؟ تركتُ البابَ
مفتوحاً لهمُ .
جسدي مشتتٌ أنهارٍ، وهذي ليلةُ الطوفانِ،
تساقطُ في نيسانٍ أمطارٌ غزيرة .
ما الذي تنتظرين؟
نشرةِ الأخبارِ؟ في منتصفِ
الليلِ الجرائدُ .
في انتظارِ الصفحةِ الأولى، وعمالُ المطابعِ .
في انتظارِ الصفحةِ الأولى، وحيطانُ الشوارعِ

في انتظارِ المصقاتِ.
إنَّ نجاراً، يدقُّ الآنَ مسماراً، لكي يجمعَ لوحينِ معاً
وضعوا المنشارَ في عُنقِ الشجرِ،
زادت الليلةُ أسعارَ الخشبِ،
شجرُ الأرزِ على الأكتافِ محمولٌ، وبابِ المشرحةِ
في انتظارِ السمكِ القادمِ من شطِّ العربِ.
قد تركتُ البابَ مفتوحاً لهمْ.
كم أحبُّ الثلجَ في الكأسِ، وكم أكرهُ ثلجَ المشرحةِ.

إنَّ نجاراً يدقُّ الآنَ مسماراً،
لكي يجمعَ كفينِ معاً.
انتِ من أعطيتني، في ذلك اليومِ، حذاءً ومسدس
أولاً تجمعنَا الآنَ رصاصهٗ؟؟
أولاً تجمعنَا الآنَ سحابهٗ؟؟
ما الذي تنتظرين؟
يصعدونَ الدرجَ الآنَ، دقيقةً
بقيت لي، أنا أعطيتها لك الآنَ، الدقيقةً.
مثلما أعطيتني في ذلك اليومِ، دقيقةً.
ما الذي تنتظرين؟
جَسدي مشتتٌ أنهار، ومنه
تقفزُ الآنَ، من الشباكِ، آلافُ الجداولِ

أصبح الرعبُ: بحيرة.
يلصقون الآن، آلاف الصور.
فوق حيطانِ الشوارع.
يقطعون الآن، آلاف الشجر.
وأنا أُلصقتُ وجهي بالسماء
أو يا لحمَ الفلسطينيّ، يا خبزَ الجرائد!
يصعدونَ الدرجَ الآن، تركتُ البابَ مفتوحاً لهم
دودةُ القزِّ أنا
وأنا خيطُ الحريرِ.
جسدي في ثقبِ إبرة.
يصعدونَ الدرجَ الآن. تركتُ البابَ مفتوحاً لكم
إن آلافَ الخيوطِ الآن، آلافَ الإبرِ
تصنعُ الآنَ قميصاً للشجرِ
ما الذي تنتظرين؟
إن آلافَ الجرائدِ،
تطلقُ الآنَ على رأسي الرصاصَ
وأنا الخبزُ الأولُ، جثته،
في الجريدة
وأنا آخرُ أخبارِ الجريدة
حينما أكتبُ ضدَّ الثلجِ والموتِ، قصيدةً...
وصلوا الآن، تركتُ البابَ مفتوحاً لهم.

ولكم؟

انا لصٌ وطني انا عاشقٌ.

اطلقوا، كل البنادق...

أو لو كنتم معي الآن،

لقاتلنا معا

ونسفناهم بشمعة...

برقية إلى نل الزعتر

تلّ الزعتر

صارَ جدارك للشعراء جريدة

والقنبلة بكفك، تنفجر قصيدة

وضفائر كل نساء الأرض

تتمنى أن تُصبحَ علماً لك

تلّ الزعتر

كلّ ينابيع وأشجارِ فلسطينِ دبابيسُ

بشعرِ نساك...

كلّ شرايينِ الجنرالاتِ الرُكع،

فوقَ خرائطهم

أربطةٌ لحدائك

والطائرُ والثمرةُ والسمكةُ،

وجميعُ دواوينِ الشعرِ

تحلمُ أن تُصبحَ الغاماً،

تحتَ تُرابك...

تلّ الزعتر

يا جرحاً يتسعُ ويصبحُ،

هذا الوطن الأكبر
غنيتُ طويلاً للدالية على جبلِ "الكرمل"
وكتبتُ كثيراً للزيتونة في جبلِ "القسطل"
وحملتكَ يا غزّه
أو على غزّه
كان العنقُ يذوبُ كشمعه
والأطفالُ وراءَ المتراسِ "بتلِ الزعترِ"
في "جسرِ الباشا" و "النبعة" ...
يخترعونَ لطفلٍ في "تلِ الزعترِ"،
وردهً ...

كانت كَفُ الوطنِ على الحائطِ ملصقُ
كان الوطنُ قَميصي،
فوقَ شراييني،
كان الوطنُ مُعلقٌ ...
البسهُ يلبسني
اكتبهُ يكتبني
أقتربُ فيقتلني
يقطعُ كَفِي الوطنُ ويرسلها للعالمِ برقيهُ ...

ويُعلقني فوقَ الحائطِ ملصقُ
فوقَ شراييني كان الوطنُ معلقٌ ...

والآن...

وذراعك ماسورة مدفع...

والنجمة تحلم أن تصبح،

فوق ذراعك شامة

الآن لكل حمامة

طارت من صدرك يا "تلّ الزعتر"

الآن لكل فراشه

قاتلت الفولاذ على جسر الباشا

الآن لتلك الشمعة

صارت إصبع بارود في النبعة

أنا أقطع كفي

أرسلها لك يا "تلّ الزعتر"،

برقية

أكتب جسدي... كي تقرأ جسديك

اكتبُ لكُ
انتَ الآتي بعدي
وانا الآتي بعدكُ
جَسَدِي فِي يَدِكَ كِتَابٌ،
وانا اكتبُ جسدي
كي تقرأ جَسَدَكَ
انتَ الصوتُ الآتي بعدي
وانا الصوتُ الآتي بعدكُ
اكتبُ لكُ
أثارُ جنازيرِ الدَّبَابَةِ،
فوقَ الورَقَةِ،
يعتقلونَ الآنُ
الهُ رُونِيو، برقياتِ القتلى،
شجرةَ رَمَانَ.
وعصافيرُ دمشقَ
تُعبىُّ بالرملِ حواصلها،
يا أولَ كيسٍ من رملٍ

يا أولَ متراسٍ.
أنا أعطي صوتي لك
أكتبُ لك
يا كرواناً في الشهرِ السادسِ،
في يدٍ - إيفا - ،
سقطَ وفي يدهِ،
للجرحى في تلّ الزعترِ،
شجرةُ قطنٍ.
يا كروانَ الماءِ
الآنَ جميعُ الشهداءِ
سفنٌ راسيةٌ في تلّ الزعترِ
أو فلسطينَ
الدم يركضُ من شجرِ الحبرِ،
إلى شجرِ الزيتونِ
حَذارِ فكلُّ الأوراقِ،
على شجرِ التينِ سكاكينُ.
اكتبُ لك.
والقنبلةُ الفارغةُ من البارودِ
محبرةٌ يسبحُ فيها الدودُ
انتحروا بزُجاجةِ حبرٍ.
وبَירותِ بعيْدانِ الكبريتِ المحترقةِ،

تكتبُ لشبابيكِ المدنِ رسالةً
الآن النافذةُ المكسورة،
تلدُ غزاله
تقتربُ من النافذةِ المكسورة
سمكةُ قرشٍ.
بيروتُ وحيدة.
والجرحُ وحيدٌ.
والشاعرُ يا بيروتُ وحيدٌ.
عطشانُ - أبو عمر - بعيدٌ.
وطيورُ النورسِ وفراشاتُ البحرِ،
تُفتِّشُ عنه،
وزوارقهمُ تسبحُ تحتَ المائدة،
وأيديهمُ تسبحُ فوقَ المائدة،
و - إيفا -،
تلدُ له في تلّ الزعترِ،
زورقٌ.
- إيفا -، الدمُ لن يغرقُ
أكتبُ لك
انت الآتي بعدي
وأنا الآتي بعدك
يا دَمنا الآتي،

من جرح الماء شواطئ.
يا دَمنا الذاهب،
في شباك الأرضِ موانئ.
من يكتبُ
لا يهربُ.
الدَّمُ لم يتعبُ
والدَّمُ لن يهربُ
وسابقى أكتبُ
الآن بتلُّ الزعترُ،
كيسٌ من رملٍ،
يتزوجُ شجره
أيتها الثورهُ
لك جسدُ الأرضِ

مجنون تل الزعتر

ما دلّني أحدُ.
عليه، كنتُ فوقَ التُّلِّ
ديوانُ شعرٍ فوقَ كيسِ رملٍ.
وقد رأيتُهُ،
مُرصَعاً بالنارِ والجذورِ طارُ
مُرصَعاً بالقمحِ والأحجارِ دارَ
دارُ.
واستقرُّ في مدارِهِ الجسدُ
التُّلُّ قد صَعَدَ
والتقى النهرانُ
الدمُ العريانُ والفمُ العريانُ
والدوريةُ التي مضتُ،
إلى نافورةِ النيرانِ
تعودُ يا سلمانُ
سلمانُ يا سلمانُ
شاهدٌ عليّ أنتَ، شاهدٌ أنا عليكِ.
شاهدٌ على يديّ شاهدٌ على يديكِ

والتلُّ شاهدٌ علينا
أنا الذي تعلمتُ يداي النطقَ من كتاب
طفلٍ،
مُعلِّقٍ على ذراعِ التلِّ
أنا الذي رأيتُ
وما رأيتُ
أنا الذي كتبتُ
وما كتبتُ.
سلمان من هربٍ
قد هربٍ.

والتلُّ فوقَ كلِّ هذه المرايا والقبودِ
كوكبٌ يدورُ.

شاهدٌ عليَّ يا سلمانُ
شاهدٌ عليَّ صالحُ .
شاهدٌ عليَّ أدهمُ .
شاهدٌ عليَّ الدمُ
شاهدٌ عليَّ كلَّ فمٍ
شاهدٌ عليَّ كلَّ اسمٍ لم أره
شاهدٌ عليَّ لم أركُ
يا صالحُ الذي أرى علي فمي فمكُ .
يا أدهمُ الذي أرى علي دمي دمكُ .

فِي التَّلِّ صَارَتْ بِنْرَ مَاءٍ،
كُلُّ بِنْدَقِيَّةٍ وَكُلُّ امْرَأَةٍ،
وَكَانَتْ الْأَنْهَارُ نَائِمَةً.
فَوْقَ فَخْزِ كُلِّ عَاصِمَةٍ
فِي التَّلِّ صَارَتْ بِنْرَ مَاءٍ،
كُلُّ امْرَأَةٍ.

أَوْ عَلَى خَيْطٍ مِنَ الْهَوَاءِ.
مِنْ دُخَانِ التَّلِّ،
فِي الرُّنَّةِ.

شَاهِدْ عَلَيَّ التَّلُّ وَالْيَدُ الَّتِي بَلَ لَغَةً
وَالشَّامُ شَاهِدَةٌ
أَيْتَاهَا الْقَصَائِدُ الْمَحَايِدَةُ

كَيْفَ يَشْطَبُونَ مِنْ سَمَائِهِمْ سَحَابَ التَّلِّ؟
كَيْفَ يَشْطَبُونَ مِنْ هَوَائِهِمْ دُخَانَ التَّلِّ؟
كَيْفَ يَشْطَبُونَ مِنْ عَيُونِهِمْ نِسَاءَ التَّلِّ؟
سَحَابَهُ لَنْ يَتْرَكَ السَّمَاءَ.

دُخَانَهُ لَنْ يَتْرَكَ الْهَوَاءَ.

التَّلُّ سَوْفَ يَبْقَى فِي عَيُونِهِمْ يَقِيمٌ،
حَتَّى يَنْفَجِرَ.

لَمْ تَنْفَجِرْ.

مِنَ الْمَحِيطِ لِلْخَلِيجِ، لَا يَدٌ وَلَا حَجْرٌ

أيها التُّلُّ العظيمُ هذي لحظةُ انتصارنا
فكلما تسافرُ السكَّينُ في رقابنا
تخرجُ الأشجارُ من أجسادنا
وتخرجُ النساءُ والأنهارُ من أحجارنا
وتسقطُ القصائدُ، الجرائدُ، العواصمُ، الخواتمُ المُجفِّفه
على كراسي الأرصفةِ
نحن ما قُتلنا
نحنُ قد زُرعنا

لم يدلّني أحدُ
عليه، كنتُ فوقَ التُّلِّ
ديوانَ شعرٍ فوقَ كيسِ رملٍ
وقد رأيتُهُ،
رأيتُ التُّلُّ
مُرصعاً بالنارِ والجذورِ طارُ
مُرصعاً بالقمحِ والأحجارِ دارُ
واستقرَّ في مدارِهِ الجسدُ
التُّلُّ قد صعدَ.
التُّلُّ قد صعدَ.
التُّلُّ قد صعدَ.

غزال صنين

الكورس:

استشهد الماء ولم يزل يقاتل الندى
استشهد الصوت ولم يزل يقاتل الصدى
وانت بين الماء والندى
وانت بين الصوت والصدى
فراشة تطير حتى آخر المدى.

يذهب للخندق

يترك دمه،

ويعود إلى الحائط ملصق.

يذهب للخندق

بالصدف وبالعشب مزوق

تنتظر الصورة في النافذة،

وتنتظر المطبعة الصورة،

قصوا الورق وعجنوا الألوان

الصورة في المطبعة الآن

غزال محمول من صنين،

إلى الحائطِ ملصقاً.

يذهبُ للخندقِ.

بالزلفِ والزنيقِ.

الكفُّ مزوّقةٌ والصدرُ مُزوّقٌ.

والاسمُ: أبو خالدٍ.

ذهبَ وفي يده لونٌ واحدٌ.

ذهبَ وفي فمِه صوتٌ واحدٌ.

فلماذا طبعوهُ بالألوانِ الآن؟؟

الآنَ.

أبو خالدٍ.

قتلوا شجرةَ ابنوسٍ في السودانِ.

الآنَ غزالٌ في بطنِ امرأةٍ

في تلِّ الزعترِ

شقٌّ بكفِّهِ البطنِ

وانكسرَ على قطرةِ ماءٍ

الآنَ

كفُّ جنوبيُّ صارتُ ورقةٌ تبعُ

تنادي عيدانَ الكبريتِ.

من دمه في فمِه فليتكلمْ

من دَمُهُ فِي فَمِهِ فَلْيَتَكَلَّمْ
صَارَ الشَّهْدَاءُ هُمُ الشُّعْرَاءُ
يَذْهَبُ لِلْمَاءِ .
غَزَالُ الْمَاءِ .
يَذْهَبُ يَذْهَبُ يَتْرِكُ يَدُهُ فَوْقَ الْمَاءِ
زَجَاجَةٌ
وَيَعُودُ إِلَى الْحَائِطِ مُلْصِقًا

يَذْهَبُ لِلخَنْدِقِ
هَآ هُمْ فَتَحُوا فِي الْأَرْضِ سَرِيرًا
وَالنَّجَارُ يَدُقُّ أَصَابِعَنَا ،
فِي الصَّنْدُوقِ مَسَامِيرًا
وَمَكْبَرُ صَوْتٍ يَنْتَظِرُ عَلَى الْعَرَبِ
خَرَجَ غَزَالٌ مَحْمُولٌ فَوْقَ الْخَشْبَةِ
صَفَارَةٌ عَرَبِيَّةٌ إِسْعَافُ
خَرَجَ الْمَجْدَافُ
مَحْمُولًا فَوْقَ الْأَكْتِافِ
نَزَلَ الْمَوْكِبُ .
انْطَلَقَ الْمَوْكِبُ .
كَانَ لَهُ لَوْنٌ وَاحِدٌ
كَانَ لَهُ صَوْتٌ وَاحِدٌ

فلماذا طبعوه بالألوانِ الآن؟

يذهبُ للخندقِ.

ضيفُ آخرِ يا بيتَ الشهداءِ

الشهداءِ الجددُ، على مائدةِ الشهداءِ القدماءِ

الملصقُ فوقَ الملصقِ،

فوقَ الملصقِ،

فوقَ الملصقِ،

لو أحرقتِ الصورةُ

سوفَ تصيرُ قديماً فوقَ الحائطِ

فالآنَ المطبعةُ تدورُ

وغزالُ آخرِ.

يمشي والألوانُ تغطيه،

إلى الحائطِ ملصقُ.

الكورس:

استشهدَ الماءُ ولم يزلْ يُقاتلُ الندى

استشهدَ الصوتُ ولم يزلْ يُقاتلُ الصدى

وانتَ بينَ الماءِ والندى

وانتَ بينَ الصوتِ والصدى

غزاةُ تطيرُ حتى آخرِ المدى.

بيروت أصبحت بعيدة...

"الشاعرُ السعيدُ" في المطار.

"القارئُ السعيدُ" في المطار.

والطريقُ للمطارِ آمنهُ

والطائره

لم تكنَ مواطنهُ

وليسَ كيسَ الرملِ وحدهُ...

هو البطلُ؟

وهذه بيروتُ

لا تحيا ولا تموتُ

بين جثتينِ تكتبُ الجريدهُ

وبين جثتينِ تطبعُ الجريدهُ

وبين جثتينِ تقرا الجريدهُ

– والشاعرُ السعيدُ – في انتظارِ الطائره

– والقارئُ السعيدُ – في انتظارِ الباخره

– وليسَ كيسُ الرملِ وحدهُ،

هو البطلُ؟

وهذه بيروتُ

وراء حائط تحيا،
وراء حائط تموت...

أيتها المدينة السحابة الرصاصية الرغيف
أيتها الزجاجية السفينة المكسورة التي تضاجع
البحارة القتلى على الرصيف...
ها أنت مثل الله،
في يديه السلسلة...
لا أنت سنبله...
لا أنت قنبله...

وبين كل جثتين أنت نقطة،
وبين كل جثتين أنت فاصلة...
وحائط الإعدام،
مثل حائط الإعلان،
تسقط الأمطار فوق المصقات،
اجمعي مياهك الملونة
ما زال فوق أمشاط البيانو،
- طائر السنونو - ...

- والشاعر السعيد - في المطار،
- القارئ السعيد -، في المطار
والطريق للمطار آمنه

والطائرة...

لم تكن مواطنة

- وليس كيس الرمل وحده،

هو البطل -

وهذه بيروت

لا تحيا ولا تموت

في المساء يكتب الجرحى الجريدة

وفي الصباح يقرأ القتلى الجريدة

والشاعر السعيد

القارئ السعيد في المطار

والمضيقة السعيدة السعيدة

توزع الأقلام والأوراق والجريدة

على ارتفاع ألف متر اكتبوا،

بيروت تبعد...

على ارتفاع ألف متر اقرأوا،

بيروت تبعد...

كتابة سعيدة...

قراءة سعيدة...

بيروت أصبحت بعيدة...

بيروت أصبحت بعيدة...

قصيدة إلى جدران بيروت

هُنا ...

متراسُنَا هُنَا

وهذه الطيورُ في سَمَائِكُمْ،

أطفَالِكُمْ، أطفَالُنَا ...

رفاقنَا:

نقسَمُ الرصاصَ في حواصلِ الطيورِ،

بينكم وبيننا ...

حبّاتِ قمحٍ

حبةٌ لكم، وحبّةٌ لنا ...

متراسُنَا هُنَا

نقصُ بالأصابعِ المنديلَ فوقَ جُرْحِنَا

قطعةً لجُرْحِكُمْ.

وقطعةً لجُرْحِنَا

أطفَالُنَا،

سيحملونَ كيسَ رملِكُمْ،

أطفَالِكُمْ،

سيحملونَ كيسَ رَمَلِنَا

رفاقنا:

شيريائكم على شيريائنا

جناحكم على جناحنا

وفوق كل حائط: شعارنا

هنا... هنا... هنا

متراسنا هنا

ولن يمروا من هنا

بيروت، إننا هنا

تعلمت أصابعي على جدرانك الكتابة

علمتُك الكتابة...

دَمي على أصابعي يسيلُ،

ضدَّ كلِّ من قد لَوَّنوا الوحولَ،

في عُروقهم،

وتوجَّوا المؤامرة...

ملكةً على السماسرة

نحنُ الدَّمُ الذي يَعْلَمُ القراءه

نحنُ الدَّمُ الذي يَعْلَمُ الكتابة

نحنُ السؤالُ والجوابُ والإعلانُ

والبلاغُ الأولُ

عن الذي سيقبلُ،

الإعصار مُقبلُ

الإعصار مُقبلُ

مُقبلُ

هُنا ... هُنا ... هُنا

متراسُنا هنا

ولن يمرَّ مِن هنا القراصنة

هنا ...

على جباهنا

نعلمُ الفقيرَ حرفَ الباءِ والألفِ

وأن كل هذه العجولِ الراكعة

للذبحِ،

من خزفٍ ...

وأن بينَ قرصِ الشمسِ والرغيفِ

قصيدةٌ،

مكتوبةٌ على الرصيفِ

وبندقيّةٍ، تعلمُ الأطفالُ

في مخيماتنا

هنا .. هنا .. هنا ..

وفوق كل حائطٍ شعارنا

رفاقنا:

شريانكم، على شرياننا

جناحكم، على جناحنا

جذوركم، على جذورنا

ملتفة، اغصانكم، على اغصاننا

وهذه الطيورُ في سماءكم

اطفالكم، اطفالنا

نقسّم الرصاصَ في حواصلِ الطيورِ،

بينكم، وبيننا ...

حبّات قمح،

حبة لكم، وحبّة لنا ...

بيروت إنّنا هنا

متراسنا هنا

والكهرباءُ في الشوارعُ

دماؤنا التي تسيلُ فوقَ هذه الجدرانِ،

فوقَ هذه الأصابعِ ...

وكل إصبع، قد صارَ في يدي

قلم

ضدّهم،

وكل قطرة من دم

صارت قطرةً من حبرٍ

ضدَّهم،

ضدَّ الذين لوّنوا الوحولَ،

فمِ عروقيهم،

وتوجّوا المؤامرةَ

مَلَكَةً، على السماسرةَ

ضدكم،

بإصبعي على الإسفلتِ،

ضدكم،

بإصبعي على الحيطانِ،

ضدكم،

هنا ... هنا ... هنا

متراسنا هنا

أطفالنا،

سيحملونَ، كيسَ رملكم،

أطفالكم

سيحملونَ كيسَ رملنا

ولن يمرَّ من هنا، القراصنةُ

غزلان تركض نحو الشمس

(١)

فنجانُ القهوةِ ساخنُ
والقَتْلَةُ يصحُّونَ على الحبرِ الساخنِ،
والورقِ الساخنِ
"ها ارتسُ"، "الأهرامُ"، "العملُ"،
ثلاثُ جرائدُ...
تكتبُ بلغاتٍ ثلاثٍ رصاصاتُ...
وثلاثةُ أطفالٍ، كانوا يمشونَ،
جرائدُهُم في أيديهم،
كانت بيروتُ بأيديهم،
تنفجرُ ثلاثُ سنابلٍ،
وثلاثُ قصائدُ...
للآلاتِ الكاتبةِ، وللأيدي المكتوبةِ،
صوتٌ واحدٌ...
"ها ارتسُ"، "الأهرامُ"، "العملُ"،
ثلاثُ جرائدُ...
تُطبعُ بلغاتٍ ثلاثٍ بنادقُ...

(٢)

من قنّاصٍ في القاهرة،
إلى قنّاصٍ في بيروت.
السابعة مساءً، تسقطُ بيروت...
امرأةٌ تذبجُ بالمشط،
وتبتلعُ المرأةُ أصابعها،
غزلانٌ تركضُ نحو الشمسِ،
الشبّاكُ يخبئُ فمه،
الماءُ يخبئُ دمه،
اللهُ،

الراديو،

الكرسيُّ،

الكَاسُ،

الباخرةُ،

الطائرةُ،

البنكُ حقيبتُهُ في يده،

الإسمنتُ،

هنا القاهرةُ،

هنا بيروت...
وحرانقُ في ورقِ الموز...
شجرةُ مطاطٍ، تعطي رقمَ التليفونِ.

إلى شجرة أرز...
من قنّاصٍ في بيروت،
إلى قنّاصٍ في القاهرة،
العاشرة صباحاً، تسقطُ بيروتُ
السّمكةُ تخبزُ فوقَ الموجِ الصّدفِ،
وتُطعمُ أطفالَ الحمالين،
بمرفأ بيروت...
لم تسقطُ بيروتُ...
الخامسة مساءً، تسقطُ بيروتُ
الرابعة،
الثالثة،
الثانية،
الواحدة،
وما زالت بيروتُ
تلدُ رغيماً من يدها،
وزجاجةَ حبرٍ، وجريدةَ حائطٍ...
(٣)

الآن تعالوا،
من كل خطوط الطولِ،
ومن كل خطوط العرضِ...
الآن تعالوا،

من كل جهات الأرض...
من تل الزعتر، من سن الفيل،
من النبعة والدكوانة...
من قرن الشباك، من الشياح،
ومن عين الرمانة...
الآن تعالوا، وبلا أسماء...
هذي هي روزا،
هذا هو يونس
لا أسلاك شائكة، تفصل بينهما،
لا كيس من رمل...
لا خط للطول،
ولا خط للعرض...
هذي هي روزا،
هذا هو يونس
هو ذا خيط الدم
يصل الفم بالفم...

دائرة الطباشير الفلسطينية

للشعراء.

لونُ الشعرِ، وللشهداء.

لونُ فراشِ البحرِ،

وللعشاقِ الباكينَ على قطرةِ ماءٍ

لونُ طيورِ الماءِ،

وللقنَّلةِ لونُ الخوذاتِ البيضاءِ،

ولونُ الأحذيةِ البيضاءِ،

ولونُ الدباباتِ البيضاءِ،

يا - أمَّ عليٍّ -

يا أمَّ ثلاثةِ شهداءِ.

ماذا تفعلُ شجرةُ وردٍ حمراءُ

في زمنِ الجدرانِ البيضاءِ؟

يا - أمَّ عليٍّ -،

ما زالَ على الحائطِ حجرٌ

تكتبهُ شجرةُ وردٍ حمراءُ.

أيتها العذراءُ.

كلُّ القَوَادِينِ اجتمعوا،
فوقَ سريرِ فراشةِ ماءٍ.
كلُّ القَوَادِينِ اجتمعوا،
فوقَ قبورِ الشهداءِ
يا زمنَ القَوَادِينِ،
حيثُ يُجرُّ المتراسُ ويُلقى،
كالتمثالِ المكسورِ،
وينوحُ عليه العصفورُ،
يا زمنَ القَوَادِينِ.
أصفرُ... أصفرُ... لونُ السنبلَةِ،
رماديُّ لونُ الطاحونِ
وأبيضُ... أبيضُ... أبيضُ،
لونُ السكّينِ.

يا أمَّ عليٍّ والمتراسُ الشباكِ الرابعُ
في صدركِ،
سأشقُّ الصدرَ، أخبئُ كيسَ الرملِ،
فلوركا،
قتلوه منذُ سنينِ
قرأ كتاباً فأحبُّ،
وحينَ رأى عينيها،

كتبَ كتابين.

يا زمنَ القوادين.

ماتَ يدافعُ عن وجهِ امرأةٍ

بوشكين.

طفلٌ يكتبُ فوقَ جدارِ

طفلٌ نبتتُ بينَ أصابعهِ النارُ

ايتها الخوذاتُ البيضاءُ حذارُ

من طفلٍ نبتتُ بينَ أصابعهِ النارُ...

من طفلٍ يكتبُ فوقَ جدارِ

يكتبُ بعضَ الأحجارِ،

وبعضَ الأشجارِ

وبعضَ الأشعارِ.

الكرملُ سافرَ

والقسطلُ سافرَ

يا عبدَ القادرِ يا عبدَ القادرِ.

يسقطُ آلافُ الشهداءِ

لكي يكتبَ حجرٌ أو طائرٌ

إنَّ الأرضَ هي الضيفُ،

على مائدةِ الشاعرِ.

يا - أم عليّ -

لو تبقى فوقَ الجدرانِ البيضاء.

لو تبقى فوقَ الأرصفةِ

قصيدةُ ماء.

لو تبقى أسماءُ ثلاثة شهداء.

فوقَ الحائطِ،

لا بدَّ وأن تنسفَ كلَ الأسماءِ،

فوقَ سريرِ جميعِ الأنظمةِ البيضاء.

الغنازير تهاجم... والعصافير تقاوم...

ما الذي يكتبه الشاعرُ في الأرضِ الخرابِ

أو يا عصرَ الكلابِ

كلما تحبُّ كفي بمناديلِ الترابِ

الجواسيسُ الكبارُ

سَلْموني للجواسيسِ الصغارِ

يا دمي المفتوحَ كالشباكِ في كلِّ جدارِ

أيها الكيسُ من الرملِ حذارِ

المتاريس التي احببتِ،

صارت ملصقات.

أبعدي عن وجهي الشمعةَ

ذابَ الشمعُ غطاني

وما غطى فمي

أبعدي عن وجهي الموجةَ،

ذابَ الموجُ غطاني

وما غطى دمي

أو اعطيني قطرةَ حبرٍ واركبني

للسكاكين التي تعرفُ عنوانَ عيوني

أه أعطيني قطرة حبرٍ واقتليني
جَبيني أيها المركبُ ميناؤك قد كان وما زال...

أيها المركبُ فوقَ الجفنِ واقفُ
أنا ما خَبأتُ كفي بين أوراقِ كتابُ
أنا لم أَدفنُ شهيداً في السحابُ
وأنا الشاعرُ... ديواني الترابُ

أه لو كنتمُ معي
كانت الزهرةُ شَقَّتْ أضلعي
وكبرنا في المتاريسِ،

وصيرنا شمعدانَ السنبلِ
وغدونا المرحلةَ

إنني أعرفُ جدرانَ العواصمِ
أيها العصفورُ في الإصبعِ،

يا آخرَ خاتمِ

الخنازيرُ تهاجمُ

والعصافيرُ تقاومُ.

اتبعيني يا قبورَ الشهداءِ

اتبعيني يا قوافي الشعراءِ

اتبعيني كالطوابعِ

اتبعيني كالمطابعِ

اتبعيني لم ازل احفرُ في كفي الخنادقُ

إنَّ آلافَ الحرائقُ

سوف تبني الشمعدانُ

وسياتي حاملاً وجهي على كفيه،

طفلٌ من بلادي

انظري وجهَ بلادي

إنَّ كفي صارَ قلبي

وأنا قلبُ الجدارِ

والجواسيسُ الكبارُ

سَلْموني للجواسيسِ الصغارُ

كلما اوشكتِ الكفَّ بأن تُصبحَ منديلَ ترابِ

الجواسيسُ الذئابُ

سَلْموني للجواسيسِ الكلابُ

ما الذي تفعلهُ الأرضُ

إذا غابَ المغنيُّ؟

يذهبُ العصفورُ من غصنٍ لغصنٍ

تاركاً عوداً من القشِّ وتبقى الكلماتُ

أه يا عصرَ المتاريسِ

وعصرَ الملصقاتِ

أيها الآتي من الشمعة،
ذاب الشمع لم يُغلق فمي .
أيها الآتي من الموجة،
ذاب الموج لم يُغلق دمي
جسدي أصبح شمعة
صارت النجمة فوق الخردمعة
حجرٌ يحبلُ يُعطيني جدارُ
أيها الدار... ولا دار،
سوى النافذة الحبلَى بمتراسٍ جديدُ
وأنا الجرحُ الوحيدُ،
أو اعطيني قافية القتلى،
بآلاف القصائدُ
وخذي كلَّ الجرائدُ
الجواسيسُ يبيعونَ حذاءَ المرحلةُ
من تُرى يمشي ويستقبلُ وجهَ المقصلةُ
من تُرى يرفعُ أمواجَ البحارِ المقبلة؟

سنون نجمة على فمي

الثلجُ غَطَى كُلَّ شَيْءٍ...
الليلُ في قصرِ الشتاءِ غَطَى كُلَّ ضَوْءِ
"كيرنسكي" يصرخُ في القبعة
الرغيفُ البولشفيُّ فوقَه توقيعُ "لينين"،
مرصعٌ بالحبرِ
خارجٌ من مطبَعَةٍ.
وبتروغراد واقفَةٌ
في يدها سيفُ الشتاءِ
الليلُ أبيضُ
القمحُ أبيضُ
الذنبُ أبيضُ
الثورةُ لا تلعبُ بالألوانِ
والحزبُ لا يلعبُ بالمكانِ والزمانِ
والذئابُ في قصرِ الشتاءِ خانفةُ
ورجلٌ في العاصفةِ
مدججٌ بالقمحِ مثل سنبلةِ
على كتفيه طيورُ البَجَعِ المقاتلةِ

إلى الأمام يا بنادق البلاشفة
إلى الأمام يا بنادق البلاشفة
مايا كوفسكي،
يا رفيقي في السلاح والقصيدة
يجيء الآن ألف انتهازي مُزركش
وألف كذاب مرقع،
وألف راسبوتين
أين كانوا
حينما كان الشيوعي اسمه الشهيد
والشيوعية اسمها الشهيدة
نحن من حملنا في زمان القحط والجراد
في ليالي الارتداد
في جهنم الزنزانة القديمة الجديدة
بطاقة الثورة والحزب والقصيدة
تُكرِّنا العواصم
تخوننا الخواتم
إلى مساوم،
بيبعنا مساوم.
وأنت يا حبيبة الثورات
يا عاصمة الحياة
يا مقبرة الغزاة

يا موسكو
تبقين شامةً على ذراع القدس
والدبكة التي يرقصها الفلاح في نابلس
والمنشور في ضلوع الحزب
في غزة التي على متراسها يصلي الرب
لينين...

باسمك القي الآن قفازي
واختار شاهدي
واستل سيفي
وفي الساحة الحمراء،
حيث ستون نجمة على فمي
أصبح هذا دمي
يا قيصر الشتاء
لا خطوة إلى الورا
لا خطوة إلى الورا

تفاجئني الأرضُ، إن الشجرُ
يخبئ أسلحةً، والقمرُ
يقومُ بطبع المناشيرِ،
يا نجمةً في الجليلِ،
ويا تينةً في الخليلِ،
تخبئ باجس بين الفروعِ،
تخبئ مطبعةً في ضلوعي،
ويا شجرَ السرو في القدسِ
تمشي المناشيرُ،
تمشي العصافيرُ،
تمشي الشوارعُ،
تمشي المطابعُ،
تمشي النوافذ فوق جفوني،
حروفاً جديدةً،
وبيني وبين أريحا قصيدة...
ونابلس تطبعُ كفي جديدة...

تفاجئني الأرضُ، إنَّ الحجاره
تقاتلُ والأنظمه
بنادقها ملجمه...
تفاجئني الأرضُ،
إنَّ اكفَّ الصبايا
مرايا

وكفَّ الشهيد، بحجم السماء

تفاجئني الأرضُ،
يا وردةً في كتاب
سلام التراب،
معلمة الأنبياء القراءه
معلمة الأنبياء الكتابه
سلام التراب، سلام السحابه
تمرّ طيورُ الليالي
ويبقى فراش الدوالي
ولا يضرّم النار في الذاكره
وتبقى المتاريسُ في الناصره...

تفاجئني الأرضُ
هذي اصابعُ كفي
أقلام مدرسة في رفع

والوانُ طفلٍ، على شطِّ غَزَّةَ،
يرسم عكا،

ويرسم في كفه الكرمل
ويرسمُ في كفيّ القسطل
ويعلنُ إضرابه الأوَّلاً...

تفاجئني الأرضُ،

هذي أصابع كفيّ

فرشاة طفل بعمان،

يشطبُ وجه الملك...

ويرسمُ وجه فلسطيننا المقبلة

تفاجئني الأرضُ،

هذي أصابع كفيّ

أقلامُ مدرسةٍ في الجنوب،

وأقلامُ مدرسةٍ في الجبل...

ولبنانُ يكتبُ،

لبنانُ يرسم،

لبنانُ في يده السنبله

ولبنانُ في يده القنبلة

ولبنانُ يطحنُ قمحاً جديداً...

ولبنانُ يعجنُ خبزاً جديداً...

ولبنانُ يطعمُ أريحا قصيده...

ونابلس تطبع كفيّ جريده...

تفاجئني الأرضُ،
طفلٌ على كفِّ غرَّةٍ
يرسمُ أرزهُ...

ويا شجر السروِ في القدسِ،
تمشي العصافيرُ فوقَ الغصونِ،
وتعلنُ إضرابها الأوَّلا
وتمشي المناشيرُ فوقَ الجفونِ،
وتعلنُ إضرابها الأوَّلا
وأمشي...

أحملُ كُتبي و أمشي،
أحملُ أقلامَ طفلي و أمشي،
أحملُ صورةَ أمي و أمشي،
أحملُ صورةَ بيتي و أمشي
وأمشي...

وأمشي...
وأمشي...

وأمشي...
واتلو بلاغَ الشجرة...
واتلو بلاغَ الحجر...
واتلو بلاغَ القمر...
واتلو بلاغَ المتاريسِ،
في كلِّ شارعٍ...

نفرتي

يصعدُ الآنُ حصانُ البحرِ حاملاً في جناحه
خوذةَ جنديّ

يلقي بها على الشط تصيرُ زورقاً

الهرمُ الأكبرُ ليس فندقاً

وأبو الهول لا يذيع نشرَةَ الطقسِ والأخبارِ

ليس شاعراً مرتزقاً

والنيلُ طالبٌ في الجامعة

وجسدي مطبوعٌ

وأنا ساعةُ الحائطِ صرْتُ طائراً

يلقي المناشيرَ على القاهرة

نفرتي عضوٌ في حزبها الشيوعي

فسافري في ضلوعي

وعودي بقلب مصرَ ياسمينه

عرَّشَتُ على سفينه

أنا الشجرُ القادمُ من شواطئ المحرقة

أنا المطرُ القادمُ من موانئ المشنقة

أنا المجدافُ صرتُ ورَقَه

وجسدي مطبَعَه

فكوني معي الآنَ أو كوني معَه

يا طائرَ السنونو

تكونُ أو لا تكونُ

يصعدُ الآنَ طائرُ النورسِ

من زهرة اللوتسِ

يحملُ في منقاره خواتما

يلقي بها على مراكب المقاومة

عمالُ حلوانَ وبحارةُ بور سعيد

والغزاةُ التي على الشاطئ ترضعُ الإسكندرية

وعرائسُ النيل في المراكب السرية

يصنعن القنابلَ اليدوية

يصعدُ الآنَ من ضريحه الناصريُّ

والنيلُ يصيرُ بندقيه

وكل شباكٍ يصيرُ منشوراً

وقلبُ مصرَ ساعةً حائطُ الزمنِ

عقرباها ذراعان يضمنان الوطنَ

يخرجُ الآنَ من أنية الزهور

من حواصل الطيورِ

من مدرسة القبورِ

جنودُ مصرَ

أيها المظليونَ

هذا قصرُ عابدينُ

يلتفُّ حوله النيلُ

فاهبطوا مراكبا

شجرُ القطنِ متاريسُ والجرحى مرايا

ووجهي يصعدُ الكواكبا

مسافرٌ ونفرتيتي في دمي مسافرةُ

أنا الآن في شوارع القاهرةُ

هذا الشارع الذي يصل فيه الذئبُ

ليس شارعي

هذا الشارع الذي يبيع أصابع الأطفالِ

عيدان ثقابِ

ليس شارعي

هذا الشارع الذي يبيع الصحفَ التي تكتبها الشرطةُ

بالعصي والأسنانِ

ليس شارعي

هذا الشارع الذي يبيع في خان الخليليّ

قلبَ مصرَ خلخالاً من النحاسِ

ليس شارعي

هذا الشارع الذي يبيع عنقوداً
من الدموع اضلعي
ليس شارعي
يا مصرُ أنا يوسف الفلسطيني في البئر
وانتِ في البئرِ نخلتي
وانتِ نافورتِي
جدُّلُثها حبلاً
أيها النيل الذي يطفو على وجهي سيفاً
أه ما أبعدَ حيفاً
أه ما أقربَ حيفاً
اعطني كفك مرأةً
أرى البرقَ على جرحي تجمدُ
وأرى البرقَ على صوتي تجمدُ
وأرى البرقَ على اسمي تجمدُ
ثم أصدعُ
ثم أصدعُ
إنني كليمُ مصرَ فوقَ صخرةِ المقاومة
فنادني باسمي الذي ينتظرُ المحاكمةَ
والنيلُ طولَ العمرِ يجري فوقَ ظهره الأهرامُ
والملوكُ والنبيّ والإلهُ
والنيلُ يجري لا يقولُ أهْ

والنيلُ قال ليست هذه جرائدي
وجرائدُ الحيطانُ
وزهرةُ اللوتسِ
التي ترضعُ طائرَ النورسِ
والعصفور
وشجرُ الكافورِ
وَألف قريةٍ سريةٍ
وَألف خليةٍ
وكلَّ مجدافٍ وخاتمٍ وصيدليةٍ
وورقُ البرديِّ في انتظار قصيدةٍ مصريةٍ
تكتبها بندقيّة

الأمير الفلسطيني

- إلى علي حسن سلامة -

أه يا حبيبي .
شَمعدانٌ يرتدي قميصه البنفسجيُّ
يلفُّ نافورةً حولَ عنقه،
ويَمضي في تمام الساعةِ الرابعة.
كانتِ الشبايبُ تُرتدي الأقنعة.
لم تكنْ أصابعُ كفيهِ
ينابيعَ،
كما كان في الساعةِ الرابعة.
لم يكنْ - ابن أبيه -

قطار منشورات منتصف الليل...

هذه خمارة - صاحب الزنج -

وهذي يده،

على بابها معلقة

من أين جئت أيها العصفور

بقلم وورقه؟

الشبابيك مغلقة

وكأس - صاحب الزنج - تضربها الريح،

- تدق -

يا ساعة - حائط العصافير -

من علم المسافرين - في قطار منشورات منتصف الليل -

أن يُوجروا نوافذ القطار،

للعصافير،

والجيار الهاربة

كيف يقتل صاحب - في قصيدة الدخان -

صاحبه؟...

كان صاحبي.

وكان يمشي في حقائبي...
وكنت أمشي في حقائبه...
كيف يَمْسَحُ - صاحبٌ - عَنْ حَاجِبِ عَيْنِهِ،
اسمَ صاحِبِهِ...
كيف يَذْبَحُ صاحبٌ - في حَانَةِ صاحبِ الزنجِ -
كَاسَ صاحِبِهِ
أو - يا سَاعَةَ حَانِطِ العِصَافِيرِ -
امرأةً ونهرًا على السريرِ،
والأصدقاء الذين جَرُّوا العَرَبَةَ
سقطوا في المحطاتِ،
والمسافرُ الأخيرُ، باعَ العَرَبَةَ...
وانتَ وحدكَ الآنَ،
في المطرِ
ضاعَ صاحِبِي،
ضاع طوقِي الأبيضُ في المطرِ.
من أينَ جئتَ أيُّها العِصفورُ
بجوازِ السفرِ؟
تَرَكَتُهُ - بينَ قصيدتينِ -
كانَ على حَاجِبِ عَيْنِهِ
- اسمي -
واسمُهُ كَتَبْتُهُ على وَتَرِ

كلما يسطع النسيم فيه،
يسقط المطر.

أه أيها الطفل الذي رمى حجر.

ها هو الآن يصل القمر

لنقسم الآن على عجلات القطار

على رأس غزالة النار

انت تطلق الرصاص أولاً ثم تنتحر...

كل هذه العصافير من الرمل

عن نوافذ القطار

- ترثد -

فهل أقول الوداع يا - طشقند -

والقطار - وتيمورلنك -

- ولودا - تطعم الفيل برتقالة،

- ويفتوشنكو - يلقي قصيدة - الطبل -

أه يا - لودا -

- وماشا - زيتونة صبية،

وصاحبي طائر قديم

- ريتا - تعود الآن - من مانيلاً...

كان صاحبي يرتدي - رسائل ريتا -

جريدة، ويمضي...

شَبَّتِ النَّارُ فِي النَّسِيمِ

- جانا - تكسرُ الآنَ رمانةُ

وتبكي على الكأسِ التي لن تُجِيءُ...

تنطفئُ الآنَ - جانا -

- وأما آتا - تُضيءُ.

لماذا تذهبُ الآنَ بعيداً...،

ها هو الغزالُ يرعى حشائشَ المرايا،

وها هو النحلُ يصعدُ الآنَ من قلبِ صاحبي الزنجي

هذه خمارةُ - صاحبِ الزنج -

وهذا مجدافُهُ على بابها مُعلَّقُ

كيف تبيعُ زورقاً

أيها الخندقُ...؟

مَنْ يصرخُ الآنَ في الدخانِ

هذا حصاني

وهذا شمعداني

وهذا قطارُ منشوراتِ منتصفِ الليلِ والمسافرونَ،

يؤجرونَ شايبكَ القطارِ،

للعصافيرِ والجيادِ الهاربةِ.

كيف يقتلُ الصاحبُ في قصيدةِ الدخانِ

صاحبةُ

قبل أن تذهب النخلة بأصابع الطباشير إلى المدرسة

في أول الفجر

قبل أن يذهب الرغيفُ إلى النار

وقبل أن ينسكب الحليبُ من فم القطارِ

وجريدة الصباح توقظ ساعة الجدارِ

والتمثالُ يقضم وردةً بأسنانه المعدنية

في أولِ الفجرِ قبل أن تراجع العصافيرُ

برنامج يومها المدرسيّ

قبل أن تكتب الفراشات لوناً جديداً

في كراسة النارِ

في أول الفجر قبل أن يذهب شجرُ الورد بمراييله الحمراء

قبل أن تذهب الأسماكُ وافواهُها مليئة بالدبابيسِ

قبل أن يذهب النخلُ بأصابع الطباشير إلى المدرسه

في أول الفجر استيقظ الرماةُ

كانت لأجسادهم رائحة الجراد

بالوا في خوذاتهم

وبصقوا على المرايا المسوّسة

تناولوا من حبل الغسيل - إصبع طفل -
جفّ في الهواء ودخنوه
شربوا الشاي الذي جاء من الصين
وضعوا في خوذة قبضة من الأسنان والعيون
تناولوا من تحت السرير كتباً وأشعلوا النار
حفظوا أسماءهم عن ظهر قلب نظروا إلى البنادق
كان بعضُ النساء المتشحات بسعف النخل
يدرّن حول الرماة في دائرة من الحرائق
كان البخار يأتي من الخوذة
كان للبخار رائحة الكستناء
تختفي فيه النساء المتشحات بالماء
ينظرن للرماة.
كان الرماة يغطون بالملابس العسكرية
وجه نخلة وينكحونها.
كانت الجرائد في أول الفجر تبيع للرماة
أعضائها التناسلية
كان للغيوم رائحة - الكمون -
وكان للموت رائحة الليمون
يقرع ديكٌ فوق مكنسة
جرس المدرسة

يخرجون الآن من زنازينهم
عيونهم معصوبةً بسعف النخل.
أيديهمو مشدودةٌ وراء ظهورهم
بمناديل أمهاتهم.

وجوههم تملأها البراعمُ
ساعي البريد يمضي يوزع الخواتمُ

النساءُ المتشحات بالدخان
فوق رؤوسهنَّ جرارُ الزيت
يدرن بالكعك والبيضِ

حول الذين خرجوا من زنازينهم،
ينثرن سكرًا على الذين خرجوا من زنازينهم
والجراندُ التي في فمها الورقُ
واتحاداتُ الكتابِ
وقبائلُ الذبابِ

والشعراءُ الذين يغسلون ويكونون الملابس العسكرية
يفتحون الآن صيدليةً

نخلةً تذهبُ الآن بإصبع الطباشيرِ إلى المدرسة
كلَّ ما تعلموه كان رسمَ
خرائطِ حائطِ الإعدامِ في كلية الهندسة

الآن يصطفون تحت حائط الإعدام
والرماة يصطفون
لا شيء يعكّر الآن صفو الماء
لا شيء يعكّر الآن
صمت الهواء
الرغيف يخرج الآن من النار
والحليب ينسكب الآن من فم القطار
وساعة الحائط تجلس الآن على الكرسي
تشرب قهوة الصباح
لا شيء يعكّر الآن صفو جرائد الصباح
مقاول حائط الإعدام
يحصي الذين انكسرت رؤوسهم على أكتافهم
بكفه المعدنية
يلفهم بالبطاطين التي قد خرجت - طازجة -
من المخابز العسكرية

سورة يوسف سلمان

دخلتُ زنزانةً يوسفَ سلمانَ

كانتُ إلى جواره

غزالةً حبلى وضعتُ رأسها

على ركبته

كان يوسف سلمانُ

قد شقَ فلذةً من قميصه

يبلىها في بقيةٍ من رذاذ البرق

في كفه

ويمسح وجهَ الغزالة

قلتُ: السلامُ على النبيّ والرسالة

وانحنيتُ وقبّلتُ بطنها

ورسمتُ على البطنِ شامةً

رأيتُ سفينةً ترسو على سُرّتها

رأيتُ رفاقي البحارةَ القدامى

صاح يوسفُ سلمانُ:

هذه هي العلامة

ناولني يوسفُ سلمانُ رغيفاً،

كان الرغيفُ ملفوفاً بالحبالِ
كان على الرغيفِ توقيعِ يوسفِ سلمانَ
قال هذا هو الرغيفُ الأخيرُ
تاجُ هذه الغزالةُ
وكسرَ الرغيفَ قمراً
أعطى نصفهُ لي
وأعطى نصفهُ الآخرَ للغزالةِ
قال امضِ معها
وبلّغا الرسالة
فراشةٌ تُحلّقُ الآنَ بعيداً في الفضاءِ
وتختفي في سحابه
يا شجر الكيلوبتسِ العالِي
في أديس أبابا
إوزةٌ من العراقِ حطتْ فوق رأسي
وملأتْ بالحبرِ كأسِي
وشقّتْ الحوصله
أخرجتْ رمانةً كسرتها بجناحها
انتثرتْ أسماء رفاقي
أه أيتها السنبلَةُ الحُبلى بالعصافيرِ
أيتها السنبله
تفوحُ رائحةُ الزنبقِ البريِّ

من المقصلة
أيتها الإوزة العراقية
رأيت في بغداد مليكة الفلسطينية
وسهرتُ في البصرة
كنت ضيفاً يوسفَ سلمان
قال نذهب الآن إلى سفينة تنزلُ الماءَ
للمرة الأولى
كانت السفينةُ التي دعاني إليها:
مطبعة
أيتها البجعة
ضعي بيضك الآن في هذه المطبعة

يوسفُ سلمانُ في البئرِ
يوسفُ الجميلُ
يوسفُ الذي يشقّ قمصانهُ
على يديه النخيلُ
لمن كلُّ هذه النخلاتِ
على شطّ دجلة الآن تميلُ
يوسفُ في البئرِ
وأنا على حافةِ البئرِ
والغزاةُ

تلدُ الآن على حافة البئرِ

برتقالة

هل قرأتَ كلَّ ما هو مكتوبٌ؟

قرأتُ

هل رأيتَ كلَّ ما هو مرسومٌ؟

رأيتُ

هل جاءك الصوتُ؟

جاءني الصوتُ

الصمتُ

الصمتُ

الصمتُ

صرختُ

رأيتُ

في ساحة السجن حراس الزنازين

يطعمون الكلابَ لُقماً من الذهبِ

فتركضُ الجرائدُ الخشبُ

يصرخُ الآن شجر البُنِّ في عدنِ

جريدة حائط الإوزِ العراقي

من يكتبها الآن من؟

الحصانُ المرسومُ في الهواءِ
يصلُ الآنَ للماءِ
هل تذهبُ الآنَ
يا يوسفُ سلمانُ
كان يوسفُ سلمانُ
كالسفينة التي تشمُّ البحرَ
للمرة الأولى
سأذهبُ الآنَ
كلَّ واحدٍ يذهبُ الآنَ
في انتظاري نخلةً
يجرها سمكُ القرشِ
أذهبُ الآنَ
نظرتُ
كانت الزنارين تمتدَّ
كانتُها إلى آخر الأرضِ تمتدَّ
صرختُ
هل كل هذه البيوتِ
يا يوسف سلمانُ لنا؟
كان سعفُ النخلِ
يلتفُّ على صوتهِ
كان سمكُ القرشِ يجر نخلةً

إلى ساحة السجنِ
كان حراس الزنازينِ
يطعمون الكلابَ مفاتيحَ الزنازينِ
ولقماً من الذهبِ
فتركضُ الجرائدُ الخشبُ

إوزةٌ من العراقِ حطتْ فوق رأسي
وملاتْ بالحبرِ كأسِي
ضعي على رأسك الرغيفَ
تاجَ يوسفَ سلمانَ
ولنمضي

أيتها الغزاةُ
يدُ يوسفَ سلمانَ
تطفو على النهرِ رغيفاً وصولجاناً
من يوقَع الآنَ على رغيفِ
يوسفَ سلمانَ منْ

لمنْ؟

لمنْ؟

لمنْ؟

سوف نمضي نبلغُ الرسالة؟

أيتها الغزاةُ

فهرس الكتاب

- * الإهداء ٥
- هذه المجموعة الشعرية الكاملة ٧
- * المسافر ٢٧
- نافذة الكهف ٢٩
- لمعة ٣١
- الجبل الزاني ٣٢
- النمل ٣٣
- الميلاد ٣٤
- الديك ٣٦
- المسافر ٣٧
- * المعركة ٣٩
- المعركة ٤١
- المدينة المحاصرة ٤٢
- السيول ٤٤
- تحدي ٤٥
- دقت الساعة ٤٧
- صليل الحبال ٥٠
- المهاجرون ٥٢
- حطام القيود ٥٤
- تاريخ ٥٦
- جنازة الجلاد ٥٨
- * حينما تمطر الأحجار ٥٩
- ارفعوا الأيدي عن أرض القناة ٦١
- السجن الكبير ٧٣
- الصوت ما يزال ٧٨
- * مارء من السنابل ٨٣
- المتاريس ٨٥
- * الأردن على الصليب ٩٧
- الأردن على الصليب ٩٩

- ١٠٢ - حكاية لأطفال عمان
- ١٠٤ - أغنية إلى جبل النار
- ١٠٦ - الببغاء والأفيون
- ١٠٨ - المخلص الكذاب المسترجون فوستر دلاس
- ١١٠ - في الأردن جلاد يحلم
- ١١٢ - لتترع الأجراس لبلادي
- ١١٤ - إلى عيني غزة في منتصف ليل الاحتلال الإسرائيلي
- ١١٦ - شهيد من الأنصار
- ١١٧ - فلسطيني في القلب
- ١١٨ - إله أورشليم
- ١٢٠ - شهرزاد وفارس الأمل جمال عبد الناصر
- ١٢٢ - الشرارة في الهشيم
- ١٢٣ - بلابل الدموع
- ١٢٥ - من مذكرة الليل
- ١٢٧ - * فلسطين في القلب
- ١٣١ - استمعوا لي
- ١٣٣ - كأس الخل
- ١٣٥ - الخيط الذي ينمو في الريح
- ١٣٧ - لصوص الصليبان
- ١٤٠ - قصيدة إلى الأسلاك الشائكة
- ١٤٢ - البحار العائد من الشيطان المحتلة
- ١٤٤ - الأغنية المعصوبة العينين
- ١٤٦ - الطابور
- ١٤٨ - إلى طفلي دالية
- ١٤٩ - جراح بلا أجراس
- ١٥١ - في طريق الأنهار
- ١٥٣ - المصباح والطاحون
- ١٥٥ - جزيرة الشعارات القديمة
- ١٥٧ - طابع البريد إلى القاهرة
- ١٥٩ - طائر من الرماد
- ١٦١ - أجراس من طين

- ١٦٣ - أغنية إلى زنجي أميركي
- ١٦٥ - المصلوب على ناطحة سحاب
- ١٦٧ - دقي يا أجراس الكومون
- ١٦٩ - أسطورة غيلان الثلج
- ١٧١ - الموت في العام العاشر
- ١٧٢ - قبل أن يصيح الديك
- ١٧٥ - النهر الثالث في العراق
- ١٧٧ - سواعد من بارود
- ١٧٩ - لمن الشارع
- ١٨٠ - السيف على العنق
- ١٨١ - إلى المتاريس
- ١٨٢ - الأم
- ١٨٥ - * الأشجار تموت واقفة
- ١٨٧ - * الكراسة الأولى
- ١٨٩ - الوجه الآخر للشجرة
- ١٩٠ - ثلاث كؤوس لأهل الكهف
- ١٩٢ - الفندليب في البئر
- ١٩٥ - يافا في بطن الحوت
- ١٩٦ - غصن ليمون
- ١٩٨ - جواز سفر فلسطيني
- ٢٠٠ - الدم والمستقع
- ٢٠٢ - القمر بعد ثمانية عشر عاما
- ٢٠٢ - المومس وزهرة عباد الشمس
- ٢٠٤ - ثلاثة رابعهم كلبهم
- ٢٠٦ - مصباح علاء الدين إلى صهباء
- ٢٠٩ - * الكراسة الثانية
- ٢١١ - من أوراق أبي ذر الففاري
- ٢١٤ - أحلام عبد الله بن المقفع
- ٢١٦ - أغنية على النطع
- ٢١٨ - إكليل نار
- ٢١٩ - الحجاج والفيلسوف الأخرس

- ٢٢١ - البطل في الساعة الخامسة والعشرين
- ٢٢٢ - البهلوان
- ٢٢٤ - الهودج والكلاب
- ٢٢٥ * الكراسة الثالثة
- ٢٢٧ - بطاقة معايدة إلى بوشكين
- ٢٢٨ - القصيدة والخنجر
- ٢٢٩ - الشاعر والعرّاف
- ٢٣٠ - الشعر وخصيان السلاطين
- ٢٣٢ - تحت وسادة شاعر ميت
- ٢٣٣ - مقامة إلى بديع الزمان
- ٢٣٥ - القمر ذو الوجوه السبعة
- ٢٣٧ - الصمت
- ٢٤٠ - لن يمروا
- ٢٤٣ - في الطريق إلى الزنزانة
- ٢٤٥ - المرتد
- ٢٥١ * قصائد على زجاج النوافذ
- ٢٥٢ - ثلج...ثلج...ثلج
- ٢٥٦ - إشارة مرور
- ٢٥٨ - يوميات ملقن مسرح
- ٢٦٢ - قصيدة من فصل واحد
- ٢٦٨ - أربع قصائد على أوراق زهرة اصطناعية
- ٢٧٠ - إلى سائحة
- ٢٧٢ - أسد الدين
- ٢٧٣ - إلى رامبو
- ٢٧٥ - كان زمانا يكذب يا مولاتي
- ٢٧٧ - الطبل
- ٢٧٩ - هو الكلام
- ٢٨٢ - تحت المصابيح الزرقاء
- ٢٨٤ - من برنامج الألعاب الرياضية
- ٢٨٥ - اجتماع فوق العادة
- ٢٨٦ - محمد علي الصغير

- ٢٩١ - أغنية على النوتة الموسيقية
- ٢٩٣ - أغنية إلى سمرقند
- ٢٩٨ - تانيا
- ٣٠٢ - الفجرية
- ٣٠٥ - قصيدة على أوراق البردي
- ٣١٠ - قصيدة فوق الجدار
- ٣١٣ - في أوتوجراف ساعة حائط
- ٣١٤ - أ ، ب
- ٣١٦ - الرصاصة الأولى
- ٣٢٥ - ثلاثة جدران لحجرة التعذيب
- ٣٢٩ - الحبر الأبيض
- ٣٣٠ - أغنية الرجل والجواد
- ٣٣٤ - القمر المحنط
- ٣٣٦ - لا.....
- ٣٣٨ - طيور المنافي
- ٣٤١ - أنا وأنت وهو
- ٣٤٣ - الطاحونة
- ٣٤٥ - * جنّت لأدعوك باسمك
- ٣٤٧ - أقدم أوراق اعتماد كسفير
- ٣٥٠ - بطاقة شخصية
- ٣٥٤ - عزف منفرد على القانون
- ٣٥٦ - ثلاثية
- ٣٥٧ - تك. تك. تك
- ٣٦٠ - لحن للموسيقار ميكيس ثيودراكيس
- ٣٦٢ - المطاردة
- ٣٦٤ - الاسكندر المقدوني وزهرة عباد الشمس
- ٣٦٧ - قصيدة إلى بريد القراء في جريدة المقاومة
- ٣٧٠ - النقش بالإزميل والرسم بالطباشير على "جلد غزة"
- ٣٧٣ - نلتاكم في كشوف القتلى على جبهة السويس
- ٣٧٨ - على قبر كليب
- ٣٧٩ - مأساة الدب "مراد"

- ٢٨٢ - دفاع الأسد عنتره
- ٢٨٦ - كلاكيت أول مرة من فيلم قرص أسبرين لأبي الهول
- ٢٨٨ - مالك الحزين
- ٢٩٠ - العن أحفادك يا جدي
- ٢٩٢ - عرض حال
- ٢٩٤ - العرندس
- ٢٩٦ - الخوذة... آنية زهور مرثية لعبد المنعم رياض
- ٢٩٩ - لقاء مع الرجل الذي كان اسمه هو
- ٤٠٣ - * آخر القراصنة من العصافير
- ٤٠٥ - عيون مليكة المراكشية
- ٤١٣ - الغزالة
- ٤٢١ - من كراسة رسم لساعة حائط
- ٤٢٣ - جوزيف أتيللا
- ٤٢٦ - إلى ماياكوفسكي
- ٤٢٨ - ثلاثية
- ٤٢٩ - جندياً كان الله - وراء متاريس دمشق
- ٤٣٣ - ثلاث أغنيات على أنقاض بئر
- ٤٣٥ - الخروج
- ٤٤١ - إلى بوشكين
- ٤٤٥ - الوردة والعصفور
- ٤٤٧ - الدائرة
- ٤٥٣ - قصيدة على سيف البحري
- ٤٥٥ - البيانو
- ٤٥٩ - الكأس
- ٤٦٠ - الذئب
- ٤٦٢ - فرانك سيناترا
- ٤٦٤ - المحطة
- ٤٦٦ - قصيدة فلسطينية إلى لينين
- ٤٦٩ - إحدى عشرة فراشة - في دفتر الماء
- ٤٧٢ - رسالة في زجاجة إلى جمال عبد الناصر
- ٤٧٦ - آخر القراصنة من العصافير

